رسائل المجمع العلمى المصرى المجلد ٦٢

تاريخ اليهود القديم في مصر



(انظر لوحة ٢٠٦)

تأليف

الدكتور محمد عبد المحسن الخشاب

عضو المجمع

القاهرة ١٩٨٥

رسائل المجمع العلمى المصرى المجلد ٦٢

تاريخ اليهود القديم في مصر

تأليف
الدكتور محمد عبد المحسن الخشاب
عضو المجمع

القاهرة ١٩٨٥

المحتوى

بسم الله الرحمن الرحيم

اليهود فى مصر والخروج منها

لما أمر الله موسى باخراج اليهود من مصر كما ورد فى ذكر الله الحكيم «ولقد اوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى أى (غرقا) طه (٢٠)/٧٦-٧٧.

وفي التوراة (الخروج ٣:٧-١٠) «فقال الرب إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم إنى علمت أوجاعهم، فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض الى أرض جيدة وواسعة الى أرض تفيض لبنا وعسلا، الى مكان الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين والآن هوذا صراخ بنى اسرائيل قد أتى الى ورأيت أيضا الضيقة التى يضايقهم بها المصريون. فالآن هلم فأرسلك الى فرعون وتخرج شعبى بنى اسرائيل من مصر.

فالخروج إذن كان بامر الله الذى اوحى به الى موسى عليه السلام وكما بين الكتاب المقدس فقد كان اليهود فى وضع غير ملائم بعد أن أتوا الى مصر وكانوا منعزلين عن الناس وخرجوا من مصر غير مبالين بل كانوا فرحين بذلك الى سيناء، وقد طلب موسى الى فرعون أن يبعد بقومه عن العاصمة المصرية مسيرة ثلاثة أيام ليكون بعيدا عن المصريين حتى لا يغضب الناس اذا ما ضحى اليهود بأضحية تتعارض ذبحها مع التعاليم المصرية (الخروج ٨/٢٧-٢٨).

كان اليهود فعلا فى ضيق شديد من أمرهم، فهم قبل رسالة موسى يخالفون المصريين فى عبادتهم فبينما غالبية المصريين يعبدون أوزوريس وايزيس وحورس كانوا هم من عبدة «سيت» كما سنرى، ثم بعد رسالتهم زادت عزلتهم فى أمر العبادة فكما يخبرنا المؤرخ اليونانى بلوتارخوس أن كل أقليم فى مصر له حيوان مقدس

خاص به دون أن يكون لهذا الحيوان بالضرورة تقديس فى أقليم آخر (فقرة ٧٤) وغير سكان هذا الاقليم لا يأبهون بهذا الحيوان ولا يقدسونه مما كان سببا فى احتكاك خطر بين هذه الاقاليم المصرية يرقى أحيانا كثيرة الى حد الاقتتال. وقد قدر موسى هذه الحساسية تقديرا دقيقا فى خطته الانعزالية وعمل لها حسابا بالغ التقدير والحرص فقد كان مصريا أولا ثم كاهنا عظيما عليما بدقائق الأسرار والطقوس المصرية حتى أنه عندما أمره الله أن يذبح قومه بقرة ذعر بنو اسرائيل وهم العالمون بمدى خطورة ذبح البقرة لحساسية هذا الموضوع بالذات عند المصريين واهتمامهم الشديد فيما يخص الأضاحى نتيجة لمذهبهم الدينى فيما يخص عبادة أوزوريس وحورس إله الخير وما فى ذلك من خلاف فى عبادة ست أو كما يسميه اليونانيين تيفون إله الشر. فعندما أراد موسى أن يتبين أية بقرة يذبحها قومه كانت حكمة الله وعلمه أن يذبحوا تلك البقرة أوصافها التى تسمح للمصريين بذبحها فكان أمره أن يذبحوا بقرة صفراء تسر الناظرين لا شية فيها.

فيخبرنا بلوتارخوس وغيره من الكتاب القدامى المؤرخين أن المصريين أنفسهم كانوا يبيحون ذبح الماشية من العجول والأبقار الصفراء التى لا توجد فيها أية شية أو أى علامة بيضاء أو سوداء. بل هى صفراء خالصة كلون « ست » إله الشر الأشقر، فكانت الشقرة هى اللون المميز له وهى فى نفس الوقت لون اليهود الذين يأتون من الصحراء أى الإله ست وعبدته من مصريين مواطنين ويهود غرباء. وكانت الطقوس الأوزيرية لا تبيح ذبح الأضاحى إلا ذات اللون الأصفر الخالص.

أما لماذا تردد اليهود فى ذبح هذه البقرة وتشددوا فى معرفة أوصافها فشدد الله عليهم، فذلك لأنهم كانوا يعيشون فى مصر و وشيكو الخروج منها وفى عقولهم ونفوسهم وثنية يعلمها الله فدارت فى أفكارهم وذاكرتهم التقاليد المصرية وشروط ذبح بقر الأضاحى وخطورة الخروج عن أحكام التقاليد الدينية فليس لذابح بقرة يشوب لونها شيئة كما يخبرنا ديودوروس وغيره - ويحرم ذبحها إلا عقوبة الاعدام فكان خوفهم هو سبب ترددهم وتشددهم ورعبهم من العقوبة وتعرضهم لغضب المصريين ملأ قلوبهم وتغلغله على مشاعرهم وتملك أحاسيسهم الذعر من خطورة وحساسية هذا الأمر فما أن

قال الله أنها بقرة صفراء فاقع لونها ، ولا شية فيها حتى قالوا لموسى الآن جئت بالحق . وأطمانوا أن الله منجيهم بذلك مما كانوا يخافون فذبحوها . (١)

فأنظر حكمة موسى عليه السلام وعلمه بالأسرار المصرية وما يتعلق بأمر الحيوانات وتقديسها فى مصر واحاطته بأهمية ذلك وحساسيته الخطرة عند المصريين . فأنظر مايرو يه مونتيه (ملاحظة ٢٩/ ١٠١) ثم ملاحظة (٣١/ ٢١ - ٢٢) من أن قمبيز عندما أتى الى مصر كان ضمن جيشه فرقة من اليهود ولما وصل الى أسوان وكان بها جالية يهودية كبيرة لها مذبحها ومعبدها الخاصان بها وعند حلول عيد الفصح وهو عيد خروج اليهود من مصر احتفل اليهود الجنود بهذا العيد فذبحوا الخراف وشووها على أفران فى مجموعات خاصة بكل عائلة فهاج شعب أسوان وثار غاضبا عليهم وعلى الجالية اليهودية فى أسوان من غير الجنود وكانت مذبحة هدم فيها المعبد والمذبح إذ أن إله أسوان المقدس هناك فى تلك المنطقة هو خنوم أى آمون برأس كبش وكان الحامى الطبيعى لجنس الغنم .

لم يدرك اليهود فى جيش قمبيز أن الخروف حيوان مقدس فى أسوان وهو رمز الإله خنوم الخالق كما سيأتى ذكره وكان ذلك سبب نكبتهم فى عيدهم ولو كانوا قد تذكروا أو فطنوا لما فعله موسى و وعاه من قبلهم أو كانوا على علم بما أنزل عليه وما طلبه من فرعون فى أن يكون على بعد مسيرة ثلاثة أيام من العاصمة تجنبا لما قد يتعارض مع طقوس المصريين (الخروج ٨: ٢٧ - ٢٨) اذا ذبحوا ما لا يرضون عنه من ضحايا اتقاء لهذه النتيجة التى حاق خطرها بيهود أسوان فى عهد قمبيز الفارسى فيما بعد بقرون من الزمان عديدة ولكنهم كانوا لايعون (ملاحظة ٣١/ ٢٢ - ٢٩) ثم (ملاحظة ٢٩/ ١٠١) .

فى مصر بل فى كل مجتمع قديم يحذر حكماؤه وأخلاقيوه من الخاصة كهنة وحكاما و يعظون الناس بالتمسك بالفضيلة ويحضونهم على الخير والتقوى وتجنب الزيف واتباع الشيطان ومعصية الآلهة والبعد عن تعاليم الدين والتشبث بالمراسم والطقوس ولذا فقد جرت على ألسنة هؤلاء الحكماء والأخلاقيين حكم وأمثال ومواعظ ونقشت هذه الحكم والأمثال على جدران المعابد واللوحات والبرديات والجعارين وفى كتاب الموتى

ونصوص الأهرام والتوابيت . و ينطق بها الناس اذا ما ادلهمت الأمور واستشرى الفساد والشر فيعرفون طريقهم الى سواء السبيل . وقد كانت هذه المواعظ والحكم والأمثال معروفة لموسى و بنى اسرائيل فى مصر قبل أن خرجوا من مصر الى سيناء حتى فرضت عليهم فى دين اليهودية هذه الأخلاقيات فى كتابهم المقدس فرضاً الزموا باتباعها وأنذرهم الله فى دينه بالعقاب والردع والعذاب الشديد اذا حادوا عن تعاليمها وخرجوا عن قانونها وعصوها واتبعوا هواهم ، فكانت هذه الوصايا العشر كما يرى الاستاذ فؤاد حسنين فى كتابه (٢٠ / ٧٥) ثم بترى (٣١) أن كتاب العهد والوصايا كما يقول الاستاذ فؤاد حسنين (يتفقان تماماً مع ماجاء فى شريعة كل من مصر وبابل أى كتاب الموتى وشريعة حامورابى بتعاليمها وأخلاقياتها التى فرضت على اليهود فى سيناء وقد تركوا هذه التعاليم التى أخذوها عن الشعبين الساميين العريقين ثم مع مضى الزمن حوروها بعض التحوير)

وهكذا يتفق العلماء قدامى ومحدثين على أن فكرة التوحيد الحاسمة القاطعة التى نادى بها موسى كانت ابداءه بعبادة الله فى المعبد بدون أية صورة أو أى شكل أى بدون تجسيد وثنى كما يحدثنا الجغرافى المؤرخ سترابون (١) كما سنرى فيما بعد. وهكذا اختار موسى و بنو اسرائيل الله وهو سبحانه لم يخترهم ، فان اصطفى موسى فذلك لا يعنى أنه اختار بنى اسرائيل .

فالأخلاقيون فى كل زمان وقبل الكتب السماوية كانوا يبشرون ويحذرون و يعظون كل فى مجتمعه بما يهدى أقوامهم ، ففى المجتمع المصرى الذى عاش فيه بنوا اسرائيل والساميين قبلهم من هكسوس وأهل يوسف النبى فى أفاريس وشمال الوادى وشرقه فى جوشن كان الحكماء من قديم الزمن يجأرون بالشكوى من سوء الأخلاق و ينادون بالاصلاح الخلقى والأدبى مما نجده فى أمثالهم وعلى جدران المعابد كما قدم لنا بلوتارخوس إحدى هذه الحكم التى حفرت على جدران معبد أثينا « مدينة سايس الآن السنطة » فى الدلتا وهى حكمة مصرية صميمة كما سنرى وقد ظل الأمر قاصراً على النصح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى فى العصور المتأخرة . أفلم يغضب الأخلاقيون من سوء الحال فى الحمام العام فى العصر الرومانى وما كان يحدث فيه من انحرافات مخزية صارخة فنادوا بألا يدخل الرجل الحمام العام ومعه غلام إلا

إذا كان ابنه ولا لمرأة إلا زوجته ، ونصحوا الناس والحكام المترددين على الحمام ألا يسرفوا فى التسكع واطالة المكث بالحمام و يضيعون الوقت فى العبث بدون طائل حول موائد الميسر ومعاقرة الخمر ومجالسة النساء مما كان سببا من أسباب انحلال الامبراطورية الرومانية ، فقد كان الامبراطور على رأس هؤلاء المسرفين من الهواة للحمام العام الذى فاق فى ذلك الوقت أكثر القصور أناقة وفخامة وترفا .

ثم نجد أن فكرة ضياع الوقت هذه قد استولت على عقول الرومان والقائمين منهم على أمر (التياترو) الرومانى فى أول عهد الرومان به . فى هذا العهد كان المسرح يبدأ العمل كما كان عند اليونان (منشئيه وأصحابه) مع خيوط الشمس الأولى فى الصباح حتى الغروب فما كان من القائمين على هذا المسرح إلا ان أخلوا صالة المشاهدة من المقاعد إلا صفوفا قليلة من المقاعد القريبة من الأوركسترا أمام المسرح للمتازين من أعضاء السيناتو أو الحكام وأما بقية الصالة وراءهم فلا مقاعد للشعب بها على الاطلاق وكان على مريدى الاستمتاع بالعرض المسرحى من الشعب ممن يعرفون اللغة اليونانية وهى لغة المسرح الرومانى فى أولى مراحله ، كان على هؤلاء أن يحضروا مقاعدهم معهم وقد كان ذلك لسبب ألا يضيع الشعب وقته سدى طوال اليوم اذا ما وجد مقعدا يستقر فيه .

ورغم ذلك لم يأبه أحد بحكم ومواعظ وارشادات هؤلاء الأخلاقيين المصلحين الناصحين ولم يفكر أحد فيما يسدونه من نصح وقول ثم تتمصر المسيحية وتسيطر فاذا هى تردع الناس عن غيهم كدين له قوة الردع ويخاف المؤمنون من غضب الله عليهم وعذابه لهم فيستقيم الحمام العام ولكن الى حين ، فحتى الأديان يأتى عليها وقت يفتر التقيد بها عند الناس و يغيب عنهم وعيهم الدينى فيرتدون الى سابق عهدهم وسلوكهم المعوج بل و يرتد بعضهم و ينافق فلا يبقى عنده للدين أثر فعال إلا من رقابة رسمية والقوانين بنفوذ رجال الدين و يصبح الحرام محببا الى الناس يتهافتون علية و يتحايلون على التوصل اليه و يفتعلون البدع الخارجة على الدين و ينغمسون فى المنكر رغم ماينتظرهم من عذاب وعقاب شديدين . وهكذا قام الوعاظ وعلماء الدين فى المعابد والكنائس والمساجد يذكرون و يرشدون و يرفعون المعنويات كما كان الأنبياء

والديميورج قديما . وهذا مانراه فى أمر بنى اسرائيل فمن بعد موسى مباشرة سلكوا مسلك التقوى والورع ثم يفتر تمسكهم بدينهم فيسيرون بدينهم فى دروب العقيدة والايمان بالخرافات ثم ينسون الدين وشريعته و يتجهون الى طريق الباطل فينحطون الى درجه الطغاة واللصوص كما يقول الأستاذ سترابون فى ملاحظة (١ - ٢) ..

وهكذا فمن قديم الزمن وقبل الأديان يقوم الحكماء من أهل التقوى والعلم بواجب التنبيه ، فنجد تلك الحكمة التى أوردها بلوتارخوس كما نقشت على جدران معبد أثينا فى سايس فى الدلتا « أيها الناس جميعا كبيرا وصغيرا ، ان الله لايحب الفسوق » .

هكذا كان حال اليهود و بشهادة التاريخ الثابتة ، فبعد أن استقروا واغتصبوا أرضا ليست لهم على حساب قبائل من جنسهم سامية فى كنعان وفلسطين لم يبشروا بدينهم الجديد ، بل جعلوه دينا عنصريا غير عالمى وقد أحس ذلك أنبياؤهم بعد موسى فأرادوا لليهودية انتشارا ولكن كانت عنصرية القوم غالبة حتى أعرض الكثير عنها أى اليهودية وظلت وحدتهم العنصرية مرتبطة باليهودية وحتى الله أرادوا له أن يكون عنصريا بغير ما أراد موسى الذى اختار عبادة الله الواحد المطلق فادعوا أن الله اختارهم عنصرا ممتازا مميزا عن الخليقة جمعاء ، زعم باطل وادعاء كاذب وتفكير عنصرى كافر فلم يكن الدين لهم رباطا لوحدة دينية بقدر ما كان رابطة عنصرية معتدية ، فبعد موت موسى كما يقول سترابون عنهم ، بعد موسى وقبل أن تفتر جذوة وحرارة الايمان فى قلوبهم « أن خلفاء موسى قد استمروا لبعض الوقت يتصرفون تصرفا مستقيما وكانوا فعلا أتقياء » ثم « بعد ذلك أولا تولى من بينهم من يؤمن بالخرافات » ثم من بعدهم أتى رجال من الطغاة » (١) ثم هو يذكر أشياء نشأت عن هذه الخرافات كعادة الطهارة للنساء والرجال وتحريم اللحوم عما نعلمه عنهم اليوم . و يثبت صحة ما يكتبه سترابون عنهم ولكن المهم فيما يرو يه عنهم أن « من الرجال الطغاة نشأت شرذمة من اللصوص » (٢) وهذا تطور يعرف العالم كله أمره ثم أنه هو ما نقاسي منه فى شرقنا اليوم .

كان موسى يطلب الابتعاد بقومه وأن يعزلهم يان ينأى بهم و بدينه الجديد فيبعدهم عما يفعله المصريون وما يعتقدون تخلصا مما كان عليه قومه قبل رسالته من مشاركة

المصريين عقائدهم وتقاليدهم وما سيجدونه من عبادات عند الكنعانيين وكانوا في طريقهم اليهم وهم أيضا من عبدة الثور ثم بقدر الامكان تخفيفا عنهم مما يقاسون في عملهم الشاق وسخرتهم في مشاريع فرعون ومايقتضيه ذلك من صناعة ضرب الطوب وغير ذلك مما كانوا منه يعانون ثم سياسة ترو يضهم على الاستقرار بدل بداوتهم وترحالهم في جوشن وخوف الحاكم من انضمامهم مع من يغزو مصر من هذه الناحية .

ولكن ماذا وراء موسى في تدبيره وماذا يخيفه من مشكلة الأضاحي عند المصريين وعنده ثم من هو موسى قبل أن تنزل عليه الرسالة السماوية وماذا يعني اسمه وكيف سمي بهذا الاسم ؟

موســــى

موسى هذا الأسم الذى لايمكن للانسان أن يتصور أن أبنة الفرعون المصرية تختار للطفل الذي وجدته على حافة اليم اسما عبرانيا بل أنه «الأسم موسى» بديهيا وطبيعيا كان اسما هيروغليفيا نقل إلينا باليونانية وذكره جميع الكتاب اليهود القدامى وقد كتب فى ذلك الأستاذ تشيرنى مقالا وافيا تناول فيه اشتقاق اسم موسى (٣) وهو بحث هام ومصدر رئيسى لهذا الموضوع .

ولابد أن تكون السيدة أبنة فرعون قد فكرت فى أختيار هذا الأسم مليا فليس من المعتاد أن يجد الانسان كل يوم طفلا ملقى فى الماء ومعرضا للهلاك غرقا بل من المحتمل أن تكون تلك الصدفة النادرة وملابستها قد أوحت الى السيدة باسم يتفق وهذه الذكرى الفريدة كما أشار جوزيفوس الكاتب اليهودى اليونانى فيما سيأتى ذكره حين أشار الى هذه الظروف التى احاطت بالطفل وقت أن عثرت عليه أبنة فرعون وكانت سببا فى تسميته باسمه موسى .

على عكس ما تصوره الاستاذ مونتيه Montet (٣١-٣٥) من أن السيدة أطلقت اسم موسى على الطفل حيثما أتفق كأول اسم ورد على خاطرها مع أن ظروف وجود الطفل ملقى فى الماء بهذا الوضع تحتم عليها عكس هذا التفكير المرتجل تماما فمفاجأة هذه الصدفة النادرة تستدعى حتى وهى بين أفراد حاشيتها التساؤل والتشاور فى اسم مناسب ذلك الحدث ولكن مونتيه يقول أنها أسمته موسى من كلمة مس

وجود الطفل ملقى فى الماء بهذا الوضع تحتم عليها عكس هذا التفكير المرتجل تماما فمفاجأة هذه الصدفة النادرة تستدعى حتى وهى بين أفراد حاشيتها التساؤل والتشاور فى اسم مناسب ذلك الحدث ولكن مونتيه يقول أنها أسمته موسى من كلمة مس

«mes» معتقدا أن السيدة لم تقصد أن تقول شيئا آخر غير ما تعنيه عبارتها المشهورة «هذا ما انتشلته من الماء» بعكس ما يظن جوزيفوس وكل من أتى بعده من كتاب يهود ومسيحيين من أن هذه العبارة تفسير لاسم موسى فحسب مونتيه أن السيدة لم تفكر مطلقا فى كل ذلك وأن موسى أو mesy أو meso هو المقطع الثانى من الاسماء المصرية المركبة التى كان يتسمى بها المصريون مثل تحوتمس «Thutmes» ورع موزا «Ramosa» فمقطع هذه الاسماء الأول هو اسم لإله يكون المولود قد ولد فى ذكراه

فهل ممكن معرفة فى ذكرى أى إله صادف مولد موسى وقد وجدته السيدة ملق فى اليم ولم تلده ؟

أن العادة كما أفترض الأستاذ مونتيه أن يترك اسم الإله فى هذه الأسماء المركبة مستترا فى المقطع الأول ولكن ذلك بعيد الاحتمال إذ أن مونتيه قد تناول اسم موسى كمقطع واحد كما ذكر بالعبرية واعتبر مقطعا واحدا بمعنى (مس) أو بمعنى وليد أو طفل و يظل الاسم بذلك حسب افتراضه مبتورا إذ أنه يتساءل هل نسيت السيدة فى ذكرى أى إله كان مولد موسى ؟ هذا رأى احتماله بعيد فمن الطبيعى إذن أن يكون هذا الحدث مناسبة للبحث عن اسم يناسبه و يناسب ملابساته وقد كان أقدم من نحى هذا النحو الكاتب اليهودى فيلو Philo الذى ولد سنة ٤٠ م إذ يقول «اختارت السيدة اسم موسى لأنها انتشلته من الماء ـ ثم لأن المصريين يسمون الماء موى « mey » (٤) هنا نجد أن الأستاذ فيلو يبرز أصل الأسم الهيروغليفى فى المقطع الأول فقط من اسم موسى كما لاحظ الأستاذ تشيرنى .

أما الكاتب اليهودى جوز يفوس فيشير أولا الى تلك الظروف التى لابست العثور على موسى ووقوعه فى النهر ثم تسميته باسمه (٥) ثم يحلل شطرى الاسم فالمصريون يسمون الماء (mo | أو mey موى) وهذا هو اشتقاق الشطر الأول كما قال ذلك أيضا فيلو أما عن الجزء الثانى الذى لم يتعرض له فيلو وهو مقطع أوسيس ouses فيقول جوز يفوس أن أوسيس « هم الذين أنقذوا من الماء » وعلى ذلك فقد أطلقوا عليه هذا الاسم « بعد أن كونوه من كلا المقطعين » . (ه)

هذا هو الرأى الذى يتفق وطبيعة الأشياء فعلا لابد وأن هذه المناسبه كانت شاغلا للأميرة وحاشيتها وأثارت أهتمامهن حتى طبقوا شطرى هذا الاسم على الطفل الذى يدل دلالة واضحة على طبيعة الموقف .

التزم إذن الكتاب اليونانيون يهودا ومسيحيين وعلى رأسهم جوز يفوس باشتقاق الاسم من أصل هيروغليفى ولم يشذ عن ذلك أحد حتى المؤرخين المحدثين فذكر الماء وارد فى الجزء الأول من الاسم مو أو موى وقد أكده جوز يفوس مرة أخرى فى كلامه عن ابيون (Apion) قائلا « أن اسم موسى هذا يدل حقا على أنه أنقذ من الماء » (٦) .

فالاسم إذن مصرى ولم يكن مطلقا عبرانيا مبنى من كلمة واحده موسى العبرية بل هو مركب من مقطعين موى (mey و يسس yeses) أى موى واوسيس وليس مقنعا كما ذكرنا أن يرجع بعض الكتاب المحدثون الاسم العبرانى للمقطع الواحد الى مس أى وليد بالهيروغليفيه وقد قامت محاولات حتى قبل حل رموز اللغة الهيروغليفية كما يذكر تشيرنى بالرجوع الى اللغة القبطية فوى أى الماء فى الجزء الأول ثم اوسى بمعنى فى صحة جيدة أو سليم للمقطع الثانى وهكذا يتطابق المعنى فى اللغتين القبطية والهيروغليفية فاكتمل اسم موسى المصرى الصميم لا العبرانى الذى أخذ مقتضبا عن سم موسى ذى المعنى الواقعى مصداقا لما نزلت به الكتب السماوية وأما القول بأن وسيس تعنى حِسي الهيروغليفية بمعنى المكرمون لأنهم ماتوا غرقا فى النيل واخرجت أجسادهم لتدفن و ينعمون بالأبدية فهذا استعمال أو معنى كان بدؤه من الأسرة الثلاثين وما بعدها أى بعد موسى بقرون عدة .

ثم يورد الأستاذ تشيرنى أيضا ماذهب إليه الأستاذ المؤرخ كليمنت السكندرى الذى عاش سنة ٢٠٠ م فى تحليله اسم موسى بأنه يعنى أن موسى أخذ من الماء الذى كان معرضا للموت فيه (٧) .

وهكذا يجمع القدامى من الكتاب اليونانيين يهودا ومسيحيين على أصل اسم موسى وصلته بالماء بمعنى الذى انقذ من الماء أو من الماء انجى كما ورد فى الخروج (٢ - ١٠) « ولما كبر الولد جاءت به الى أبنة فرعون فصار لها ابنا ودعت اسمه موسى وقالت أنى انتشلته من الماء » .

ثم قوله تعالى وهو أصدق الصادقين « ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا إلى أمك مايوحى أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له » (طه ٣٦ - ٣٨).

هذه نشأة موسى الطفل كما تؤكده الكتب السماوية والكتاب اليهود والمسيحيون وقد أجمعت هذه المصادر كلها على أن موسى قد أنقذ من الماء وقد كان فى تبنى بنت فرعون له - والتبنى عرف فى مصر القديمة مأخوذ به قانونا - كان تبنى الأميرة لموسى سببا أن يأخذ موسى قسطا كبيرا من التعليم والتثقيف بكل عناية كواحد من أبناء الأسرة

المالكة حتى أصبح كغيره «أحد الكهنة وقائم على جزء كبير من مصر السفلى أو الأرض السفلى كما يسميها المصريون فيما ذكره المؤرخ الجغرافي والفيلسوف الرواقي سترابون الذى عاش فى القرن الأول الميلادى فى كتابه الجغرافيا (٨).

هذا ما يرويه سترابون عن وجود موسى بمصر فى صدر حياته ثم يجمل فى ايجاز خروجه من مصر فيقول «ولكنه ذهب من هناك إلى بلاد يهودا اذ أنه لم يكون راضيا عن «الأحوال فى مصر» وصحبه ناس كثيرون ممن كانوا يعبدون الله (٩) وهكذا يذكر سترابون الخروج من مصر، موسى مع قومه ويجمل عدم موافقة موسى على مسلك فرعون دينيا واضطهاد قومه من اليهود وتسخيرهم فى الأشغال العامة وهذه هى الأحوال التى لم يرض عنها موسى فى مصر وكانت سببا فى محاولة الخروج رغم عدم موافقة فرعون على ذلك ومنع اليهود من الخروج.

أما الأحوال الدينية فقد كانت هى الأهم وموسى فى تأمله فى سيناء قبل الرسالة وفى وجوده فى مصر قبل سيناء كان لديه وقت عظيم وطيب للتأمل وللتفكير والتفلسف فقد ألم بأطراف الديانة المصرية وتعرف على أسرارها وما وجد فيها من شذوذ وخروج عن المنطق وخالفها فيما بينه و بين نفسه حتى أرسله الله رسولا كان هذا الجانب هو الأهم والأكثر بروزا لعيان الباحثين دون غيره من جوانب الوجود اليهودى الأخرى فى مصر ولذا فقد خصها سترابون بالذكر وهى لب الديانة اليهودية وأساسها مما يدل على أن مصادر سترابون كانت صحيحة ثابتة بل ودقيقة فقد أبرز وهو الفيلسوف الوثنى الذى يهمه بحث تلك النقاط الأساسية والتركيز عليها فهى أس ما قامت عليه فلسفة موسى ومنطقه الدينى أى التوحيد الذى غمضت معالمه فى الوثنية التى سبقت موسى فيقول سترابون «كان موسى يقول و يعلم كيف أن المصريين كانوا على خطأ فيما كانوا يمثلون به الإله أو الكائن المقدس فى صور حيوانات وسائمة كما كان يفعل البابليون أيضا» (١٠).

ولما كان التجسيد فى العالم الوثنى القديم كله بصوره أى الإله بصور مختلفة كان موسى لايرضى ولا يوافق على ذلك فأتت رسالته محرمة أى تجسيد بأية صورة فقال سترابون مشيراً إلى اليونانيين وما «أتوه من خطأ كما فعل الوثنيون الآخرون فشكلوا

الإله بصورة آدمي » وكان يعتقد و يبشر بأن الله واحد أحد « أن الإله هو هذا الذى وحده يحيط بنا جيما ويحيط بالأرض و بالبحر و بطبيعة الكائنات وبما نسميه بالسماء والكون » ، فأى انسان إذن يكون له عقل فيجرؤ أن يرسم صورة للإله تشبه أى مخلوق بيننا » ، « كلا يجب أن يقلع الناس جيما عن رسم أى صورة للإله وان يقيموا رحابا مقدسا منفصلا ومعبدا عظيما يعبدون الإله فيه بدون صورة » (١١) .

هذا هو منطق موسى ورأيه فبعيدا عن التجسيد يمكن بالعقل وحده ادراك الإله ويمكن أن يفهمه من لم يكن من الأنبياء واضحا شاملا لاشك فيه ولا مراء وقد كانت معرفة الإله محددة بمعرفة قوانين شريعة موسى وفى هذا المعبد الذى يعبد فيه الله بدون صورة ينام المؤمنون من صادق الرؤيا ويحلمون كما كان الوثنيون المصريون فى معابد آلهتهم الممثلة بصور شتى من حيواناتهم المقدسة يأتون إلى تلك المعابد طلبا للإستشارة والتنبؤ عن طريق الأحلام فيما يخص أشخاصهم فى الصحة وفيما يخص حياتهم الفردية وما ينوون القيام به من مشروعات ولكن أغلب وأهم ما يلتمسونه فى المعبد من الآلهه أولا وآخرا العافية والشفاء من امراضهم وما يألمون منه وكانت وسيلتهم الوحيدة فى ذلك النوم والأحلام أى مايعرف بالتنوم أى (Incubation) وسيلة الاتصال بالقوى الروحانية العليا عن طريق روحى بالتنوم فى المعبد وظهور الإله نفسه للمرضى ووصفه لهم الدواء فكانت أحلامهم هذه عبارة عن تشخيص للمرض وكان المفسرون لهذه الاحلام من الكهنة الرسميين فى المعبد وغيرهم من مفسرى الاحلام من غير تلك الكهنوت أطباء لهم خبرة وتجارب كبيرة من كثرة ما شاهدوا من مرضى يشكون أعراضا متباينة وما يراه هؤلاء المرضى فى أحلامهم وما سمعوه من الآلهة التى تظهر لهم من وصفات علاجية وأدوية وإيحاء بما يجب أن يعمل ليتم لهم الشفاء فكانت نشأة الطب فى المعابد وكان يدرس فى مصر القديمة فى أقسام تسمى «بيوت الحياة» وكان الكهنة اطباء متخصصين وكان ذلك أيضا فى المعابد اليونانية وقد ظهر من بين هؤلاء الكهنة اليونانيين وما يسمون بالاسكليبيادس Asklepiades أى أبناء إله الشفاء اسكليبوس Asklepios الطبيب العظيم أو أبو الطب هيبوكراتيس الذى كون من هذه الجماعة من الكهنة الأطباء أول جماعة أو نقابة للأطباء لها قانون والتزامات أخلاقية للعمل فى فن الطب ثم صاغ قسما ترتبط به هذه

الجماعة من الكهنة و يلزمهم باتباع تقاليدهم المهنية وأصولها والتزام الشرف المهنى الأخلاقى «ويمكن الرجوع فى ذلك إلى كتاب الدكتور عبد المحسن الخشاب -الحمامات الشفائية القديمة»- (١٢).

فكان هيبوكراتيس العظيم كما اسماه سقراط واسمه الذائع بالعربية «بقراط» أول من حدد للأطباء طريقهم وسلوكهم.

كان هؤلاء الأطباء من الكهنة يشخصون المرض عن طريق أحلام المرضى أو من ينوب عنهم أى من يحلم بدلا منهم فى المعبد إذا استعصى على المريض المجيء إلى المعبد أو من أمتنع عنهم النوم مثل مرضى الأعصاب وكان هؤلاء «الحالمون» يتطوعون أحيانا لأن يناموا ويحلموا لمن يعرفونه حبا وكرامة للخير، ومنهم المحترفون الذين يحلمون للناس ولأنفسهم وتلك كانت مهنة شائعة فى معابد اليونان وغيرها قديما وكما كانت وإلى وقت قريب تعمل شيخة الزار وكاشف الغيب بيننا يأخذون (الأثر) من الزبون ويحلمون له و يصفون له وسيلة العلاج على أساس ما راؤه له فى المنام «الخشاب-الحمامات الشفائية- (١٢) ثم التياترو القديم (١٣).

كان هؤلاء الكهنة الأطباء من مفسرى أحلام المرضى يشخصون الأمراض عن طريق الأحلام ثم يصفون للمرضى العلاج والدواء ولهذا ذكر كثير فى تاريخ الطب القديم (انظر ملاحظة ١٢) وكان من بين تلك الأدوية ووسائل العلاج الحمام وقد وجد منه الكثير فى مصر وهى أنواع خاصة من الحمامات العلاجية قام على أساسها الحمام العربى العام ثم فى البيوت القديمة و يسمى الحمام العربى وعند العامة يسمى حمام السوق وكان الحمام قديما يوصف حسب ما يشير الطبيب ساخنا و باردا وقد قيد استعماله طبيا فى الأول هيبوكراتيس.

وقد كان من المفسرين المحترفين خارج نطاق المعبد الخصوصيين من غير رجال الكهنوت الرسميين من لهم وسائلهم الاعلامية الخاصة بهم كما سنرى فى الحديث عن الإله أبيس «Apis» وكما يخبرنا الكتاب الأقدمون من اليونانيين كان المرضى يلجأون الى معبد ايزيس ثم اوزوريس «بتاح فى منفيس» حيث يوجد عجل أبيس و يتوسلون أن تتجلى عليهم الاله فى منامهم وخاصة ايزيس لتصف لهم الدواء

بنفسها وتهبهم الشفاء من امراضهم الجسمانية والروحية وتفرج كربهم وتلهمهم الصواب فيما ينوون القيام بعمله وكانت ايزيس كما يقول المؤرخ اليونانى ديودوروس إلهة الشفاء والدواء وصانعته ايضا فارماكوبييوس «Pharmacopios» فتتجلى عليهم بصورتها كاملة فى منامهم فى المعبد وتشفى حتى ما استعصى شفاؤهم على يد الاطباء وكانت تسمى بايزس الشافية «Hygieia» وكان ذلك يحدث ايضا فى المعابد الكبيره مثل معبد سرابيس اله شفاء المرضى وزوج ايزيس هيجيا «Hygieta» وهو الند الشبيه بالاله اليونانى اسكليبيوس «Asklepios» الاله المعالج اليونانى ذيوسكلينيكوس «Deus-clinicus» وهو اله الطب وابو الاطباء وكان اشهر المعابد للعلاج فى مصر معبد سرابيس فى كانوبوس «Canopus» فى الاسكندرية «ابو قير» الآن ينام فيه الناس كما يروى سترابون لنا وصفا مفصلا ممتعا (سترابون ١٧ ، ١٧) للرحلة المرحه التى يقوم بها الناس من الاسكندرية حتى كانوبوس واحتفال الناس فى تعبدهم فى معبد سرابيس ثم نومهم واحلامهم واحلام من ينوبون عنهم عند العامة والخاصة من الحكام والعظماء والمثقفين وما يحدث بعد ذلك من معجزات وشفاء وكان من ذلك أن بعض مفسرى الاحلام «Ornirocritai» كما ذكرنا يعلنون عن انفسهم وقدرتهم على تفسير الاحلام فيلجأ اليهم الناس لتفسير احلامهم ومنهم طائفة من المفسرين اشتهروا فى هذا التخصص من أهالى كريت قديما كما سيأتى ذكره.

هذا هو التقليد المصرى الوثنى وغير المصرى من بعد، فى العالم القديم كله، وليس هناك طريقة للشفاء من امراض النفس والجسد الا طريقة التنويم اى «incubation» والاحلام كما انها طريقة للاستشارات فى كل الاغراض سياسية وتجارية الى غير ذلك ولكن بعد رسالة موسى يستمر هذا الوضع التقليدى فى المعبد اليهودى فيسمح موسى لليهود وخاصة أولئك الذين تصدق احلامهم أن يناموا فى معبدهم وأن يحلموا لانفسهم ولغيرهم على الطريقة الاولى كما يخبرنا بذلك سترابون (١٤) فيوحى اليهم فى منامهم بكل ما يستشيرون فيه ومن هنا كان كل ما يؤمر به انبياء اليهود وحى يأتيهم فى منامهم وطبعا بهذه الطريقة المصرية القديمة واليهودية كانت تأتى الناس فى منامهم بالمعبد طرق شفائهم وحلول مشاكلهم كل حسب شكواه وموضوع استشارته فكان المعبد اليهودى، الذى أخلى من الأوثان و يعبد فيه الله مجردا من أى صورة أو أى

نـمـثـيـل يوحى للمتقين الصالحين بالعلامات والرموز بالشفاء مما يشكون صحيا ويحل مـشـاكـلـهـم فى حياتهم ولكن فى هذه الحالة لايرى فى منامهم إله بل وحى يأتيهم من أنبيائهم وكهنتهم دون رؤ ية الله فهم لايرونه إلا بادراكهم العقلى هذا هو المناخ الذى نـشـأ فـيه موسى فى مصر وكان سائدا فى العالم القديم وخارجها وكما يقول سترابون أن مـوسـى لم يـرض عـن هـذه الأحـوال فأمر أتباعه تجنب كل ذلك وأن يتجهوا إلى الله الـواحـد الأحـد الـذى يحـيـط بـكـل شىء والذى أختاره موسى فعبده بدون صورة ولا وسيلة ثم يخبرنا أن موسى قد تمثل نفس الطريقة التقليدية القديمة للإتصال الروحى بـالله عـن طـريـق الأحـلام الشائعة فى مصر آنذاك « إن الذين تتحقق أحلامهم أى الـذيـن تـصـدق أحـلامـهم عليهم أن يناموا فى المعبد « معبد موسى » يحلمون لأنفسهم ويحلمون أحلاما أخرى لغيرهم كما ورد فى سترابون (١٤) .

إذن فـهـذه الـعـادة المصرية قد استمرت عند اليهود بأمر من موسى من مصر الـقـديمـة الوثنية إلا أن من يسال فى هذا المعبد ومن يرجى منه الشفاء و يطلب منه العون هو الله إلـه موسى فكان النوم والأحلام فى معبد موسى إتصالا أيضا روحيا مباشرا بالله الذى لاصورة له على عادات المصريين فى أحلامهم الشفائية وغير الشفائية واتصالهم المباشر بـالـقـوى الـعـلـيـا فـان رأى الوثنيون الإله فيما يمثله من حيوان أو إنسان فان موسى رآه روحـيـا لاصورة له ولا قرين كما يعرف المصريون آمون الخفى فهم لايرونه ولايسمعونه وهـو عـنـدهـم ملىء الملأ والكون سمائه وأرضه فلايدركونه بالحس كما قد أدرك موسى الإلـه بـادراكـه الـعـقلى فـيـصـل إلى معرفته ثم يبشر قومه بأن من صلحت حياته فعاش عـيـشـة صـالحـة يـنـتـظـرون من الله (سيكون جزاؤهم عند الله) خيرا وعطاء حسنا أو عـلامـة مـن الله تـنـفـعـهـم وأمـا غير هـؤلاء فلا ينتظرون شيئا (١٤) هذه هى الحـكـمـة المصرية والأمثال السارية من حكماء مصر تماما كما سنرى .

أصـاب سـتـرابـون هـذا الـفـيـلـسوف المؤرخ الجغرافى واوجز فى سرد تعاليم اليهودية ومـا كـان قـائمـا قـبـل أن يـبـعـث موسى وما صار بعد أن أرسل نبيا وتؤيده فى روايته المراجع الـسـمـاوية والآثار وتاريخ تصرفات بنى اسرائيل بعد موسى ونكوصهم عن تعاليمه وشريعته فيقول سترابون « أن موسى بمثل هذه الأقوال الحكيمة قد أغرى رجالا كثيرين من أصحاب الرأى من قومه [illegible]

دون أن يذكر شيئا عن تفاصيل خروج اليهود من مصر كما فعل الكتاب اليهود الذين تتبعوا العهد القديم فيما ذكروه ومشوا فى خطه الدينى فيقول: إن «موسى قاد هؤلاء الرجال، إلى ذلك المكان حيث يقوم القدس فى أورشليم» أى كما وجد ذلك فى وقته هو وقد أستولى على هذا المكان بسهول إذ أن هذا الموقع لم يكن بالمكان الذى يحسد عليه ولا يستحق أن يحارب الانسان من أجله فهو مكان صخرى رغم أن ماءه كثير وما يحيط به من أرض كان قحلا وصخريا أيضا ولم يستعمل موسى سلاحا للدفاع عن المكان وفى نفس الوقت بدلا من ذلك يحصن بتقديم «الأضاحى واحتمى بربه إذ اعتزام أن يقيم مكانا لعبادته» (١٦) ووعد قومه «أن يعد لهم عبادة غير مرهقة لمن اتبعها ولا تقيده بحرمان روحى ولا أية متاعب لا لزوم لها» وعلى ذلك ذاعت شهرة موسى «وبسمعته الطيبة بين هؤلاء الناس» «لم يقم حكومة من أى نوع» (١٦) صدق سترابون فقد كان موسى رسولا ولم يكن قد استقر بعد.

صدق سترابون فلم يقم موسى حكومة فهو لايزال شريدا مطاردا فى أرض مصرية. ولكنه وجد فى سيناء مجالا أمكنه فيه ممارسة رياضة روحية حرة بعيدا عن يد المصر بين الذين ظنوا أنه سيفنى مع قومه فى رمال سيناء فقام بنشر دعوته بين الرحل من قبائل سيناء واتسع أمامه مناخ التأمل والتفكير فعزم على بناء معبد يهودى على شريعته صدق سترابون وقد أصاب فى تعقل فيا رواه من معلومات عرفها من مصادر بينة الصحه دون أن يعلق عليها بشىء أو يقارنها بوجهة نظر أخرى فلم يحاز أو يتباعد لشىء فى نفسه، لم يتأثر بعاطفة دينية ولم يغال ولم يشتط فى تحمس دينى فيتجاوز الحقيقة كما فعل غيره من الكتاب اليهود فيا سنذكر، فما رواه - سترابون - نرى موسى أقرب مايكون الى الرأى الصائب بعيدا عن أى مؤثر دينى وقد أحمل سترابون أيضا تاريخ موسى كفيسلوف كما نكاد نعرفه من الكتب المقدسة ثم هو يكمل قصة اليهود بنى اسرائيل - بعد موسى و بعد بناء المعبد فى القدس فيقول فيما سبق ذكره (أنظر ملاحظة ١ الى ٢) «فمن طبقة الأتقياء الذين قادوا بنى اسرائيل فى أول الأمر بعد موسى مباشرة الى أن يبطل الحماس الدينى عندهم تبرز طبقة المؤمنين بالخرافات (ملاحظة ١) ثم لما ينتهى الأمر بهم الى أن يصير الدين عندهم كتابا فى مكتبة فقط بعيدا عن صدورهم ينساه الناس فى دنياهم أو يتناسونه فى باطلهم وزيف شرفهم

وعملهم ظهرت فيهم طبقة الطغاة ومنها تبرز طبقة اللصوص (أنظر ملاحظة ٢) الذين حتى لو ذكروا بتوراتهم وعهدهم تحايلوا فيتخذون منه سيفا يقتلون به الآخرين طمعا فى ارضهم وأموالهم وما يملكون بل تحايلوا فاتخذوا منه دافعا لسفك الدماء والسلب والنهب تعصبا مقيتا واشباعا لعاطفة عنصريتهم و بغى المعتدين.

فما يثبت صحة رواية سترابون هذا الفيلسوف أنه ذكر ضمن عاداتهم «الطهارة عندهم للرجال والنساء (١٧)» ورغم ذكره ذلك ضمن خرافاتهم إلا أن هذا يثبت من جهة أخرى أن كل ما كان عند اليهود فى ذلك الوقت حتى الوصايا العشر أصله مصرى فليس لليهود حضارة خاصة بهم فما كان لديهم من عادات وحكمة وأقوال صارت مبادىء يدين بها العالم كله ليس إلا من أصل الحضارة المصرية ولما أن أرادوا لتلك الحضارة ألا تكون مصرية ظهر زيفهم وكذب ادعائهم فمن عاش من بنى اسرائيل خارج مصر لم يكونوا إلا رحلا رعاة لا ذكر لهم مستضعفين تذكرهم لوحة منفتاح «بأن قضى عليهم الملك وأصبح لا وجود لهم ولم يعد لهم قمح ولا عيش» وأما موسى فنشأ فى مصر وكان حكيما بحكمتها.

أما طغيان المنحرفين فيكون نتيجة الانانية الجامحه الجشعة الشرسة والطموح الضال والطمع الأثيم والاستيلاء بغير حق واستباحة السرقة والسلب والقتل و بث الرعب فى الآخرين واطلاق يد غير الأمناء المسعورين فينهبون و يستحوزون على كل ما تمتد إليه ايديهم ثم يستولى عليهم الخوف فيبدؤن بالهجوم والاعتداء و يسرفون فى أنانيتهم وذاتيتهم فتستعر فى نفوسهم نشوة الامتلاك والتملك للأرض والمال والرجال يستذلونهم عبيدا أرقاء مما يتيح الفرصة لانطلاق اللصوص ذوى الضمائر الخربة والنفوس الوضيعة لخدمة الطغاة وارضاء اطماعهم وشهواتهم «فقال سترابون ثار بعض اليهود خربوا أرضهم ثم الأرض المجاورة لهم» بينما «تعاون البعض الآخر مع الحاكمين واستولوا على ممتلكات الغير واجتاحوا جانبا كبيرا من سوريا وفنيقيا» وأما قلعتهم القدس فكانوا «يكنون لها احتراما فلم يعافها اليهود كمقر للطغاة لكنهم كانوا يحترمونها و يقدسونها كمكان مقدس» (١٨).

هذه هى شهادة التاريخ على لسان الجغرافى المؤرخ الفيلسوف سترابون ذهب

اليهم وسمع عنهم ومنهم وخبرهم ورآهم وسجل وروى للأجيال غير منحاز ولا متجنى وأخذ من مصادر لاشك صحيحة تكاد تطابق ما لدينا من نصوص دينية وكتب سماوية رغم بعده كوثق عن اليهود واليهودية ثم نكوصهم وما أصدق من القرآن الكريم شاهدا على ردتهم ورجوعهم الى عبادة العجل وعرفهم التاريخ ومشعوذين أفاقين مغامرين لصوصا وهم فى كل ذلك يهودايطرحون دينهم وتعاليمهم خلف ظهورهم فلا يرون إلا ماكانوا عليه قبل موسى من سوء سجية وعبادة وثنية وكأنما ما بشر به موسى فيهم لم يصل الى قلوبهم وكان كساءا رقيقا لم يخف وجوههم القبيحة عن الناس ، فهم لايأبهون بالقيم ولا يأنفون من ضلال رغم دين أتخذوا منه اسما وصفة لهم وطرحوا أخلاقياته وقيمه وفضائله وروحانياته فلا يذكرونها إلا إذا رجعوا الى القدس والمعبد ولكنهم لايخجلون من خطاياهم فانظر قول سترابون (ملاحظة ١٦) أنهم لايأنفون أن تكون مدينة القدس قلعتهم مقرطاغية ولكنهم فى نفس الوقت يكنون لها احتراما وتقديسا كمكان مقدس فيه معبدهم. أنهم اختاروا الأرض والدين من غير خلق فتناسوا السماء وازدوجت الأمور فى عقولهم فلا فرق بين الضلال والعدوان والقسوة وتحللهم من دينهم هذا الذى يحترمون من أجله القدس وهذا هو الكفر بعينه والضلال بالموسايزم. ولاشك أن ماوصلت اليه السيدة فيولت ماكدورمت (١٩) من أن اليهودية أوما تسميه بالموسيزم بمقارنتها بالديانة المصرية التى كما ترى بحق أنها تتمثل فى الأعمال الانسانية اليومية للمصريين الذين بدياناتهم يشعرون بوحدتهم وارتباطهم بعالم البشر أحياء وأمواتا فيستزيدون و يطيلون فترة سعادتهم أطول مدة ممكنة فالديانة المصرية كما تقول السيدة «ماكدورمت» صلة ربط المصريين الأحياء بموتاهم و بالناس جميعا.

وأما رأيها فى اليهودية أو الموسايزم أو اليودايزم .. فهى ديانة أو وسيلة بها ينفصل شعب و ينعزل و يصبح حيا متحركا للوصول إلى هدفه من التطور فى وحدة دينية عنصريه قوية خاصة فمن عهد ابراهام إلى عهد موسى بنيت اليهودية أساسا على طاعة الشريعة التى تحوى العهد وفى الابتداء كان عمل هذه الطاعة هو خلق فريق أو جماعة عنصرية يرتبط بعضها ببعض بصلة الدم لمناهضة الشرك والتمسك بالوحدانية ولم يكن مباحا لأعضاء هذه الجماعة أن يتزوجوا مع جيرانهم غير اليهود ، وهذا هو المهم ، «الإله كان تعبيرا عن القومية أكثر منه صورة بشر ورمزا للكون الشامل» (١٩) .

وسنرى فيما بعد .. أن ذلك كان واضحا وملموسا تمام فى عهد هونيا منشىء القدس المصرى فى العصر البطلمى .

وهكذا حرص موسى على قوميته واهتم بتخليص ناسه من بنى اسرائيل من المصريين ومن مصر رغم ما وصل اليه هوفيها من مركز سام خطير يشهد بذلك كل النصوص الدينية والشواهد التاريخية .فالله الذى اختاره لهم كان يعتبر مجمعا لليهود ومن بعد خروجهم من مصر الى سيناء والأرض التى وعدهم الله موطنا يتجمعون فيه و باستيلائهم كما ذكرنا من قول سترابون على المقدس فى فلسطين كما فعل ذلك فيما بعد هونيا الرابع الكاهن الأعظم سابقا فى قدس أرض هونيا أى مدينة الشمس فى مصر والذى كان يعتبر نفسه خليفة لموسى فى مصر بعد أن ساءت أحوال اليهود فى مقدس فلسطين فجمعهم فى مصر فى عهد البطالمة بأن أنشأ لهم معبدا ومذبحا يلتفون حوله على غرار ماكان فى القدس الفلسطينية حسب نبوءة النبى أشعيا ـ ثم انتشارهم مع موسى تسللا فى أرض كنعان أو فلسطين فأينما ساروا كان الله معهم و بأمره رعاة وحضر ، إن كان فيهم حضر ، يتحركون ولكن فى حصار من أنفسهم بين الناس وعزلة وكان الله من اختيارهم واعتبروه رمزا عنصريا لهم فاليهود على خلاف المسيحين والمسلمين لم يعتبروا دينهم دينا عالميا للبشر عامة وأن كل من يدين به يكون أخا لهم فى الدين بل قصروه عليهم قبيلا وجنسا ولم يحاولوا التبشير به خارج مجتمعهم العنصرى بل كانوا فى حدود جنسيتهم فقط يهودا بينما انتشرت المسيحية المنبثقة من اليهودية وانتشر الاسلام بعد ذلك ودان بها العالم أجمع وكان الاسلام خاصة دينا عالميا فقد أرسل النبى صلى الله عليه وسلم « رحمة للعالمين وليظهر الدين على الدين كله » وقد كان هذا تبشيرا بالاسلام عن طريق نقودهم التى انتشرت فى العالم الرومانى والفارسى وكانت كلها ذهبا وفضه و برونزا تحمل مثل هذه الآيات وغيرها من القرآن بين أيدى المتعاملين بها ممن سيطروا عليهم بالفتوحات كخلفاء للأمبراطورية الفارسية والرومانية .

وكذلك يفعل المسيحيون فى العصر المسيحى قبل الإسلام أو البيزنطى أو الرومانى المتأخر فى أمبراطوريتهم الواسعة التى ورثها المسلمون فكانت النقود البيزنطية تحمل

صور المسيح و بيده الانجيل تبشيرا بالمسيحية بين الخلق . وهذا واضح حتى الآن من عدد المسلمين والمسيحين وسعة رقعة انتشارهم فى العالم بأسره ثم عدد اليهود الذين كانوا بنى اسرائيل وأصبحوا الآن فى اسرائيل اسرائيليين .

ورغم أن الإسلام نزل فى جزيرة العرب أول ما نزل إلا أن العرب قاموا بالدعوة له بين العالم أجمع عن طريق دعوتهم سلما ولكن اليهود كانوا قلة مبعثرة مستضعفة من البدو ولم يمكن أن يناهض دينهم الإله الأكبر أبن آمون أى فرعون الذى يؤمن به المصريون جميعا وهم فى ضعفهم وتأخرهم وصغر شأنهم لم يكن أمامهم إلا الهرب بدينهم من أكبر وأقدم دولة فى العالم القديم حضارة ورسوخا وعددا وكان ذلك بالنسبة لهم « عيد الخلاص » وذكراه عندهم عيد الفصح فلما ذهبوا إلى سيناء وجدوا عددا من البدو من جنسهم قليلون من عبدة الثور أيضا فلم يبشروا بالدين إلا فى بنى جنسهم من اسباط بنى اسرائيل ولما انتشروا تسللا الى البلاد الأكثر حضارة منهم كنعان وفلسطين وسوريا كانت عزلتهم بين هؤلاء المتحضرين سببا فى عدم تأثيرهم فيمن غزوهم وكان أنطواؤهم هذا سببا فى أن يكونوا مشغولين بأنفسهم غرباء عمن حولهم فلم تقم لهم حضارة يتأثر بها أحد ، حتى الله اختاروه هم ربا لأنفسهم وكان موسى كما يقول الاستاذ . دريوتون فى حديثه مع فرعون يقول « رب العبرانيين » (أنظر ملاحظة ٢٤) .

ثم هم الآن فى عصرنا يحتكرون السامية كما احتكروا اليهودية لأنفسهم وأخذوها هى الأخرى رمزا عنصريا لهم فمن عاداهم وناهضهم حتى العرب الساميين يكون فى نظرهم معاديا ومناهضا للسامية وهم يعرفون أن العرب ساميون وأن قدماء المصريين والآشوريين والبابليين ساميون وأقدم حضارة فى العالم حضارة الساميين ممثلة فى مصر الفرعونية وآشور (٢٠) كما يذكر ذلك الدكتور فؤاد حسنين أما هم فيعرفون أنهم وجه السامية القبيح .

أن تقيدهم بتلك العنصرية البغيضة ظاهر فيما لم يصلوا اليه بعد من تحديد تعريفهم من هو اليهودى .. ؟ فليس لأى انسان أن يكون يهوديا كما يكون أى فرد مسلما أو مسيحيا دون قيد أو شرط وحتى لما ضربوا نقودهم كان تبادلها محدودا بينهم

فى حيز مدنهم ولم يكن لها انتشار فهى عملة خاصة لاقيمة لها خارج نطاق مدنهم بل محلية ضيقة الاستعمال لاسوق لها تجاريا فى الخارج فكانت غير معروفه ولكنها كانت تحمل أهم معالم معبدهم و بعض رموز هامة دينية كعصا موسى التى صارت حية تسعى وهى التى تشكلت بها النجمة السداسية اليهودية كما سنرى فيما بعد .

فإذا ما رجعنا الى الكتاب اليهود من اليونانيين الذين يتحدثون عن موسى واليهودية فعلينا أن نأخذ كلامهم بحذر شديد وترو كبير كأقوال المؤرخ جوزيفوس

فالتعصب والتحيز اللذين أبداهما ليسا إلا خلفية لكل ما يقوله هذا المؤرخ اليهودى فى كلامه عن موسى وقومه فى مصر فأخطاؤه المتعمدة ومغالطاته ومخالفته حتى للتوراة وتعمد تناسيه له انما يدل على تعصبه وعنصريته الجامحة والواقع أن مغالطته فى سرد تاريخ مصر فى ذلك الوقت قبيل الخروج كان اساسها هذا التعصب وشدة تحيزه لخلق ولزعم دور لليهود وخاصة لموسى فى حرب افتعل وقوعها بين مصر والاحباش (النوبة) آنذاك .

فبعيداً عن الخلافات الدينية بين فرعون مصر وموسى وقومه من العبرانيين لم تقم فى تلك الفترة أية حرب بين مصر وغيرها أياً كانت .

والعجيب أن جوزيفوس فى كتابه « الآثار اليهودية » فيما سنذكر عن العهدين المحتمل أن يحدث فيهما الخروج ، عهد امنيوفيس الثانى وعهد رمسيس الثانى أن صح ماذهب اليه القائلون بذلك كانت مصر فى أوج قوتها سياسيا وعسكريا ثم أن عدم ذكر هذه الحرب واتجاه رمسيس الثانى للشرق كل ذلك يدحض قول جوزيفوس و يقوم دليلا على عدم توقع فرعون لحرب أخرى وفى هذه الحرب التى لم تقم إلا فى خيال جوزيفوس تولى موسى أمرها وصال وجال ورد العدو والغازى بعد أن وصل الى تخوم منفيس ودحره فى عقر داره فأعجبت به أبنة الملك العدو وأرسلت تطلب الزواج منه فساوم بقبوله طلبها على أن تستسلم المدينه التى كان يحاصرها مساومة لا تأتى من رجل مثل موسى أخرجه هذا المؤرخ عن خطه الدينى وفلسفته الانسانية الصادقة السامية وهو الذى تزوج فى سيناء كما نعرف ذلك من الكتب المقدسه وهو فى زعمه المنتصر الذى لاحاجة له لمثل هذه القصة الخيالية التى اخترعها جوزيفوس له كأنه

صحفى من اسرائيل ينفخ فى بوق دعاية فيدعى له صفة الرجل الذى ينهزم، الى فصاغ تلك القصة تعصبا و يشيد بقومه ويخلق لموسى دورا غير صحيح فحاد بموسى كذبا عن طريق أوحى به الله إليه ليؤهله أن يكون له نبيا وسنورد ذلك تفصيلا فيما بعد.

أما جوز يفوس فلم يسعفه خياله أن يخبرنا عما تم فى أمر هذه الزيجة الوهمية وهو يناقض نفسه فى ذلك فكانت رواية سترابون لقصة موسى أقرب ماتكون الى الاقتناع وسط هذا الخضم من ادعاءات جوز يفوس الذى يكاد يكون معاصرا لسترابون فيطلق العنان لميوله ونزعاته الدينية والعنصرية وتعصبه فيختلق قصة لموسى وهمية لا أساس لها من الصحة ومخالفة للتوراة والقرآن متذكرا فقط ماعاناه قومه من الأقدمين فى مصر فكره ذلك وأراد أن يعلى شأن قومه بفضل ادعاه لهم ولم يكونوا أهلا له. وزج بموسى فى كذب قوله فافترى عليه بدعاية سافرة تجاوز بها الحقيقة وخلط التاريخ.

إلا أنه ذكر حقيقة معترفا بها وهى أن موسى « حظى بقسط وافر من التعليم والثقافة بكل عناية » (٢١) وهذا قول منطقى فبعد أن تبنته أبنة فرعون يصبح من الضرورى كأحد أفراد الأسرة المالكة أن يتعلم ولكن جوز يفوس يحرف التاريخ وما أنزل فى للتوراة و يبعد عن المنطق بعكس ما يقوله « فيلو» فيا سنرى مما يوجب اعتبار موسى فيلسوفا دينيا فى تأمله وتفكيره لا أن يكون رجل حرب حسب رغبة الملك ورغم معارضة أمه بنت فرعون التى تبنته وما أتاه من ضروب الشجاعة التى أثارت إعجاب بنت ملك الحبش ثم يزعم أن فرعون من ناحيته كان يريد أن يتخلص من موسى وقومه وموسى كان على علم بذلك. وهذا يخالف تماما حقيقة التاريخ وما ورد فى الكتب المقدسة فموسى هو وقومه كانوا يريدون الخروج فخرجوا هربا رغم إرادة فرعون الذى كان يخشى أن ينضم الجنس العنصرى المستذل المعذب فى جوشن إلى عدو يأتيه غازيا فكيف إذن يكون تسليم رجل من بنى اسرائيل إمرة الجيش دفاعا عن مصر بل ذهب جوزيفوس إلى أن موسى وقومه أتوا بنصر لمصر عظيم رغم إجماع المؤرخين جميعا أن بنى اسرائيل كانوا رعاة فى أرض جوشن أو أرض المراعى التى كانوا يرعون فيها ماشيتهم وكما يقول الأستاذ مايام Mayam (٢٢) أن كلمة جوشن تعنى المراعى أو المواشى فجوشن وجوشا وجوسانى وجوسان وجوسن وجاشنو، كل هذه الألفاظ تدور حول المكان الذى تحفظ فيه الماشية أى حظيرة ويمكن أن

يكون مرعى ولفظة جشنو تعنى الحيوان الصغير إذن فهم رعاة فى أرض المراعى شرقى الدلتا ولم يأتوا بنصر ما بل المفروض أنهم كانوا عقبة فى سبيل النصر فقد كانت ثقة مصر فيهم ضئيلة تدعو لعدم الاطمئنان اليهم والخوف من أن ينضموا لعدو يأتى من الشرق فقد كانوا فى ذلك الوقت بالذات قلة مستضعفة مطحونه فى سخرتها منعزلة فى بداوتها رعاة وعمالا فى مصانع الطوب و بناة للمدن مسخرين معذبين كما ورد فى التوراه ولم يكونوا جنودا ولا محاربين يعتمد عليهم لقوتهم ولا فى إخلاصهم لمصر بل على العكس تواقين للخلاص من حياتهم هذه شاكين فى غير ثورة متذمرين فى صمت وذلة خاصة بعد أن أراد لهم فرعون استقرارا بدل الترحال.

ترعرع موسى فى القصر الفرعونى وتعلم وحصل على ثقافة وعلم ولابد أن يكون بحكم ميوله وعقليته قد ألم بالأسرار والطقوس فكان ماذهب اليه سترابون بالنسبه إلى موسى أقرب إلى طبيعة الأشياء من أن يكون قائدا حربيا عند جوزيفوس اليهودى يذود عن مصر و ينصرها على الغزاة الأحباش فيحسده البلاط و يغار منه ويخشاه فرعون ويخاف بطشه ويخافه أعداؤه وتعجب به النساء و ينبهرن بذكائه وشجاعته و يقعن فى غرامه فكان محسودا مكروها لصفاته وكريم شيمه وشجاعته وانتصاراته وكان موضع تقدير الجميع وكرههم بل فات جوزيفوس أن يقول أنه كان البطل الذى لاينهزم كما تقول أبواق الدعاية الآن من بعده بأربعين قرنا دعاية ظاهرة وتعصبا عنصريا وتزييفا للحقيقة واختلاقا وكذبا على الله والتاريخ فانظر كيف يفتعل فضلا لاسرائيل شهدت به الآلهه المصرية إذ يقول « فلما وصل الغزاة الأثيوبيون إلى أبواب منفيس لجأ المصريون لاستشارة الآلهة طلبا لنبوءة باستلهام الوحى وإذا النصيحة تأتى من الإله « أن اتخذوا من اليهودى حليفا » (٢٣) .

ومن يكون هذا اليهودى ؟ أنه يقصد اليهود وعلى رأسهم موسى فكيف يمكن لهذا المتعصب اليهودى أن يجعلنا نصدق أن نبيا يرضى أن يقوم على رأس جيش يحارب و يقتل و يتزوج من بنت ملك لادفاعا عن دين أراد الله أن يظهر به ولا تبشيرا لهذا الدين بين الناس حتى التبشير بالحرب لم يكن مباحا وكيف يريد هذا الكافر بموسى أن يجعلنا نصدق غير ما كتبته كل الكتب السماوية واتفاقها على وضع الخروج من مصر أن نقبل أن موسى عندما كلف بقيادة الجيش كان يضمر هو ورؤساء عشيرته

أنْ يهربوا من هناك أى من الحبشه « النوبا » إلى سيناء أى منطق هذا الذى يجعل الانسان يتصور نبيا يخادع مع أنه أمر بأمر من الله أن يخرج ناسه وأن تعرضْ للمهالك كما روى الكاتب اليهودى فيلو الذى أتخذ دليله فى التاريخ لموسى أنه نبيا ومشى على هذه السيرة يؤرخ للحوادث وقد كان فى عدم تعصبه لليهودية أقرب من جوزيفوس فى عرضه للمسأله اليهوديه إلى سترابون . إن جوز يفوس قد جعل من الخروج من مصر بأمر الله محاولة للهرب وخدعة كما يفعل المارقون وجعل من نبى جليل يأتمر بأمر من الله امرءا سيىء النية طويته غامضة لايمكن أن يكون شأن موسى عليه السلام ثم هو يجعل من العبرانيين «بنى اسرائيل» عنصرا له شأن وكيان قوى وقدر يساوى مصر بأكملها وعونا يساند مصر فى حربها ضد الغزاة وهم الذين عاشوا كما قدمنا رعاة منعزلين مبعثرين فى صحراء مصر الشرقية أى أرض جوشن وتذكرهم النصوص المصرية كما يذكر الأستاذ دريوتون «عابيرو أو خابيرو» Khaperou أو Aperouj (عابيرو) وهو اسمهم الجنسى أى العبرانيين بمعنى الرعاة طيلة وجودهم فى مصر وخرجوا من مصر يهودا بعد قيام اليهودية برسالة موسى عليه السلام « وكان موسى يتكلم الى فرعون بلغة يفهمها المصريون وقال عن يهوا إله اليهود (إله العبرانيين) (الخروج ٥ - ٣) (٢٤) .

ثم أن « فيلو» زميل ومعاصر جوز يفوس هو كاتب يونانى يهودى مشى على هدى القصص الدينى وذلك مافات جوز يفوس الذى عاش على الأرض ونسى السماء يروى لنا « فيلو» عن موسى فضائله وفضله فى اتصاله بقومه وهو فى مكان الصدارة والملك فى مصر ناصحا أياهم طالبا من رؤسائهم من المصريين فى الأعمال المسخرين فيها الترفق بهم والشفقة عليهم والرحمة بهم وكان يشجع قومه بالكلمة الطيبة على « تحمل ماهم فيه من ظروف بشجاعة »ثم يواسيهم بما ينعش آمالهم ويحيى فى نفوسهم الأمل فى المستقبل والقوة على التحمل متمثلا الحكمة المصرية البالغة التى درسها وتعلمها بحكم تربيته الخاصة لما كان له من انتماء إلى البيت المالك بالتبنى كما أشرنا فيما سبق وقد أورد فيلو كثيرا مما جرى به لسان موسى من تلك الحكم فى مواساته للعاملين المسخرين المعذبين من بنى اسرائيل فى مصر فينصحهم « ألا يجعلوا أرواحهم تشق بشقاء أجسادهم » وأن « يتوقعوا الخير يأتى من الشر» ثم يتكلم اليهم بمنطق

الصابرين مهونًا عليهم هوانهم و يصبرهم على شفائهم فيقول «إن كل الأشياء فى هذا العالم تتغير إلى اضدادها : السحب إلى سماء صحو، ورياح هوجاء عاتيه عاصفة إلى هواء هادىء رقيق ثم بحار صاخبة هائجة الى هدوء وأمان كذلك فان الطبيعة البشرية ربما تكون أشد تغيرا (٢٥).

إن هذه العبارات المشجعه لايمكن أن توجه إلى قوم يعيشون فى سعادة ورخاء ولكنها تصدر عن رجل دينى ملهم عالم فهذا هو موسى رجل سلم ودين مسالم متمسك فى تواضع وقوة بقومه حريص عليهم رغم أنه وصل إلى أوج العظمة التى يصبو اليها كل انسان فكان ينظر اليه الجميع على أنه «سيكون خليفة جده فى الملك وكان لذلك يسمى الملك الجديد» (٢٦).

ولم يكن فى يده أن يرفع عن قومه ظلما أو يردع الظالمين وهذا البؤس الذى خيم على قومه والظلم الذى حاق بهم قد أثار موسى وأثقل قلبه إلا أن رجلا واحدا كان أقسى رجل بين رؤساء العمال من قومه أثار غضب موسى أكثر من أى انسان آخر فى قسوته وشدته عليهم وظلمه لهم فقتله موسى. وقد اعتبر موسى قتل هذا الرجل.. عدلا «وكان ذلك عدلا فالانسان الذى يعيش لقتل الآخرين يجب أن يقتل» (٢٧).

هذا ما فعله موسى حسب ما يرو يه لنا فيلو وكما يحلله منطقيا وقد كان بنو اسرائيل يعملون تحت رقابة رؤساء قساة فى عمال «ضرب الطوب من الطين و بعضهم يجمع القش من كل مكان فالطوب يتماسك بالقش ثم أن منهم من يبنون بيوتًا وأسواراً ومدناً و يشقون ترعا وكلهم مسخرون فى ذلك تحت أمرة هؤلاء الرؤساء» وكلهم غلاظ القلوب وهذا ما وجد موسى قومه عليه منذ نشأته وكان هذا تصور فيلو لصدر حياة موسى ولكن دون أن يشير إلى عمل موسى ككاهن كما أخبرنا سترابون فقد أغفل ذلك لشدة تمسكه بخطه الدينى اليهودى وربما كره لموسى أن يكون كاهنا.

أصل اليهود فى التقاليد المصرية

يقول لهم السيد المسيح (يوحنا ٨ ـ ٤٤) « أنتم من أب هو أبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ، ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب » .

هكذا كان ست « تيفون » أى الشيطان عند المصريين وكان العبرانيون الاسرائيليون من عبدته المتعصبين فقد اختاروه إلها وجدوا فيه ، على خلاف غالبية المصريين ، مثلهم الأعلى ثم أنه بسبب ما رآه وعرفه المصريون فيهم من خلق وطباع اختاروه أبا للعبرانيين منذ وجودهم بمصر وظل هؤلاء العبرانيون ثم اليهود بعدهم فى مصر أبناء وأحفادا من سلالتهم أجيالا تلو أجيال وهم كما عرفهم المصريون على حنقهم هذا ماضون وعلى طبعهم محافظون وعلى تقاليد عنصريتهم قائمون وشهدت بذلك الكتب السماوية .

أدخل المصريون هؤلاء العبرانيين واليهود فى التقاليد المصرية فى ذرية ست وجعلوه أبا لهم فى خرافاتهم الدينية وهو الإله الذى يرمز إلى الجدب والقحل والصحراء والرمال الحارقة والبحر الذى يبتلع ماء النيل و يفسد الأرض وهو الذى قتل أخاه أوزيريس رمز المياه المخصبة للأرض فكان كما ورد فى كلام السيد المسيح « قتالا للناس » و بعد أن هزمه حورس ابن اوزيريس وانتقم لأبيه « هرب ست من المعركة راكبا حمارا واستغرقت رحلة هربه سبعة أيام على ظهر الحمار كما يقول بلوتارخوس (٢٢) فكان استعمال ست للحمار ولغباء الحمير ولونهم انتسب الحمير إلى تيفون فكان ذلك سببا فى كره المصريين لها فى عقيدتهم ولذا فقد لقبوا أوخوس آخر [illegible] الفرس فى مصر وشرهم « ارتكسر [illegible] الثالث » لتعسفه و[illegible] ظلمة [illegible] بالحمار [illegible] رده على المصريين « أن هذه الحمار سيحتفل [illegible] [illegible] القائلون بأن بعد رحلة ست فى هربه وكـ[illegible] [illegible] الحمار [illegible] وبحماته أصبح أبا لهيروسوليموس Hierosolymos [illegible] [illegible] هؤلاء كانوا يريدون [illegible] [illegible] [illegible] المصرية كما [illegible] (٢٣) [illegible]

إذن أن المصريين بعد أن عرفوا بنى اسرائيل (العبرانيين) فى معاملتهم معهم تمام المعرفة وخبروا أخلاقهم وشذوذ طباعهم وعنصريتهم التى أنطوت عليها نفوسهم الحقوهم أبناء من أب هو « ست » إله الشر والشيطان أى الإله العدو فى عقيدتهم تمام. كما قال لهم السيد المسيح بعد أكثر من عشرين قرنا « أنتم من أب هو أبليس » ثم يضيف الى أبليس هذا قوله « ذاك كان قتالا للناس وأنه لايعرف الحق وكذاب وأب للكذابين « فمن وجهة النظر المصريه العامة يعتبر انتساب العبرانيين (بنى اسرائيل) وعبادتهم هذا الإله ست فى مصر قبل موسى بمثابة اعلان لوجود حركة متقدمة جدا للصهيونية المعاصرة الآن وإعلان المصريين أنهم أى العبرانيين ينتسبون

إلى تيفون أو ست أبناء ينحدرون منه فى خرافاتهم الدينية كان بمثابة إعلان من جانبهم ضد العنصرية ومقاومتهم لها وأصبح بنو اسرائيل فى مصر أولاد « ست » الذى يسميه اليونانيون « تيفون » أى أنهم ينحدرون من أصل شر يرفهم كذابون ليسوا على حق أنانيون منطوون بطبعهم عنصريون فى حياتهم المنعزلة لايحبون خيرا لغيرهم كأبيهم . أولم يكن النزاع القائم فى مصر بين الماء المخصب والحياة و بين الصحراء ورمالها الحارقة وجدبها وجفافها والقحل المدمر الذى يقضى على الحرث والنسل و يأتى بالعقم و ينشر العدم والعسر والضنك هو نزاع بين اوزيريس، وست فى عقيدة مصر بطبيعة أرضها ونيلها بواديها بين صحرائها .. ؟

هذا هو ست .. الذى جعل منه المصريون كما يخبرنا بلوتارخوس رمزا لكل الحيوانات والنباتات الضارة والبحر المالح والحوادث المفجعة وكانت كل تلك الشرور أيضا ترمز اليه وكانت تجسيدا له ومنسوبة إلى أعماله (٣١) .

هذا هو ست فى عقيدتهم أبو العبرانيين وأما الحياة والرغد فرمزها « أوزيريس » رمز النيل الذى قتله أخوه « تيفون » رمز الجدب وريح الجنوب المهلكة والبحر المالح الضار بالأرض ، وظل الصراع بينهما محتدما حتى بلغ ذروته فى عصرنا ببناء السد العالى ولايزال النزاع قائما . كذلك كان كره المصريين فى ذلك الوقت السحيق للعبرانيين قائما بلا مزادة فان إنحدر اليهود أصلا من ست إله الشر المصرى فما ذاك إلا لما رآه المصريون فيهم ومنهم قديما جحودا وعنصرية حاقدة ونكرانا و باطلا يجب مقاومتهم بسببها كما كانوا يقاومون ست أو تيفون كما سنرى فهؤلاء اللاجئون الرحل الذين لم

يرتبطوا بوطن كان يطاردهم الفقر و يسلب كرامتهم العوز و يعضهم الجوع و يفقدهم أطمئنانهم الإضطهاد ولما أن أمنوا كل ذلك انقلبوا على مصر وخرجوا منها حاقدين ثم رجعوا إليها مستغيثين ثم هم اليوم حاسدون كارهون فإذا قال بلوتارخوس أن القائلين بيروب بست على ظهر الحمار من معركته مع حورس المنتقم لأبيه مدة سبعة أيام و ولد له بعد نجاته ابنان هما هيروسوليموس يا هوذايوس وهما آباء العبرانيين واليهود فما ذاك إلا ربط بين شر ست وشرور خلفه الذي تركهم في مصر بعد ذهابه عنها ربط أراده الكهنة المصريون وهم الفلاسفة والفكليون كما يصفهم سترابون (١٧ - ١ - ٤٠) فربطوا العبرانيين بهذه المناسبة بست بعد ما فهموا وادركوا على طول الزمن تلك العنصرية الطاغية الخطرة وصدر قرارهم هذا لينبهوا الشعب المصرى فى أساطيرهم المندسة إلى خطر هؤلاء الغرباء المستضعفين من العبرانيين فى شرق بلادهم فكان هذا أول إعلان لمقاومة العنصرية المهددة المحتلة وجه السامية القبيح والشرذمة المنبوذة والصهيونية التي يقاسي منها العالم العربي الآن فهذا الوجود الطفيلي ذو الأطماع [illegible] المعزولة عن مصر وعن الشعوب كلها قديما لا يشتمي إلا إلى ترهات أنانية [illegible] جبسنين (٢٠ - ٥٥) حتى دين الله أرادوا أن يشغلوه عنصريا فقصروه على عشائرهم الذين لا حضارة لها ولا جذور ثقافيه ولا وطن بل تطفلوا على مصر [illegible] العلم والفلسفة والحضارة وتآمروا حيث أرادوا أن يكون لهم كيانا بالحنين الجديد كما لا يزالون يتطفلون على العرب و يدعون أنهم عربيون [illegible] حتى [illegible] العرب دولة اسرائيل [illegible] ولكن هيهات أن [illegible]

و يكون ذلك هو تجمعهم الرابع فى اسرائيل بعيدا عن مصر بل [illegible] عالمي [illegible] المنطقة [illegible] العمل [illegible] [illegible] [illegible] بالقومية [illegible]

عن أي مجتمع يعيشون فيه بسبب لانعدام أية حضارة لهم .

كانت عزلتهم الدينية الأولى فى عهد ابراهام ثم عزلتهم الدينية الثانية فى عهد موسى وقد اختار لهم سيناء « لأنها أنسب مكان للرياضة الروحية » (٢٠-٥٧) كما يرى الأستاذ فؤاد حسنين وخاصة حيث توجد مدينة قادش « المقدسة » المركز الدينى للعقيده المعينية السائدة فى شمال الجزيرة (٢٠-٥٨) وفى طريق القوافل شرقا إلى بابل وآشور وغربا إلى سيناء ومصر وكانت كما سنرى مركزا لعبادة الثور قبل اليهودية وتحدثنا التوراة بأن بنى اسرائيل أقاموا هناك اربعين عاما وتكاثروا بالزواج وانضمت اليهم قبائل أخرى وظلوا يتنقلون بين قادس وايلات . كانت الوسيلة التى تطورها الوعي القومي هى نزول الوحى المستمر الذى يعرف الشعب الاسرائيلى بإرادة الله وأوامره وكان الأنبياء هم القنوات التى من خلالها يعرف الشعب طريقه وطبيعة وإرادة الله أى الأقوال التى صدرت عن الأنبياء التى ابتدأها موسى واستمرت بعده حتى عصر التفرق اليهودى المتأخر وكانت أقوال الأنبياء طوال هذا العصر واحدة وكان لفظ النبى عندهم مرادفا للفظ متنبى أو عراف وكان يوحى اليهم عن طريق الرؤيا فالنبى أو المتنبى يأتيه الوحى تحت ظروف غير عادية من الوعى فى حالة التجلى أما بالغيبوبة كما يخبرنا فيلو الكاتب اليهودى عن موسى عليه السلام فيقول أنه كان يتكلم فى هدوء فى إرشاده و بعد برهة تستولى عليه وتسيطر روح تملأه كانت متعودة أن تأتيه وتتردد عليه فإذ به ينطق و يتفوه بكلمات التنبوءات (٣٢) فكان إذن يتكلم بروح يهوا ثم أن الطريقة الأخرى كانت الرؤيا للأنبياء فلما ادرك موسى كما يقول فؤاد حسنين أنه قد حان وقت الاستيطان طلب منهم غزو كنعان تحت شعار كنعان هى أرض الميعاد وهى التى لم يروها من قبل ورغم ذلك يدعون أنها وطنهم (٢٠-٥٨) و بوعد الله تحقق استيطان اسرائيل لكنعان وكانت كما سيأتى أرضا لعبادة الثور « فالأرض عندهم ممزوجة بالعقيدة ولا تنفصل واحدة عن الأخرى » « والوطن بلاد لم يروها ولم ينشأوا فيها ولم يتوارثوها أبناء وأحفاد ككل وطن آخر » هنا نجد أن شعبا يظهر أولا إلى الوجود ثم يتجه روحا إلى أقليم معين كوطن ثانيا « أى الفكرة القومية أولا ثم الوطنية ثانيا فانظر كيف كانت عنصريتهم معترفا بها بين الجميع بخلاف التطور الاجتماعى فى حياة الشعوب فى العالم والقوميات

المختلفة» ولذا فالاقليم والطقس تلعبان دورا ثانويا جدا فى حياة الاسرائيليين الذين نجدهم «يعيشون فى أى بلد وتحت كل سماء دون أن يفقدوا شخصيتهم أو يغيروها فهم لا يفنون فى البلد الذى يعيشون فيه» (٢٠-٢٨).

وهكذا تجمعوا الآن من كل بلد فى العالم فى اسرائيل وهم ليسوا منها ولا هى أرضهم ولكن خيل اليهم أنها أرض ميعاد وسيفنون فيها.

استغلوا السامية وظلموها ولعنصريتهم كانوا وجه السامية القبيح وهم الآن فى اسرائيل اجناس شتى لا تجمعهم غير اليهودية دين الله للناس أجمعين ولكنهم ظلموها هى الأخرى لارتباطهم بها عنصريا وجعلوا منها دينا قوميا عنصريا وحبسوها عليهم فانبثقت عنها المسيحية لتطل على العالم أجمعين وأصبحت اليهودية بعنصريتهم دين أقلية منبوذة منعزلة عن الناس والناس عنها منعزلون.

أن وضع موسى كما ذكره وقرره فيلو أقرب ما يكون إلى الواقع والعقل وهذا هو كلام موسى، لقومه المغلوبين على أمرهم، بحكم وأمثال أعدها وأخذها وتعلمها من مصر التي نهل من علمها وحكمتها وأمثالها، وهي دليل على صحة تاريخه في صدر حياته في مصر حيث تعلم وتثقف فوعي حكم مصر وأمثالها القديمة فأن نطق بهذه الحكم التي وردت في كتاب فيلو (ملاحظة ٢٥) فإنما يقول ما تعلمه وتأمله وتفهمه وحفظه من مصريين حكماء سبقوه، وقد انتشرت أقوالهم في المعابد وعلى ألسنة الكهنة من مدرسيه في عصره وقبله بزمن بعيد، وقبل ظهور كتاب الأمثال الذي ألفه سالومون بن داود في العصور المتأخرة، والذي نحى فيه مؤلفه نحو الحكماء المصريين وترجم جانبا كبيرا من حكمهم .كما سنرى، والتي أتت عن ملوك وحكماء، خاصة في أسلوب توجيه هذه الحكم والأمثال إلى الأ بناء حقيقيين أو وهميين.

و يقول الأستاذ مونتيه أن بتاح حوتب قد ألف كتابا من حكم الشيوخ ليتعلم منها الشبان الحكمة الحسنة والمثل الطيب و يعطي السعادة لمن يسمعها و يتعظ بها، و يضار من يخالفها. (٣٣).

وقد تواضع الأخلاقيون مصريون و يهود على مبادىء أساسية، وهي أن البشر لا يملكون أن يسيطروا على مصيرهم و يؤكدون على وحدة البشر في الأصل ويحضون على احترام الفقراء. (ملحوظة ٢٩ ص ١١٥) والبر بالوالدين وتأديب الأولاد والنساء بالعصى. وقد أخذ اليهود عن المصريين حكمهم القديمة قدم تاريخ مصر وقد كانت دستورا معمولا به بين رجال الدين من الكهنة والحكماء والوعاظ من الأخلاقيين وقد تلقنها موسى على يدى مدرسيه في المعبد، فانظر قول «بتاح حوتب» الحكيم المصرى القديم من الأسرة السادسة «ليست ارادة الانسان هي النافذة ولكنها مشيئة الله» (ملاحظة ٢٩ ص ١١٥ بتاح حوتب أبيات ١١٥-١١٦) ثم ما ورد في Philo على لسان موسى بهذا المعنى أيضا عندما يهدىء من روع قومه لنا أن الحق

بهم مطاردوهم قبيل عبورهم البحر إلى سيناء «أن طريقة الله فى الدفاع ليست كما يفعل البشر» ثم قوله «أن المستحيل بالنسبة للبشر عند الله ممكن وفى مقدور يده» «الله بقدرته يجد مخرجا حيث لا مخرج» (٣٤).

وكذلك كانت تحتوى حكم أمونيموبى على كثير من أمثال هذه الحكم، وهو حكيم عاش حسب تاريخ جاردنر بين الأسرة ٢١ الى العصر الصائى، وقد كان فضل هذه الأمثال والفلسفة كبيرا فقد اخذ عنها اليهود فى كتاب الأمثال التى ألفه سالمون وسار فيه على هدى أمثال مصر وتثقفت بها اليهود وحكماؤهم. فوجود اليهود بمصر كان له الفضل الأكبر فى تثقيفهم هذه الحكم والأخذ بها. فقد تشابه كتاب الأمثال اليهودى تماما فى معظم ما جاء فيه من أمثال أمونيموبى المصرى. حتى ظن الأستاذ دريوتون أن كتاب سالومون فى الأمثال اليهودية هو الأصل وأن أمونيموبى- كما يقول- كان «يتكلم العبرية باللغة الهيروغليفية».

أما الأستاذ مونتيه فيعارض ذلك و يدلل على أصالة الأمثال وأنها مصدر الأمثال اليهودية وأن البيئة المصرية ظاهرة الأثر فى تلك الأمثال فانظر قول أمونيموبى «أن الانسان خلق من طين وقش (والله) صانعه منها» (ملاحظة ٢٩) و يعلق الأستاذ مونتيه على ذلك بقوله أننا نرى فى هذا أرض وادى النيل حيث يعمل الطوب النيىء من الطمى والقش وهذا دليل قاطع على أن هذا عمل مصرى أصيل.

والحق أن بلوتارخوس المؤرخ اليونانى يذكر مايؤيد هذه الأصالة و يؤكد رأى الأستاذ مونتيه فى مصرية هذه الأمثال والحكم التى كانت سائدة فى كل العصور المصرية كما نرى، وقد وعاها المصريون وحفظوها تعاليم دينية ونقشوها على جدران معابدهم، وقد أفاد منها أيضا موسى عليه السلام فهى دستور الحياة الفاضلة عند المصريين القدماء فنحن لاننتظر الموعظة الحسنة والحكمة من كتبنا المقدسة فقط، فقد وجدت هذه الحكم وسادت من قبل ولكن الله سبحانه وتعالى إذا أراد لها نشورا حض علينا وأيدها فى كتبه السماوية المختلفة بعد أن يدعمها بقوة الإيمان وحساب الناس على اتباعها أو مخالفتها فى الآخرة ثوابا أو عقابا فيجعلها ذات فاعلية وأثر لم يكن لها من قبل وقانونا ملزما جزاؤه خير لمن أهتدى وهكذا كانت أدياننا السماوية شريعة وقانونا لحياتنا الدنيا الصالحة.

فبلوتارخوس يذكر لنا حكمة مصرية وجدت محفورة على جدران معبد أثينا في سايس وقد ذكر بلوتارخوس هذه الحكمة برموزها الهيروغليفية وحلل هذه الرموز وفسرها وقد كشفت لنا هذه الحكمة عن مقدار ما كان لهذه الحكم من تأثير واضح في انتشارها من المعابد المصرية واليونانية الرومانية فيما بعد على طول تاريخ مصر متناقلة بين الأجيال ومقدار ما تأثر بها اليهود إذ أنها كانت حجر الأساس في فلسفة موسى الدينية في تأملاته قبل الوحي مدة طويلة ،فالمؤرخون يقولون بأن الوحي قد نزل على موسى في الثمانين من عمره وكان عمره المديد هذا حجة قوية تؤيد وجود موسى تحت حكم رمسيس الثاني الذي مات في التسعين من عمره في عهد ابنه منفتاح أيضا من بعده كما سنرى (ملاحظة ٢٩ مونتيه ص ١١١) فموسى طوال وجوده بمصر كان تفكيره وكلامه مصريا ، كما تعلم بها فلم تكن له لغة أو علم إلا بما تعلمه كالمصريين ولم يكن لقومه حضارة ولا دين ولا صناعة إلا ما أخذوه عن المصريين أيضا ، وكان موسى يحاول حتى بعد رسالته أن يتكلم باللغة التي يفهمها المصريون كما ذكرنا عن الأستاذ دريوتون قوله لفرعون (إله العبرانيين) يقصد « يهوا » وهو مصري أيضا فما نطق به من حكمة مصرية عند مواساته لمن كان يعاني من قومه عذاب وعناء وظلم السخرة في الأعمال العامة مشجعا اياهم يمنيهم بقرب الخلاص وتغيير الحال كما يتغير كل شيء و ينقلب إلى ضده حتى النفس الانسانية أكثر تغيرا من كل مظاهر الطبيعة الأخرى فلا دوام لعذاب ولاضعف بل سيأتي من الشر خير ومن الضعف قوة ومن العذاب خلاص ورحمة ، ان كل ذلك من حكمة مصر فما كان لليهود حضارة ولا أدب إلا حضارة مصر ولا حكمة إلا حكمة مصر ولادين دانوا به قبل اليهودية إلا دين مصر نقلوه معهم وارتدوا إليه بعد أن دانوا باليهودية ، ثم توهموا أن كل هذه الخلفية التي نشأوا عليها كانت لهم ، وهل كان موسى إلا مصريا تربى في مصر وعلى أرضها وتثقف وتعلم بحكمها وعلومها وعمل كاهنا في أقليم مصري وقارن ووازن في تأملاته وخلواته أخلاقيات المصريين فأخذ منها ما فتح الله عليه بهديه ونبذ ما وجده مخالفا لفكره وتصوره مما ورد في أمثال اليهود عند سالومون بعد ذلك في القرن الثاني والأول ق.م .

والحق أن المقارنة بين أمثال أمونيموبي وأمثال سالومون ليست مقارنة بالمعنى ،

الصحيح فالواقع أنها أمثال مصرية واحدة تشبعت بالبيئة المصرية التى ظهرت فيها وعرفها اليهود فى مصر فى الديانة المصرية التى كانوا يعتنقونها هم أنفسهم قبل ظهور اليهودية فى التقاليد والأخلاقيات المصرية حتى ليقول الأستاذ مونتيه بحق أن طابع أمثال أمونيموبى فى حكمه طابع مصرى خالص لا تشوبه شائبة وأن أمثال سالومون فى أسسها أمثال مصرية وحسب قواعد الحكم المصرية التى وضعها الأخلاقيون المصريون القدماء وأن الناشرين لهذه النصوص المصرية واليهودية قد ركزوا على التشابه التام بين هذه الأقوال خاصة فى القسم الثالث من كتاب أمثال سالومون حتى « ليتصور المرء أحيانا أن أحد النصين ترجمة للآخر» (ملاحظة ٢٩ ص ١١٤) .

أن هذا يعنى أن الأصل مصرى ، فعراقة مصر وحكمة ديانتها القديمة منذ فجر التاريخ وتجربتها وفلسفتها كانت منهلا لغيرها من الأمم ، واستمد منها اليهود حكمتهم بل وأخذوا من مصر كل شىء لحياتهم الروحية والدنيوية ثم هربوا منها بدينهم الجديد ثم عادوا اليها فيا بعد فى تجمعهم الثالث الدينى حرصا على دينهم الذى خافوا عليه من المصريين فى هجرتهم الأولى ، ورجعوا إليها تحت قيادة أونياس الرابع حرصا على يهوديتهم وحماية لها فى مصر من الوثنية فى المقدس الفلسطينى ، وقد كانت أمثال مصر قانونا للحياة العامة وهاديا لروحانيات المصريين متجددة مع كل عصر فى عقول العلماء والأخلاقيين فى كل وقت وكل حقبة من التاريخ ، يتكلمون بها و يفكرون و يتأملون مغازيها فانظر حكمة بتاح حوتب من الأسرة السادسة « أنها ليست خطة البشر ومشيئتهم هى النافذة ولكنها إرادة الله ومشيئته هى التى تنفذ » وكيف كان تسلسل هذه الحكمة فى العصور المتأخرة فى قول امونيموبى (الأسرة ٢١) « أن مايقوله الانسان شىء وما يريده الله شىء آخر» (ملاحظة ٣٣ ص ١١٥) وهكذا تظل الحكمة المصرية خلفية للأخلاقيات والروحانيات حتى العصور المتأخرة جدا وكانت نافذة المفعول ذات تأثيرين فى كتاب سالومون للأمثال وكما يحدد الأستاذ بترى Petrie أيضا تاريخه بين القرن الثانى والأول قبل الميلاد ثم يقول «أنه من الواضح أن هذا الكتاب للأمثال والحكم كان أساسا معروفا لأفكار القديس بولوس وأن الحكمة كانت باليونانية ومن عرفها (أى اللغة اليونانية) يمكنه الإفادة منه ثم يقول « وكم كان تطور الأفكار والتعابير الدينية كبيرا قبل أن تتبناها المسيحية

كامتداد لأسلوب الفكر الورع وكشكل طبيعى للتعبير عن أسلوب للتبشير بعقائد دينية تأتى بعد ذلك ، و يعتبر بترى أن حوالى عام ٢٠٠ ق . م . كان ابتداء وجود أو قيام عصر آداب الحكمة الذى أتى بعد عصر الكتب الهيرمية أى عصر العلوم .

كل تلك الحكم مصرية صميمة، نبتت فى بيئة مصرية وظهرت فى خلفيتها وكلماتها حقيقة مصريتها ، وما كان يجأر به الأخلاقيوت من الحكماء والكهنة والملوك عندما يضج الناس بالشكوى وطلب الاصلاح ، كما فعل المصلحون والأخلاقيون فيما بعد فى العصر الرومانى فنادوا بإصلاح الحمام العام وتخليصه من شوائب خلقية مشينة ، وفجور مكشوف مع أن تلك الحمامات قامت أولا على أساس التطهر الدينى ثم ساءت الأخلاق وعم الفساد فى العهد الامبراطورى ، وكان من مظاهر هذا الفساد ودلائله الواضحة ما كان يحدث فى الحمامات العامة من صور لا تمت للفضيلة بسبب ، فنادى الأخلاقيون بالاصلاح وشكوا محاولين ايقاف هذه الرذائل فلم يسمع لهم احد ولا استقامت الأخلاق الى أن ظهرت المسيحية وهددت بالوعد والوعيد والردع بالعقاب فى الآخرة فكان هذا الدين رادعا للآثمين ومصلحا للأعوجاج ولكن إلى حين ارتد بعده الناس إلى سوئهم حتى فى العهد الاسلامى ظهر مثل ذلك . وطبيعة الناس دائما واحدة . يظلون مدة متمسكين بالفضائل ثم ينحلون .

وهكذا يذكر بلوتارخوس (٣٦) تلك الحكمة التى نقشت بالهيروغليفية فى معبد أثينا بمدينة سايس على جدران البيلون ونصها أولا (طفل ثم رجل ثم عجوز بعده (صقر) ثم يليه (سمكة) ثم بعد كل ذلك (فرس البحر) و يفسر المؤرخ هذه الرموز فيقول أنها تعنى « أيها الناس كبارا ومحدثين . أن الله يكره الفسوق » ففى النص « الطفل رمز الولادة » « العجوز رمز لمفارقة الحياة » « الصقر يرمز للإله » « وبالسمكة يرمز إلى الكراهية وذلك بسبب البحر» ثم بفرس البحر يرمز إلى الفسوق أو عدم الحياء۔ إذ يقولون أن فرس« البحر يقتل أباه ويجبر أمه على معاشرته » (٣٦) .

وأما عن البحر وكره المصريين له فيقول بلوتارخوس « أن الإله أوزيريس، عند المصريين هو النيل يتزوج ازيس الأرض وأن البحر عندهم إله الشر (ست) ففيه يصب النيل ماؤه و يبدده و يضيع سدى ومن أجل هذا «لا يتعاطف الكهنة مع البحر

دينيا و يسمون الملح ـ زبد الشيطان » بل وحرموا وجوده على موائد طعامهم « فكان إحدى الممنوعات عندهم أن يضعوا الملح على مائدة الطعام » وليس ذلك فحسب بل أنظر إلى أي حد تمسكوا بخصامهم للبحر حتى أنهم كانوا « لا يتكلمون مع البحارة لأنهم يستعملون البحر و يكسبون عيشهم منه » (ملاحظة ٣٢).

فالبحر عندهم صورة من صورست إله الشر الذى كان معبود الساميين فى هذه المنطقة التى يعيشون فيها شرق مصر وقد كان ملك الهكسوس يكن له من التقديس قدرا عظيما وكان حليمه أن يفرض عبادته على مصر جميعاء (ملاحظة ٢٩ ص ١٠١ - ١٠٤) وهذا الإله هو أب اليهود الذى نسبهم المصريون إليه فبعد معايشتهم لليهود قرونا طويلة تبين للمصريين أن صفات اليهود من صفات ست إله الشر الذى أسماه اليونانيين نيفونا فكانت خلقهم تطابق خلقه فدخلت التقاليد اليهودية فى الخرافات الدينية المصرية وتمت نسبة اليهود لست . وكان ذلك بمثابة أول إعلان من جانبهم ضد العنصرية .

فإذا ما أمعنا النظر فى تلك الحكمة التى أوردها بلوتارخوس (ملاحظة ٣٢) وجدناها مصرية خالصة مائة فى المائة فبلغتها الهيروغليفية ورموزها المصرية التى ساروا عليها فى تقاليدهم الدينية وكيف كانوا ينظرون إلى البحر البعيد عنهم والذى يمتص قدرا كبيرا من ماء نيلهم العزيزة عليهم فيذهب كل عام هباء لا تستفيد منه أرضهم ، فقاطعوه مقاطعة دينية كممثل لست إله الشر الذى قتل أوزيريس أى هذا النيل الذى يسلبهم البحر ماءه كل عام فيقل رصيد ايزيس من مصدر خصوبتها ثم هم يقاطعون أيضا ماينتج عن البحر من سمك وملح و ينظرون إلى كل ذلك نظرة كره وعدم رضاء لاتهامهم كفلاحين البحر بأنه يضيع عليهم جانبا من ماء نيلهم النافع لهم « فيما عدا الجزء الذى تأخذه الأرض وتمتصه فيخصبها » (ملاحظة ٣٢) .

عز عليهم هذا فخاصموا البحر وكرهوه وجعلوه فى عقيدتهم شرا ينتمى إلى إله الشر كاليهود وحتى من يعمل فيه من بحارة وما يأتى منه من سمك وملح وجعلوا من سمكه علامه وتعبيرا عن الكره وحظر الكهنة وضع الملح على موائد أكلهم وأسموه « زبد ست » فانظر كيف كان اسلافنا يفكرون فى شر البحر واعتدائه الآثم فيحرمهم بابتلاعه جانبا من ماء نيلهم ونحن الأصيلين على هذه الأرض تحفزنا نفس فكرتهم

القديمة فنبنى السد العالى ضنا بماء النيل على البحر وما هذا إلا استمرار للصراع بين النيل (أوزيريس) والفلاحين ضد الصحراء والبحر (ست) المفسد منذ الأزل.

هؤلاء هم الفلاحون فأنظر قوما آخرين كاليونانيين من غير بيئة مصر وما يعتقدونه فى البحر والملح ففيما رواه الأستاذ ديوجين لايرتيوس (٣٧) من تعاليم الفيلسوف بيثاجوراس (فيثاغورث) (٥٨٢-٥٠٠ ق) عن الملح «يجب أن يوضع الملح على مائدة الطعام حتى نتذكر ما هو صواب» «فالملح عندهم يحفظ كل شىء يجده» أو كل شىء معه.

فانظر كيف اختلفت النظرة بين قومين من بيئتين مختلفتين فلاحون يضنون بماء النيل حياة أرضهم وأصل خصوبتها على البحر الذى يأخذ منها جانبا فيكرهون البحر وما ينتج عنه حتى كرهوا ماله صلة به ثم ناس يعيشون بالبحر وعلى البحر فيصفونه بالطهر كالشمس «إنهما (الشمس والبحر) العنصران الطاهران ينتجان الملح المصلح وحافظ كل شىء معه».

لاشك إذن أن هذه الحكمة مصرية أصيلة كسابقاتها فإذا ظهر فى القرن الأول أو الثانى ق. م كتاب الأمثال لسالومون بن داود فإنما قامت أمثاله أساسا على الحكمة المصرية وأن أضيف عليها جديد فذلك أساسه مصرى قديم صيغ باليونانية بعد أن تطور فى مسيرة التطور الفلسفى الدينى بعد اليهودية وأثرها وتغير البيئة وقد كانت هذه الأمثال كما ذكرنا كقول الاستاذ بترى أساسا لأفكار القديس بولس (ملاحظة ٣١ ص ١٢٢) وحده لأنها أى هذه الحكم كانت قد كتبت باليونانية: وعلى كل حال إذا كانت المسيحية قد امتدت على الدرب الجديد بعد اليهودية كفرقة يهودية فى الأصل كانت تدرس فى المعبد وكان ذلك طريقا حتميا للوصول فى طورها الجديد الى العالم بعد تجمد اليهودية (ملاحظة ٣٥ ص ١٣٠ ملاحظة) فكما يقول بترى (ص ١١٢ ملاحظة) (٣٥) أن تيار الفكر والتغيير هو أساس ابتداء فهم طبيعة ومعنى استئناف أية حركة دينية جديدة كذلك قامت اليهودية، فاليهود مع محاولتهم عدم تقليد المصريين الذين اضطهدوهم إلا أن ذكريات مصر فى نفوسهم لم يمكنهم اغفالها أو تناسيها فرغم كل شىء ظلت هذه الذكريات مصر فى وسهم لم يمكنهم إغفالها أو تناسيها فرغم كل شىء ظلت هذه الذكريات باقية لديهم كما سنرى فيما بعد، وحتى لما أرادوا قطع علاقاتهم مع مصر لم يكن ممكنا كما يقول مونتيه (ملاحظة ٢٩

٢٣١) أن يغمضوا أعينهم عن حياة التدين والورع المصرى اى الوجه الروحى لمصر والفضائل المصرية ، فكانت الوصايا دليل على تراجعهم عن مقاطعة مصر أو كما يقول الأستاذ مونتيه فان الوصايا كانت اعترافا سلبيا وقد قبلتها التوراة معترفا بأن موسى تعلم حكمة المصريين (٣٣/١٣١) وفى كتاب الدكتور فؤاد حسنين (٢٠/٦٧-٦٨) تحليل قيم لذلك.

وقد أبرزت اليهودية التوحيد بأن أبطلت التجسيد أو صور الإله مما طمس معالم الوحدانية فى الديانة المصرية القديمة فاختيار موسى عبادة الله بدون صورة بدلا من عبادة إله أكبر وعدد كبير من الآلهه المساعدة التى تمثل الإله الأكبر بقدراته المتعددة لتداخلة أى الهينوثيزم (henotheisme) المهيمن على الكون جميعه فقد جعل موسى عبادة هذا الإله الواحد بدون أية صورة فلا تجسيد مصرى ولا تجسيد يونانى فكان ذلك منه اختيارا لله الأحد بأسمائه الحسني التى تبين لنا قدرته الهائلة وأن بيده كل الأمر والمصير وكان ذلك رمزا ظاهر المعنى للواحدانية وواضح الدلالة لايشوبه غموض أو التباس وكان ذلك العمل الدينى الجليل يقوم على أساس تصورديني مصرى ، فالوحدانية كانت قائمة فى مصر الوثنية وفى اليونان أيضا ولكنها كانت غامضة الوجود بسبب التجسيد المرئى للإله ذلك التجسيد [الذى منع الرؤ يا الصحيحة والادراك العقلى الصافى] مما كان شاغل موسى لتجنبه تجنبا تاما فى مصر واليونان بعدها كانت الشمس هى الإله المهيمن وأبو الآلهة جميعا تحت اسم رع ، ثم آمون بمصر ثم باسم زيوس عند اليونان فانظر إلى زيوس الذى كان أبا لجميع الآلهة اليونانية التى تمثل جميعها قوى وقدرات من قدرته وقوته الشاملة ، وكذلك آمون فى مصر واذا أمعنا النظر أكثر وجدنا أن الآلهة فى التمثيل اليونانى تشابه فى خير أعمالها آلهة قدماء المصريين فكانت آلهة الخير جميعها متحدة فى صفاتها مع إله الشمس أبن الخير، فالماء وقوة الإنتاج وإنبات الأرض كل ذلك متجسد فى اوزيريس، وهو قوة من قوى إله الشمس ثم نجد تجسيد اوزيريس بالثور وايزيس بالبقرة ناشيء من أن هذه الأنعام انما ترمز إلى الخلق والحياة الدائمة المتجدد المرتبطة بالدورة الشمسية والغذاء مصدر الحياة فهذه رموز لا تدل إلا على تصور رقى للخلق و يذكر بلوتارخوس حيوانات أخرى يرى فيها الانسان صورة أخرى غير

نفسه يتبين فيها قدرة الله وخصائصه فقدسها المصريون لما تجلى لهم فيها من سر الخالق فالتمساح مثلا قدسه الناس فى مدينة التمساح أى الفيوم الحالية كما يقول و يشهد بلوتارخوس وسترابون وغيرهما من المؤرخين اليونان و يشهد بلوتارخوس أن هذا التقديس لايخلو من سبب معقول وذلك لأنه الوحيد بين الحيوانات الشبيهة بالإله « إذ ليس له لسان » وأن « كلمات الله لاتحتاج إلى كلام » ثم أنه الوحيد الذى يعيش فى الماء وله غشاء شفاف ممتد من جبهته يغطى عينيه « فيرى ولايرى » (٣٨) « وهذه ميزة يختص بها الإله الأول أى الأعظم ، و بذلك يعترف بلوتارخوس أن المصريين يعترفون بوجود إله أعظم عن طريق تبنيهم ميزة التمساح فى أن يرى ولايرى و يسمع ولا يسمع وهذا ماينفرد به الإله الأعظم ، كما يسميه المصريون بالخفى أى آمون الذى لايرونه وهو ملء السماوات والأرض كما سنرى فى ذكر بلوتارخوس فالتمساح إذن ليس إلا رمزا يرون فيه صفات الخالق وقدرته وهذا دليل على وجود إله عظيم يجمع فى وحدانيته الجميع الذين لهم بعض صفاته وخصائصه يرونها ممثلة ملموسة فيعبدون هذا الإله الأعظم فى رموزه .

أما أنثى التمساح ففى أى مكان تضع بيضها يعرف جيدا مسبقا أن هذه الأرض هى حد ارتفاع النيل فى أقصى ارتفاعه وامتداد فيضانه فى تلك السنة فهى لا تستطيع وضع بيضها فى الماء ثم هى تخشى أن تضعه بعيدا عن الماء أيضا (وهذا ادراك دقيق للمستقبل) وفى ذلك يقول بلينى فى تاريخه الطبيعى (٣٩) أن أنثى التمساح تضع دائما بيضها خارج الخط الذى يرتفع إليه أقصى فيضان فى تلك السنة وذلك عن طريق « غريزة التنبؤ» فغريزتها هذه التى تكشف لها المستقبل وتضع بيضها فى مكان خارج الخط الذى يرتفع اليه فيضان النيل فى تلك السنة التى تضع فيها بيضها لا تكون إلا رمزا للإله الذى يعلم وحده المستقبل .

ثم يأتى الينا بلوتارخوس بمثل آخر فيه كثير من مميزات قدرها الفلاحون المصريون فى تفكيرهم وتأملهم فى الألوهية وتصورهم لها فحشرة الخنفساء أو الجعلان (الجعران) أو الكانثاروس ، وهى حشرة لا أنثى لها بل الكل ذكور (٤٠) وهذا شىء يعنى أنها لا تولد وعندهم أنه يخلق نفسه بنفسه ثم هى تحمل بيضها فى كرة صغيرة تصنعها هى ثم أنظر كيف كان تصورهم لحركة الشمس التى تأتى من الشرق فإذا

يبعث أو الحياة يدب فى الانسان والحيوان والنبات وكل المخلوقات هكذا رأوا فى الجعران أو الخنفساء الذى يضع نتاجه فى كرة يصنعها كما ذكرنا ثم يدفع هذه الكرة فى اتجاه مضاد لسيره « كما لو أن الشمس ادارت السماء عكس اتجاهها عندما تجرى هى من الغرب إلى الشرق » (٤٠ فقرة ٧٤) أى أن الجعران يدفع المادة الكروية التى فيها نتاجه فتدور عكس دوران الشمس وهذا هو الرجوع إلى الشرق أى البداية والولادة والتجدد والخلق .

وهكذا يعدد بلوتارخوس الحيوانات التى قدست فى مصر وكان لكل مديرية و بلدة حيوان مقدس خاص بها ثم يذكر أسباب هذا التقديس وماوجده فيها المصريون من صفات تدل على قدرة الإله الأعظم حتى لو كان هذا التشابه غامضا فقد أبدع بلوتارخوس فى تمثيله تشابه تلك القوى الإلهية الغامض فى هذه الحيوانات فصوره « بصورة الشمس فى قطرات المطر» (٤١) كما سترى فيما بعد بخصوص الحيوانات الأخرى المقدسة فى كل مديرية مثل أيبيس والكلب . وغيرها .

هكذا كان تصورهم فى تقييم الحيوانات المقدسة بمشابهتها للإله لما فيها من أسرار وصفات اعتبروها من صفات الإله الأعظم فهى أكبر مما عندهم من مميزات تتفوق عليها صفات الحيوانات التى قدسوها وتكبر قواهم ثم قدرات وذكاء غريزى يعلو على قدرتهم وذكائهم وماعليه الحيوانات من خصب جنسى لايرون عندهم لقوته مثيل ثم فائدة الحيوان لهم يقدرونها كفلاحين فهى ترمز إلى سر الهى ورحمة لقوى أعظم من ، طاقتهم فكان هذا مدعاة للاتعاظ وفهم أوضح فى تأمل هذه الأشياء عند الفلاسفة من الكهنة العلماء ولكن من جهة أخرى قد أوقع هذا التقدير ناسا كثيرين فى حمأة الخرافات فضلوا الفكر والتصور فعبدوا الحيوان نفسه بدلا من عبادة الإله فى الحيوان كما قال بلوتارخوس فيما سترى .

فترة الفراغ والتفرغ

هل رأيت كيف كانت دقة ملاحظتهم وتصورهم فى دنياهم الصغيرة المحدودة بما فيها من حشرات وحيوانات أى (الميكروكوزم) والتوازى بين هذا العالم الضيق والعالم المطلق الواسع الشامل أى (الماكروكوزم) فانظر، كما ذكرنا، كيف كان تصورهم الدقيق لدورة الشمس ممثلة فى كرة الجعران ثم تأملهم حركة الكون والشمس فى جريانه عكس اتجاهها من الغرب إلى الشرق فترجع الشمس أكبر وأهم الكواكب حسب دورة حشرة صغيرة فى أرضهم وجريان كرتها الصغيرة التى تدفعها فتجرى الشمس راجعة إلى بدايتها أى تولد من جديد فتشرق الدنيا بخلق جديد هذا التطور الكونى ترمز إليه خنفساء!! دراسة وتصور فى فترة الراحة والخلو من العمل فى انتظار نتاج الزرع كما كانت عند اليونان أى فترة دراسة وتأمل اشتقت منها كلمة المدرسة أى Scholé ومنها نفس الكلمة فى جميع لغات العالم الآن Schola School وعند اليونان الآن Scholeion أى فترة الراحة التى تتأمل اثناءها اليونانيون و يدرسون و يتفلسفون كما كانت عند المصريين القدماء قبلهم وفى لغة اليونان تعنى كلمة ascholia عكس كلمة سخولى أى الاشتغال والعمل.

فكانت فترات الفراغ هذه فرصة اتاحتها الطبيعة بالنسبة لمصر أولاً إذ كان [illegible] جميعًا يبذرون الأرض بالحب بعد الفيضان وانحسار الماء ، يرجون الثمار من الرب و يطلبون الرغد والوفرة والبركة فيه لحياتهم فكان اتجاههم أملا فى الله ووجهوا عقولهم وقلوبهم إلى السماء القدسى، وكانت فلسفتهم دينية يتأملون خلق الله فى كل شيء فى الأرض وما حوت من نبات يتمثلون فيه الحياة والبعث وحيوانات وحشرات نافعة تساعد الأرض على سلامة نباتها واخصابها فتزيد من انتاجها وهكذا نشأت عن تفرغهم وتمعنهم وتأملهم وفلسفتهم أعرق الديانات منذ ما قبل التاريخ، وقامت على تلك الفلسفة الدينية أرقى الحضارات منذ بدء الحياة، وفى اليونان كانت فترة الفراغ للتفرغ أيضا فرصة خلالها انبعث من العقل الانسانى أرقى وأسمى وأروع فلسفة وشعر وأدب وديمقراطية وحضارة روحية خالدة بمدارسها التى كان أبرزها قيام التياترو

(المسرح) والاوديون والجمناز يون (أى ثالوث النور) (انظر ملاحظة ١٣) ومنهل ومبعث الثقافة ، عقلانية وروحية وحضارية وتخرج فيها اساتذة العالم ورواد الفكر الانساني وقامت بها وعنها منائر الحضارة الشامخة وقصور الثقافة العالمية بمدارسها التياترو والجمناز يون وجامعاتها الاوديون لكل العالم القديم وأصبحت اصلا واساسا لحضارة العالم الحديث ، تلك المدائن الخالدة اثينا والاسكندرية وروما .

وهكذا كانت هذه الفترة سببا فى خلق خلفية دينية قبل الديانات السماو ية التى أتت فيما بعد .

فالمصر يون فى فترة فراغهم هذه بعد أن يبذروا الحب ينتظرون الثمار من الرب و يتفرغون للتأمل فى كل ماحولهم من شىء فى السماء وفى الأرض بما فيها من ماء ونبات وحشرات وحيوان بما لها من نفع وضرر وما تمثل من معان معنو ية أو رمز ية و يتفلسفون و يرصدون حركات الشمس وتوقيتها ور بط تلك الحركات بفصول الزراعة ثم يفكرون فى كل ماترمز إليه هذه الظواهر وتلك المخلوقات .

فانظر مثلا ظاهرة الدلالة على كل هذه التأملات أفلم يجسدوا الحكم المطلق فجعلوا رمزه إله الشمس المهيمن أى الكوزموقراطى واقفا على عر بة يجرها جياد أر بعة تمثل العناصر الأربعة المكونة للكون وهى أشهر الاضداد ومن هيمن عليها جعلها تتسق مع بعضها البعض فتسود العالم الأمان والاعتدال والتوازن والهارمونية الكونية . ومن هنا نشأت نظر ية حكم الفرد الصالح .

وهكذا يتضح لنا أيضا مقدار أثر تأملهم فى هذه الفترة من الفراغ وملاحظتهم للحيوانات على أرضهم فقد سوها أولا وقبل كل شىء لنفعها (الذى جاء فى القرآن الكريم) «والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ... » النحل ١٦/٥ ثم «نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة» المؤمنون ٢٣/٢١ .

وفعلا كان الأولون من المصريين يقدسون هذه الحيوانات « لنفعها ثم لرمز يتها » وكلا الصفتين « موجود فى كثير منها » (ملاحظة ٣٧/٧٤) ثم أيضا لما فيها من مميزات تدل على قدرة الخالق وتبينوا ذلك منها من غرائز تدل على حول وعظمة الإله الواحد كما يتمثلونه فى أذهانهم ، كما يخبرنا بلوتارخوس وخلاصة تفكيره فى هذا

الشأن «اننا يجب الا نكرم هذه الحيوانات لذاتها» بل نعبد الله من خلالها فهي مرآة صافية أوجدتها الطبيعة (٤٢) نرى فيها قدرة الله وذلك «لأن هذه الحيوانات يجب أن تعتبر بوضوح «أداة وفن الإله الذى ينظم كل شيء» (٤٢).

وهكذا كانت الرمزية فى الحيوانات حسب تفكيرهم وتأملاتهم تعبيرا عما يريدون الافصاع عنه من افكارهم، وكان تعبيرا صادقا يستند على أساس من فهم وتقدير عقائدى سليم مما يوضح أن الحكمة التى قدمها لنا بلوتارخوس مصرية أصيلة. وهى فى نفس الوقت سند لما ذهب إليه الاستاذ مونتيه من أن حكمة أمونيموبى المصرية الخالصة كانت أساسا ارتكز عليه سالومون فى كتابه الأمثال وقد قامت الحكمة فى مصر على اساس دينى فالزيغ وعدم طاعة الإله هى سبب الكوارث والويلات الدنيوية، وكذلك الأمر عند اليهود ولذا فالوصايا والنصائح منصبة على طاعة الآلهة والاستقامة وحب الخير وعمله ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وكان ذلك فى مصر وفيما بعد عند اليهود واضحا فاستمدوا أمثالهم و وصاياهم من هذه الحكم الاخلاقية وكان لعصيان الآلهة وعدم القيام بالطقوس والمراسم وعدم موالاة المعابد بالاضاحى والعناية بها وتعميرها أثر فى تهديد الحاكم بالعقاب الشامل والبلاء بانخفاض النيل وما يترتب عليه من مجاعة فى كل البلاد ثم بالغزو الاجنبى والامراض وطغيان الصحراء والرمال على الأرض التى يخصبها ماء النيل الى كل هذه الاشياء التى كان يخاف المصرى عواقبها و يضحى من أجل أن يردها الإله عنه، و يتمنى على الآلهة أن تقيه شرها وعواقبها، وكان ذلك يخيف الانسان المصرى وكان تذكيره بها له أثر فعال فى استقامته وعمله الصالح، وهذه الطاعة من جهة أخرى تتمثل فى قراءة الكتب الدينية والاحتفاظ بكلام رجال الدين من الحكماء والاسلاف الصالحين فتسير الناس فى الطريق المستقيم وتسلك سبيل الخير والآلهة (ملاحظة ١٠٨/٢٩) وكان ذلك تحصنا منهم ضد ما قد يصيبهم من كوارث ورزايا وفى العصور المتأخرة نجد هذه الوصايا والحكم المصرية مأخوذة أو مستنبطة تماما فى حكم سالومون حتى فى الشكل ومخاطبتها الأبناء إذ كان يتوجه الحكيم بأمثاله إلى أبنه سواء كان حقيقيا أو متوهما ففى ذلك روح انسانية دينية يقصد بها الرحمة الأبوية والخير الصادق بمن توجه له كالعادة المصرية تماما، والقصد من احترام الآباء المسنين والأخذ بنصائحهم.

والأهم من ذلك وحدة موضوعات هذه الوصايا فى كل من الأمثال المصرية واليهودية نتيجة حياة العبرانيين قبل أن يكونوا يهودا مع المصريين ومشاركتهم تقاليد المجتمع المصرى ودياناته وأحواله الدنيوية والروحانية معا ، رغم الفارق الاجتماعى بين الحضر والبداوة فانظر وصايا المصريين بالبر بالوالدين واحترامها والرحمة بالأم وخاصة كما يذكر الأستاذ ايرمان (٤٣) إذ يقول « قدم لها الخير بكثرة كما قدمته اليك فقد كنت عبئا ثقيلا عليها بعد أن ولدتك بعد الشهور الطويلة حاملة اياك على رقبتها ثم ثلاث سنوات وهى ترضعك ثم ارسلتك إلى المدرسة ثم كل يوم تعد لك العيش والجعة فى المنزل » فواجب رعاية الأم المصرية من أبنائها أمر أوصوا به ونصحوا بالقيام به ومراعاته . وقد أوصى آنى (الدولة الوسطى) باحترام الوالدين بينما أمونيموبى كما يقول مونتيه لم يجد ضرورة إلى ذلك إذ أنه كان يخاطب ابنه و يوجه اليه حكمه وأمثاله (ص ١١٨) وفى أمثال سالومون يجمع الاثنين معا و يقول اسمع كلام أبيك سبب وجودك ولاتهمل أمك اذا كبرت (أمثال ٢٣/٢٢ مونييه ملاحظة ٣٣ ، ١١٨) .

ثم انظر وصايا الامانة فى التجارة والتعامل الشريف الأمين بين الناس وكله وارد فى الحكم المصرية وخاصة موضوع الكيل والميزان ، فانظر كيف أن الميت يعترف (مونييه ملاحظة ٣٣ ، ١٢٢) مرتين الأولى بانه لم يخسر الميزان ، والثانية بأنه لم ينقص الكيل ، ثم أن من يتولى الضرائب العينية على الأرض ومحصولاتها كان يقوم بقياس الجزر والاراضى ويحدد مساحتها تحديدا دقيقا بعد انحسار فيضان النيل عنها ، وقد كانت الفيضانات الغامرة تغير حدود هذه الحقول باستمرار وهكذا كانت نشأة علم الهندسية فى مصر واليك هذه الوصايا وما اقتبسه سالومون فى أمثاله منها : فيقول أمونيموبى (١٨ ، ٢٢ ثم ٢٤ ص ١٢٢/٣٣) « ان القرد (رمز الإله توت) كان دائما ممثلا قرب الميزان وجسمه هو عمود او قائم الميزان فأى إله مثل توت الإله الأكبر الذى أوجد هذه الأشياء لتطبيقها الصحيح فلا تستغلها فى أعمالك فتخسر الميزان » .

وقد أثبتت الآثار أن الميزان يمثل دائما والقرد يعلو قائمته وأحيانا تعلوه ريشة أى علاقة (معت) أى الحقيقة أو الحق . ثم أن الجزء الثامن عشر من أمثال الحكيم امونيموبى خاص كله تقريبا بمكاييل الحبوب فانظر فى هذه الوصية :

... «حذار أن تغش الوادج (مكيال للحبوب) أو أن تغش فى اجزائها فلا تكيل بمكيالين» (١٨، ١٩-١٦ فى ملاحظة ١٢٢/٣٣).

أما مكيال الوادج فهو (عين رع) كما كان (القرد رمز توت)، ومقت رع ينصب على رأس من ينقص الكيل فعين (الوادج) أى عين رع تكون دائما شاهدا على اتهام من يكيل غشا» أمونيموبى ١٨، ١٩، ٣ أنظر ١٢٣/٣٣).

و يفسر الأستاذ مونتيه الوادج بانها مكيال للحبوب غير (عين حورس) التى تحطمت إلى جزئيات على يد إله الشرست فى حربة ضد حورس وقد التأمت وعادت إلى ما كانت عليه سليمة على يد الإله توت. وهذا المكيال له أجزاء صغرى. ([٤٤]).

ثم أن تغيير الحدود فى الحقول جرم يعتبره المصريون عظيما مما استدعى وجود المساحين علاوة على أن فيضان النيل كل عام يغير هذه الحدود و يطمسها مما زاد الحاجة إلى هؤلاء المساحين الدائمين لاعادة الحقول إلى سابق حدودها وفى هذا يوصى امونيموبى «لا تغير الحدود على حافة الحقل ولا تغير موضع خطوطها ولا تطمع فى قدم واحدة من الأرض، ولا تقتطع شيئا من أرض الارامل».

وكما يقول الاستاذ مونتيه فأمانة الميزان والكيل ومقاييس الأرض لها صدى كبير مطابق لوصايا المصريين فى ذلك تماما فى أمثال سالومون اليهودى فانظر قوله الذى يكاد يكون مصريا تماما فى مطابقته لوصايا امونيموبى.

«أن ميزانين ومكيالين كليهما يغضب يهوا» (سالومون ٢٠، ١٠ ملاحظة ١٢٤/٣٣).

ثم مثل آخر:

«الميزان بكفتيه وكيس الصنج بين يدى يهوا» (١٦، ١١-٣٣/ص ١٢٥).

«أن يهوا ليفزع و يغضب من ميزانين فالغش فى الميزان لا يجوز (حرام)» (٢٠، ٢٣ ملاحظة ٢٣، ص ١٢٥).

و يتطابق المثل المصرى والمثل اليهودى فى قول سالومون «لا تغير وضع حدود الحقول التى ثبتها أباؤك» (أمثال ٢٣، ٢٨ ملاحظة ١٢٥/٣٣).

ثم قوله:

« لا تغير وضع الحدود القديمة ولا تعتدى على حقل الايتام لأن المنتقم لهم قادر قوى فهو الذى يتولى حمايتهم منك ثم أن الأثم يكون أخطر لو كانت الضحية أرما أو طفلا » (ملاحظة ٢٣/٣٣ ، ١٠ - ١١) .

وهكذا يتغير الأسلوب والفكرة واحدة فانظر إلى ارشادات تربية الطفل فى مصر من الحكيم بتاح حوتب وعند أمونيموبى والظاهر أن العصا كان لها دور كبير فى تأديب الطفل وأن الزوج أيضا يمكنه ضرب زوجته بدون غلظة أما الوالدين فرحمتهم بابنائهم لا تغنى عن عدم استعمال العصا حتى لقد قال أحد الكتبة وهو يصر على اسنانه « أن اذن الولد فوق ظهره » (ملاحظة ١١٩/٣٣) .

أما فى أمثال سالومون فيقول :

« لا تكف عن ارشاد الطفل إلى الصواب فلن يموت حتى لو ضربته بالعصا » (أمثال ١٨ ، ٣) .

ثم انظر هذا التطابق البين فيما يذكره أمونيموبى (ملاحظة ١١٧/٣٣) من وصايا إذ يقول :

« لا تشته مال الفقير ولا تجعله يجوع بحرمانه من خبزه فأكل مال الفقراء يسد الحلق (يقف فى الزور) وتتشنج له الرقبة » .

(أمونيموبى ١٤ ، ٥ - ٨) .

ثم انظر مثل سالومون فى ذلك :

« لا تشته زاد الفقير القليل فهو يعصف بالرقبة ويخرج من فمك فور لحظة إلتهامك له »

ثم قول آخر لأمونيموبى « لاتجمع مالا حراما فلن يظل عندك حتى يمضى الليل ولن تجده فى البيت ولا فى مكانه الذى وضعته فيه وستكون له أجنحة مثل الطيور و يطير إلى الفضاء » (٩ ، ١٦ ، ١٠ ، ٤ ملاحظة ٣٣) .

بينما يقول المثل اليهودى « لاتجهد نفسك لتصير غنيا واترك المال غير الشريف ضع نظرك عليه فلن تجده فهو يجعل لنفسه جناحين مثل النسر يطير إلى السماء » (٢٣ ، ٤ - ٥ ملاحظة ٣٣) .

والفارق هنا كما يقول مونتيه بين المثلين رغم أن الفكرة واحدة تماما فى سرعة زوال المال الحرام وضياعه هباء فى الهواء فى المثل المصرى انه طائر فليس لدى المصريين نسور بل كان عندهم الصقر أما اليهودى فقال نسرا .

لم يكن الأمر كما رأينا فى تلك الوصايا فيما يتعلق بالكيل والميزان هزلا أو تراخيا لمجرد النصح بل كانت هذه المكاييل والموازين والمقاييس كلها أدوات الآلهة لنشر العدل والامانة بين الناس وكانت فى حفظ الآلهة ورعايتها فمن عبث بها تعرض لغضب منها شديد ، فانظر كيف كانت الموازين والمكاييل تحمل كلها رموز وعلامات الآلهة فقرد (توت) وريشة (معت) رمز الحق والحقيقة على الميزان ثم (الوادج) عين رع للمكاييل كما كانت حبال مقاييس الساحات والحقول تلف على مابه يمثل آمون برمزه الكبش ، كل ذلك يشير إلى اتباع الامانة والصدق والعدل فى معاملات الناس بعضهم مع بعض وأن الإله شاهد على ذلك ثم يتغير ذلك فى أمثال سالومون ولم يعد الأمر يخص الآلهة الوثنية الفرعونية فقد آلت كلها ليد يهوا إله العبرانيين (ملاحظة ١٢٩/٢٩) .

فما ذكرته المصادر من الوصايا والأمثال لأمونيموبى تبين أن حكمته كانت خلاصه تطورات وتوارث الوصايا المصرية من العصور والأجيال القديمة منذ الدولة الأولى فهذا الحكيم المصرى يتكلم مع المصريين واليهم ويذكرهم بما يجب أن يعوه من حكم وأمثال اسلافهم مشيرا إلى من آمنوا به من آلهتهم الأول وماشبوا عليه فى وادى النيل وقد شابهتها فى وضوح كبير أمثال سالومون، ولم يكن توافقا عفويا ما رأينا فقد عاش اليهود قرابة أربعة قرون أو يزيد (التكوين ١٣/١٠ ثم الخروج ٤/١٢) وكانوا على صلة بالمصريين فقبل أن يوطن يوسف أخوانه فى أرض جوشن أتى ابراهام ودخل فى علاقة مع الفرعون فى أرض مصر، إلا أن الاستاذ ليفيفر قد أوضح أن اليهود لم يخرجوا من هذه الأمثال التى أقتبسوها بنفس ماوصل اليه المصريون من نتائج روحية ، وعقلية فخضوع اليهود وامتثالهم للأوامر والوصايا كانوا ينتظرون نتيجة له حياة طويلة وشيخوخة سعيدة بين أولادهم واحفادهم بينما المصرى يرى أن جزاءه حياة أبدية فى رحاب الله الذى اطاعه طوال حياته .

ولكن ظلت العلاقات مستمرة بين اليهود ومصر وحتى قيام دولة يهوذا لم يوضع حد لعلاقتهم بمصر فالواقع أن هؤلاء الرحل البدو كانوا دائما يعبرون الحدود إلى مصر كلما ارغمهم الجوع على هذه المخاطرة أو كلما أتوا فارين مخافة القتل والمذابح كما ظهر ذلك واضحا برجوعهم مع كاهنهم الأعظم المنتظر هونيا الرابع إلى نفس منطقة جوشن فى عهد بطليموس السادس وتأسيسهم قدسا جديدا فى مصر فيما بعد ذلك بقرون طويلة ثم كان التأثير الذى ظهر واضحا جليا هو ذلك الذى كان من تأثير وصايا وحكم أمونيموبى، عليهم الذى كان كتاب أمثال سالومون نسخة منقحة منه ومما يحتويه من حكم مصرية .

كان المصريون يرمزون بالحيوان حسب مايفكرون فيه و يتأملونه من جهة صفاته ومميزاته التى يمكن أن تشابه أو تدل على بعض الشبه بصفات الآلهة فتصير لها رمزا يعبرون بتلك الرمزية تعبيرا صادقا يستند على فهم عميق وتمثيل عقائدى سليم فيما يريدون الافصاح عنه من أفكار وترجمة ماعندهم من تصورات فكانت القطة تمثل كما يرون فى عينها آمون أى الشمس فقبل طلوع الشمس تتسع حدقة عينها ثم كلما اشتدت الشمس ضمرت حدقة عين القطة وصغرت حتى تصبح عند الظهيرة خطا رفيعا ثم تأخذ ثانية فى الاتساع كلما اقتربت الشمس من الغروب حتى تصبح كاملة الاستدارة وتضىء فى الليل فعلا فأخذها المصريون رمزا للقمر وهو شمس الليل فانظر كيف تمثلوا آية الليل والنهار وعبروا عن حكمة الله فى التحرك الفلكى اليومى للشمس وللقمر فى كتابه « يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل » أرادوا ان يصوروا ذلك فنقشوا مترجمين هذه القدرة كما تصوروها على حجر كريم من العقيق حفرت عليه عربة شمسية فيها قطة بيديها لجام وعصا تقود بها ديكين رمزا للشمس فالقطة هى القمر أو شمس الليل أى رمز الليل تسير بالعربة يجرها ديكان رمز يشير إلى الشمس والشروق لنهار جديد. فالديك كما تذكر التقاليد حديث الدخول فى الشرق وكان موطنه الأصلى سومطرة وسيام ثم الهند ثم من الهند دخل إلى ايران ومن ايران إلى بابل والشرق ثم إلى جزر اليونان فمصر فى عهد رمسيس الثالث تقريبا فلما وصل إلى مصر لم يدخل دائرة التقاليد والخرافات الدينية المصرية لتأخر معرفة المصريين به ولذا فعندما وصل إلى اليونان والينا لم تتغير رمزيته الشمسيه

الفارسية وظل رمزا للشمس كما كان فى فارس وفى طقوسها وكما ذكر فى الأفيداد (الافستا) الها للضوء أهورا مزدا ضد إله الشر والظلام اهرمان .

وهكذا احتفظ الديك برمزيته للضوء والشمس ونورها حتى العصور المتأخرة كما نجده ممثلا على غطاء مسرجة من النحاس من العصر القبطى .

وقد دخل أيضا فى قصة الإله ميثرا Mithra الفارسى ومثل على لوحاته أى المثرايا المتعددة برسومات دائرة الفلك الشمسى الفارسى تحت صورة إله القمر فالقمر فى طريق النهار الجديد يسبق الشروق الذى كان بشيره الديك .

وهكذا توافقت الصورة المصرية اليونانية الرومانية على فص الخاتم ضمن مجموعة المتحف المصرى فتمثل الشمس التى تنبعث من الليل إلى النهار وتمثل حركة الخلود الابدية وهى فأل حسن لحامل هذا الخاتم تبشره بعمر مديد فالنور الدائم هو الحياة المتواصلة بالأمل وما ذلك إلا تصور لآلهة تمثل إله الشمس الأعلى فى مسيرته وأبديته لحلقات يومية متصلة الحركة والوجود يرمز اليها بصور شتى ثم حركات سنوية أخرى يرمز اليها بصور أخرى غير القطة ، فيها إله الشمس بصورة انسان له رأس ديك فى لباس حربى ويحمل مجنا عليه اسم سحرى لحورس لمقاومة الظلام والشر، يمثل أيضا على احجار الخواتم التى تعتبر تمائم محمولة فى اصابع الناس ومكتوب مع هذا المنظر أحيانا كلمة (ابراكساس- Abraxas) وحسب مجموعة الاعداد السحرية لهذه الحروف نجد أن هذا المجموع لحروف هذا الاسم العددية يساوى ٣٦٥ أى عدد أيام السنة وهذه دورة سنوية للشمس المهيمنة على السماء والأرض وكل ما حولها يدور فى فلكها ، والكل تحت سيطرتها ومرتبط بدورانها وفى رحلتها السنوية فصول الزراعة بمحاصيلها العديدة ثم بعد ذلك صورة الدهر (الابدية) التى تتمثل فى شكل ثعبان ملتف حول نفسه بشكل الحلزون فالثعبان زيادة على شكل الحلزون أى اللانهائية يمثل أيضا الابدية فى الخرافات البدائية الافريقية صور الثعبان على أنه عرف سر الخلود فخلد نفسه إذ أعطى الله الانسان هذا السر فأهمل ، وترك حماره الذى يحمل سر الخلود يذهب بما حمل وحده إلى بيته فمر الحمار بعين ماء وكانت حارستها حية وأراد أن يشرب فمنعته الحية حتى تعرف ماذا يحمل فاعطاها الحمار ما أرادت فكان السر أن يغير الانسان جلده فتتجدد مسامه وانسجته فاذا هو متجدد لايفنى فاحتفظت الحية

بالسر لنفسها وشرب الحمار ورجع إلى بيت صاحبه بعد أن اضاع ماحمل ، هذه الخرافة شائعة حتى الآن بين أهل الكونجو وأن دلت على شىء فتدل على أن الثعبان يتغير جلده و يعيش زمنـا طو يلا جدا ولذا اتخذ رمزا للابدية قديما وهكذا أصبح رمزا للالوهية الخالدة ثم أنه أى الثعبان فى تمثيل آخر تجده على الاحجار الكريمة ممسكا ذيله بفمه مكونا دائرة لانهاية لها ولابداية ويحيط بتمثيل الآلهة المرسومة على الحجر فى الوسط وخاصة تمثيل هار بوكراتس أى الطفل حورس على زهرة اللوتس مأواه بالليل ومنها شروقه نهارا ودورة الشمس اليومية ، فالإله ابدى (أنظر الخشاب ' J.E.A. 1971) وتبشر هذه التميمة (الثعبان وماداخل دائرة الثعبان) حامل هذه الصورة على خاتمة بطول سلامة ، ولكن الدهر أو الأ يون باليونانية مثل أيضا فى صورة جميلة لتمثالين للشمس والقمر فى هيئة طفلين عار يين الذكر هو الشمس والأنثى هى القمر وعلى رأس الذكر قرص الشمس أما الانثى أى القمر فتحمل على الرأس قرص الشمس مع هلال القمر الذى يرمز إلى القمر فالقمر زوجة الشمس والا ثنان متقار بان بجانب بعضهما و يتماسكان كل واحد منهما يضع ذراعه على كتف الآخر حول الرقبة يضمهما ثعبانان ضخمان ملتفان حول الوسط بشكل حلزون أى تمثيل الأ يون وقد وجد هذا التمثال الرائع داراسى Darassy (٤١) وهذا التمثيل يماثل ماوجد عند الفرس أيضا فمثلت أناهينا أو العنصر المؤنث من عنصرى النار الذى يمثل القمر فى صورة تمثال وقد أحاط بها ثعبان ضخم يلفها بشدة فهى كعنصر التأنيث أنما تمثل قاعدة الخلق الدائمة المتجددة واهبة الحياة الخصبة كالقمر وهذا التشابه فى هذا العصر المتأخر فى العالم الرومانى كان أثرا من التقارب الذى تم على يد فلاسفة اليونان بين الديانات القديمة المختلفة فى تكو ين الآلهة وقدراتها كما سنرى .

هذا التمثيل اليونانى الرومانى للشمس والقمر والتفاف الثعبانين الضخمين حلزونيا حول أسفل جسمى الإلهين الذكر والانثى انما يمثل الدوران الازلى بلا نهاية من تعاقب الليل والنهار والفصول فى فلك دائر أبدا حول الشمس تقوم عليه الحياة اللانهائية وتتعاقب فيه الاجيال وتتعلق به ارواح الناس وكل هذه الصور تمثل الشمس والكواكب فى تطورها كما تصوره رجال الدين الفلاسفة منهم والفلكيين ورجال الفن فى العصور المتأخرة اليونانية فهى تصور الكل فى واحد وهذه هى

الوحدانية ولكن كنهها غامض تاه فى وسط التمثيلات والصور العديدة مما حدا بموسى أن يحسم الأمر فحى الصورة بأى شكل كانت كما ذكر سترابون فى عصر غمضت على العقول فكرة الوحدانية فى هذا الخضم من تجسيدات متعددة كما فعل من قبله اخناتون فى تمثيله الواحدنية فى قرص الشمس ومثل قواه المتعددة باشعته منتهيا كل شعاع منها بيد آدمية رمزا ليد الله تحتضن الملك وكل الكون بيدها الأمر كله لها والمصائر ولكن موسى كان أحكم منه فى هذا وأوضح .

وحسب رأى بلوتارخوس (ملاحظة ٣٧٨/٦٧/٤١) «من الناس من اتخذ رموزا غامضة ومنهم من استعمل رموزا أوضح » فنهم « من يضل و يقع فى الخرافات » كما ذكرنا فيما قبل ثم آخرون « إذا أرادوا تجنب العقائد الخرافية انزلقوا دون قصد منهم ، إلى مهاوى الكفر» (ملاحظة ٣٧٨/٦٧/٤١) .

كانت عقائد غامضة رغم أن اساسها البحث والتفكير المقدس عن الخالق فى مخلوقات كان يرى فيها الانسان صورة غير نفسه وعالما غير عالمه فصدق الله العظيم « أن لكم فى الانعام لعبرة » ثم أن الأمر لم يكن عبادة قط إنما هو ملاحظة ودراسة كل ماينفع ومايضر الزراعة والانسان ولا تكريم لحيوان انما هو نفع يحافظ على مايأتى منه و يصدر عنه فيكرم فانظر قول المؤرخ بلوتارخوس أن فى مصر كان بعض المصر يين يكرم « القنابر التى تبحث وتحطم الجراد » كما أن أهل تساليا فى اليونان كانوا يعزون نوعا من الطيور « اللقلق » الذى يبحث عن الثعابين التى تخرج من الأرض بكثرة و يقتلها حتى أنهم « سنوا قانونا بنفى كل من يقتل أحد هذه الطيور» (بلوتارخوس ٣٨٠/٧٤) .

فليس فى ذلك عبادة وليس جديدا فى بلادنا الزراعية المليئة بالحشرات الضارة بالزراعة والثعابين الكثيرة ونحن نعامل طير أبو قردان بنفس هذا التكريم ونحافظ عليه لصداقته للفلاح ونفعه له فنحن لانعبدها ولا العقلاء من القدماء كانوا يفعلون بل أن مظاهر الاعزاز والتكريم البدائية هى مصدر هذا الخلط بين التقديس والاعزاز والرضاء عن بعض الحيوانات التى يرى فيها الانسان المصرى وغير المصرى من البدائيين صورة غير صورته فتبين فيه شيئا شبيها بالإله الحامى والنافع للانسان والقادر على مقاومة الشر و يتزايد احترام وحب الناس لحيوان ما يقدر مافيه من خصائص الإله من النفع

والحماية فالإله كما أجمع الناس فى تصورهم له يجدون فيه كل المميزات والصفات الطيبة فهو يحميهم و ينفعهم ويجنبهم الضر و يشفيهم و يزيد فى رزقهم ويمنع عنهم العسر فما وجدوا فيه هذه الصفات بعضها أو كثيرا منها فى الحيوان كفلاحين بدائيين أحبوه فنظرتهم و بحثهم عن الإله الخفى الذى هو ملء السماوات والأرض جعل الإله وجهتهم وفى فكرهم وتخيلهم أنهم يبحثون عنه فى كل شيء يرونه فى الماء والأرض والنبات والحيوان والحشرات وفى السماء فى الكواكب والنجوم والشمس أهم الكواكب وأكبرها وعماد الفلك والكون وكل شيء متعلق بها ومتوقف عليها تهيمن وتؤثر فى الكون جميعه منها النور والحرارة والليل والنهار وكل الظواهر التى تحكم العالم تسبب المطر والجفاف والنار فهى فعلا القوة الكوزموكراطية الظاهرة أى العقل المدبر للكون (أو العقل الأبوى للإله الخفى) التى استولت على عقول كل البدائيين فجعلوها رمزا أو إلها قرينا مساعدا لإله يشمل كل شيء خفى عن أعينهم مدرك بعقولهم لايدركون كنهه وان عاشوا به وتحته يرسل المطر و ينتج النبات و يرسل الريح و يسبب الجفاف والقحل فمنه الحياة ومنه الموت فى تطوره يتغير الكون برد فخريف وشتاء وربيع وحر وصيف وفصول زراعية ومطر وفيضان وجفاف ثم حياة فى ربيع ونذر خريف يتبعه شتاء أنه ملء الدنيا شرقا وغربا وجنوبا وشمالا وفى كل مكان يجدونه ولكنه فى الليل يختفى ويموت ليولد من جديد فى شروقه على الدنيا فى الصباح حركة أبدية لاتتوقف كل يوم وكل سنة وعلى مر الدهر، تصوروا به الابدية والبعث للانسان يعيش بعد موته اسوة بالشمس فى الليل والشروق ، وليلهم فى حياتهم الدنيا به يسترشدون وفى حياتهم الآخرة به يهتدون وارتباطهم بالارض جعلهم يؤمنون به فهو دليلهم فى مواعيد فصول زراعاتهم ومرشدهم اليها بتطوره فهو الديميورج المقنن «Nomothetes» نوموثيتس وكأنهم يمشون وراءه يرصدون حركاته المنضبطة مع أرزاقهم وحياة نيلهم و يسرهم ورغدهم قدسوه وآمنوا به فى فجر التاريخ (رع) وحذا حذوهم من ظهر بعدهم من الأمم.

ثم ينفذ الى مصر تأثير تقدم علم الفلك عند الكالدانيين عن طريق علاقات سياسية واقتصادية بين البلدين فى عصر العمارنة شهدت بها تلك اللوحات ذات الخط المسمارى التى وجدت فى تل العمارنة والتى يرى الاستاذ «Cumont» كيمونت فى وجودها دليل على تأثر اخناتون بهم واخذه عنهم أن الشمس اهم وأكبر

الكواكب وهو الكوزموكراطى الذى يرتبط به الكون كله و يتأثر به و يتغير بحركته وفى مصر اكثر من اى بلد آخر يظهر ذلك واضحا قو يا فى فيضان النيل والفصول الزارعية الموسمية المحددة التى يخصب ارضها ويهبها ويهبهم الحياة فركز اخناتون كل القوى فى قرص الشمس واصبح فى عهده آتون المهيمن الكوزموقراطى الكون كله بين يديه كما تحتضن اشعته بايديها فى نهاية كل شعاع الملك والعالم كله و يشمله ثم من قبل اخناتون افلا ترى أن أمون كان المهيمن الذى اوحى اليهم بالتصور السياسى الدينى بتوحيد الملك بآمون، الشمس، المهيمن فى السماوات وعلى الأرض فترى ذلك التمثيل الذكى الرائع بشكل أبى الهول برأس الفرعون الحاكم (اندروسفنكس باليونانية اى الاسد برأس الانسان) اى رأس فرعون على جسم الاسد رمز الشمس فلم يكن ذلك تمثيلا لقوة البشر فكرا وعقلا تتحد مع قوة العزم ممثلة فى جسم الاسد بل الصحيح أن الاسد هو رمز الشمس والرأس الفرعون نفسه ظل الاله المهيمن على الارض وفى رمز أبى الهول الذى وجد فى الطريق بين معبدى خفرع معبد الوادى والمعبد الجنائزى ترى رأس خفرع الفرعون ورقبته كاملة فى جسم الاسد ثم يتطور الامر و يصبح الالتحام كامل الاندماج فيما وجد من تماثيل ابى الهول فى الدولة الوسطى فيكمل الاسد شكلا حتى رقبته ولبدته واذنيه ولكن يوجه الفرعون (امن ام حات) فيصبح التكامل والاندماج تامين بين الملك والشمس برمزه الاسد فتلك هى فكرة الحق الالهى اى الكوزموقراطية العالمية كما يدل الاسم على ذلك اى (آمون فى المقدمة).

فالحيوانات اذن لم تكن الا وجوه تشابه بهذا الاله الكبير والرب الواحد وليست هى ذاتها اربابا بل مرايا كما قال بلوتارخوس. فيما سبق ترى فيها قدرات وصفات هذا الذى كان فى وجدانهم وضمائرهم يراهم ولا يرونه و يسمعهم ولا يسمعونه وكانت تلك الحيوانات ايضا عقدة العقد عند موسى عليه السلام احسها وخاف على قومه الضلال بها فمحاها مستنكرا ومنكرا ومحرما اياها على الناس اجمعين فلا تجسيد ولا صورة وكان على حق فى ذلك فكلمة الاله اى (نثر) تعنى بدون اداة (لا تعريف ولا تنكير) الإله المطلق وهذا هو الذى كان فى ضمير اى انسان مصرى غير الذى امامه خاصا به تمثيلا او اسما له رمز وهذه هى الوحدانية التى اعتقد الاستاذ دربوتون ان صفات هذه الحيوانات تتركز جميعا فى واحد يجمع كل هذه الصفات اى هى صفات لواحد يشمل هذه الرموز بما يرمز اليه جميعا.

ويحاول الاستاذ مونتيه على غير اقناع آن يجعل من كلمة نثر المطلق فى ضمير كل مصرى معنى أنه يفكر فى معبوده الخاص به ثم يقول بان هذا مبدأ مسلم به عند كل مصرى ولكن ذلك لا يتفق مع منطق ولا لما وجد من آثار ولا ما ذكره المؤرخون القدامى فاذا كان هناك اجماع واعتراف عام لا يكون ذلك على ان لكل جماعة اله خاص وهو يعلم ان كلا منها تختلف مع غيرها عليه وكان ذلك سببا فى فرقتهم واقتتالهم. بل يكون الاجماع على ان هناك فى ضمير كل فرد ربا واحدا عاما لهم جميعا كان يتمثل فى الفرعون الذى كان أبنا لكل اله فى كل منطقة ومتحد مع هذا الاله وهذا شيء يجمع الآلهة جميعا فى كل مكان على الاقل فى شخص واحد اى فى الفرعون يرغمهم سياسيا على التسليم له بالحكم حسب ما اكتسبه من تبنى الهم له من حق المهى فالسياسة اذن تفرض وحدة كاملة فى شكل دينى على الجميع فى كل الانحاء وكما فعل الاسكندر الاكبر محتذيا حذو الفرعون فى مصر فى انحاء العالم الميلانى فصار ابنا لكل اله لكل قوم وآمن بكل هذه الآلهة حتى اله اليهود فى يهودا متوسلا بذلك الى الكوزموكراطية العالمية اى السيادة العالمية كالشمس المهيمنة.

فما يتضمنه كل رمز مصرى من صفات رغم خلاف الناس فيما بينهم عليها وعلى تقديرها الروحانى بالنسبة لكل جماعة فان ما تتضمنه هذه الرموز من صفات للاله المطلق وحتى لو اعترف كل مصرى بان لكل فردد آحر رب ومعبود و يوقن بهذا روحيا كما آمن بذلك ضمنا فى شخص الملك اى الفرعون فى سياسته الدينية لاصبح هذا الاعتراف يوحى بفكرة وتسليم من الجميع بكل اله يعتقد فيه الآخر ولكنهم لازالوا دينيا مختلفين فكانت الخلافات بين هذه الجماعات الدينية. بسبب ما يقدسونه فى مناطقهم المختلفة كما تمثل هذه المعبودات المختلفة على نقود المديريات من مجموعة نقود الاسكندرية الرومانية بمصر فخلافاتهم فيما يعبدون كانت قائمة وتشتد الى حد الاقتتال احيانا كما يذكر بلوتارخوس فانظر مثلا التمساح يعبد فى الفيوم وسميت باسمه قديما (مدينة التمساح) وهو ذاته يقتل و يصطاد و يباع للاجانب فى مدينة روما من مدينة دندره كما يذكر بلينى (٣٩) ثم هو نفسه يعتبر الها للشر فى مناطق اخرى مثل إميوس كذلك سمكة اوكسيرهنكون التى تشبه عضوا خاصا فى رفات اوزيريس الذى قتله اخوه (ست) وقطعه اربا كما فى اساطير الاقدمين المصريين كانت هذه

السمكة تصاد وتؤكل فى مديريات اخرى وقد اطلق اسم هذه السمكة على المدينة مقر عبادتها (اوكسيرهينكوس) مدينة البهنسا حاليا بالفيوم فكان ان كبرت هذه الحزازات الاقليمية التى سببها الخلاف الدينى من أجل هذه الرموز حتى وصلت الى حد الاقتتال كما يروى لنا بلوتارخوس فكيف يمكن ان يخطر ببال المصرى عن كلمة نثر المطلقة كل اله يعبده هو او غيره وهو نفسه لا يرضى عما يقدسه غيره بل ويحتقره و ينال من امثاله عنده فتظل الفرقة قائمة رغم مطلب الوحدة سياسيا فى يد الملك عن طريق الدين نفسه، ان كلمة نثر اذن تعنى شيئا تلقائيا فى نفوس المصريين جميعا ملكا وجماعات اى سياسيا اولا ودينيا فكلمة نثر المطلقة الشاملة تعنى تلقائيا فى نفوس المصريين حاكمين ومحكومين وحدة لهذه الرموز المتفرقة وهذا اقرب الى الصواب والمنطق وحتى اذا كان هذا تسليما بصواب ما تقدسه الجماعات المختلفة وقد حدث هذا ضمنا فى شخص الفرعون لاصبحت الوحدانية اى الوحدة الدينية لا ريب فيها وان كل المقدسات تعتبر رمزا لها كما حدث فى المجمعات الالهية اى البانثيون الالهى تاسوعا كان او ثامونا او ثالوثا كما سنرى واندماج هذه المجاميع الالهية فى واحد هو رئيسها او ابوهم اجمعين او فى شخص الملك نفسه فالمنطق اذن ان يكون مدلول لفظ نثر المطلق يعنى الها اكبر واشمل من هذه الرموز المختلفة والمختلف عليها عند الافراد ثم ان هذا الخلاف لا يؤثر فى نفوس المختلفين على الرموز واتجاه فكرهم الروحى مع الاخرين فى البحث عن اله مطلق لما يرونه فى هذه الرموز من فضائل قدسوها من اجلها فانظر كيف أن هذه الآلهة المختلفة المحلية لم تكن قائمة بنفسها بل تتشابه فى الصفات فترى الاله خنوم ذا رأس الخروف وهو الخالق الذى يشكل الجنين فى بطن أمه كان يمثل آمونا ايضا. وهو يمثل ايضا فى البانثيون الكبير ثم ان الامر بعد ذلك لم يكن يمثل آمونا ايضا. وهو يمثل ايضا فى البانتيون الكبير ثم ان الامر بعد ذلك لم يكن يمثل خصوصية لكل فرد على حدة فهناك آلهة معترف بقداستها عند الناس وتندمج فيها الآلهة الاخرين المحليين وغيرهم كما فى ثالوث منفيس وطيبة والاشمونين ثم ان الحيوان الذى يمثل اوزيريس هو عجل ابيس الذى يقدسه الفلاحون جميعا فى منفيس مقره الاصلى ثم زميله فى اون اى عين شمس «Menevis» منيفيس ثم بوكاريس فى طيبة ثم كان ابيس مقدسا فى غير هذه البلدان فى كل انحاء مصر و

خارج مصر ايضا حتى عاش فى مصارعة الثيران «Toro» أسبانيا حتى الآن ثم اوزيريس فى اساطيرهم واز يس ذات الاسماء التى لا حصر لها وقد اندمجت فيها كل الالهة اليونانية والرومانية وكانت هى الهة الشفاء الاولى فى مصر وصانعة الدواء هى وزوجها سرابيس بعداوزيريس فى العصر اليونانى الرومانى ثم حورس الذى كان فى كل بيت والصقر وتوت الاكبر أى ذو الثلاث عظمات ولم يكن هذه الآلهة الاصنة بسيطة محلية محدودة ولكن كانت قداستها عامة عند المصريين ترمز لقوة اكبر من الجميع فرمزيتها لم تكن مخصصة دائما لاله معين بل كانت تشير الى الاله المطلق فانظر كيف يشرح الاستاذبلوتارخوس فيما ذكرنا ان رمزية الصقر فى الحكمة التى اوردها من معبد اثينا فى مدينة سايس ان الصقر كان رمزا للاله المطلق ولم يقل انه يرمز لحورس بذاته الذى كان الصقر رمزا له بل قال والصقر يرمز للاله «ايها الناس كبارا وصغارا أن الاله لا يحب الفسوق» فمن يكون من بين هذه الرموز الالهية فى خلد الفرد المصرى اذا ذكر لفظ نثر المطلق بدون تحديدا أو تعريف وهل بعد ذلك يمكن تحديد اله معين؟ انهم جميعا يرمز اليهم بحيوانات حتى الملك كان ثورا وابنا والملكة بنت الثور وهى از يس و يرمز لها احيانا بالبقرة وكانتهذه الرموزالمحلية تمثل دائما فى مجموعة شاملة فى التاسوع او الثامون او الثالوث فى منفوطيبة والاشمونين وابيدوس وفى الاسكندر ية فيما بعد كما سنرى فى لوحة التوحيد ثم محاولة ادماج الآلهة الكبرى فى اله واحد كسرابيس الذى مثل على النقود الرومانية فى الثلاثة قرون الاولى الميلادية وسميت بنقود الاسكندر ية وقد اندمج فى وحدانية سرابيس اله الشمس (زيوس) ثم النيل. واله البحر بوسايدون واله الشفاء اسكلبيوس (اليونانى) وقد مثلت شعارات جميع هذه الآلهة حول سرابيس الذى كان يضع على راسه الموديوس (مكيال القمح ورمز البركة) ثم تاج الشمس المشع وحلف كتفه قرن البركة شعار النيل وامامه الحربة ذات الثلاث شعب لاله البحر وحولها التف الثعبان شعار اله الشفاء وكل هذه الآلهة ممثلة ايضا متفرقة على نفس هذه المجموعة من النقود ثم تجد تلك الرموز الاقليمية التى تمثل الآلهة الاقلمية لكل مدير ية، خاصة على نقود المدير يات اى النقود الجغرافية من هذه المجموعة النقدية لعملة الاسكندر ية وكان معظمها مندمجا مع الاله الرئيسى المصرى فى العصرين اليونانى الرومانى اى خليفة اوز ير يس المسمى سرابيس.

ثم هذه الآلهة الممثلة فى البانثيون السماوى اى مجموعة الكواكب والنجوم التى كان لها شأن وقدر كبيران واستمر الاهتمام بها مع تطور علم الفلك فى عصرنا الحديث وكان لكل اله من هذه الآلهة نجم يدل عليه زيادة عن رع (الشمس) اكبر الكواكب وأهمها، مثل اوزيريس وازيس وحورس وست وابيس فاوزيريس نجمة باسمه وازيس نجمة صوثيس|شعراءاليمانةنجمة الفيضان (اى الكلب كاسمها عند اليونان) وحورسنجمة هوروس وست الدب الاكبر وابيس برج الثور ثم القمر أو ثور السماء كما يذكر بلوتارخوس وهو خالق ابيس.

وعلى اى حال فاذا كان اختلاف|الناس فيما بينهم منصبا على الرمز فاظن انه لا يوجد اى خلاف على الفكرة التى من اجلها كان تقديس الغير لهذه الرموز لما تبينوا فيه من نفع وفضائل ومميزات تجعل منها رمزا للاله وما يأتى من خير منه هو فى الاعتقاد العام ما يجب أن يكون عليه الاله.

فرمز الثور الذى كان عندهم جميعا كفلاحين وفى كل مديرية تقريبا كان يقدس فيها وله احترام خاص عندهم وعند غيرهم فى كل البلدان المصرية لنفعه الكبير وقوته الجنسية الخصبة الى حد أن اصبح زوج اوزيريس الحية كما يذكر بلوتاخوس وغيره من الكتاب الاقدمين أى النيل المخصب فالنفع من عون وحماية ومساعدة وشفاء وخدمات ومقاومة الشرور وغير ذلك من فضائل وافضال الاله تدخل الناس جميعا فى دائرة روحية واحدة من تقديس ترجوها متجمعة فى اله واحد يهبهم الخير كله والفضائل كلهامتجمعة فيه وما وجد من رموز لهذه المميزات عندهم فهى له وترمز لما فيه من بعض الصفات فهو الذى يرجونه مثلا اعلى يتمثل الناس فى مجموعهم فيه كل هذه الارباب الرمزية التى تسبب فرقتهم وفى نفس الوقت فيها صفاته كالبانثيون المصرى فى بعض البلدان (تاسوع وثامون وثالوث) ففكرة التوحيد فى وجود هذه التجسيدات المختلفة الاشكال عند البدائيين كانت غامضة مطموسة ولكن اقتفاء أثرها ممكن اذا ما تصورنا كل بانثيون فى المديريات المختلفة أما تاسوعا او ثامونا او ثالوثا من الآلهة الهامة البارزة ذات القداسة الجماعية بين الناس ولهم فيما بينهم اله اول كما اشار الى ذلك بلوتارخوس وهذا دليل ايضا ضد وجهة نظر الاستاذ مونتيه وفى جانب الاستاذ دريوتون الذى رأى فى هذه الحيوانات وتعدد صفاتها الحسنة دليلا على

وجود واحد له تلك الصفات جميعا وهذه هي الوحدانية التى كانت السياسة تتوخاها لتنوز بالوحدة السياسية والقيادة الروحية معا الممثلة فى الفرعون كما أن لوحة التوحيد دليل قاطع على صحة ما ذهب اليه الاستاذ دريوتون وما ذكره بلوتارخوس.

وان هذه المجمعات الإلهية (البانثيون التاسوع وغيره) تدل على ذلك فهى فى مجموعها لها من بين الآلهة خالق تتجمع حوله وأب لهم جميعا كما كان فى اليونان فى مجمع جبل الميوس فكان اذن من المحتم على موسى ان يلغي هذا التجسيد فى اى شكل و يستنكره لا فى مصر وحدها بل فى اليونان ايضاً وعند الاقوام البدائية الاخرى ويحرم ذلك تحريما قاطعا وان يعبد ر به فى معبده بدون صورة فالله اكبر من كل هذا العالم ولا يمكن أن يشبه احدا من مخلوقاته باى صورة. فادراك كنه الله شيء متعذر تماما ويجب ان يكون تصورنا له تجر يديا و بذلك يكون موسى قد ابرز الوحدانية التى حوت كل القدرات بشكل حاسم أوليمبوس لا يشوبها غموض ولا تحتاج لشرح أو تأو يل.

فما قاله مونتيه (٣٣/١٠٤/٥) وما ذكره من اقوال حكماء مصر منذ الدولة القديمة حتى الاسرة الواحدة والعشر ين الحكماء بتاح حوتب ومر يكارع «Merikara» فى الدولة الوسطى ثم آتى من الدولة الحديثة والاستاذ الحكيم أمونيموبى هو وغيره من المؤرخين (٤٦) وما يذكر عن هؤلاء الحكماء من آيات مثل «ان الاله يعلم كل شيء وانه قادر على كل شيء واننا لا نعلم غيبه ويجب أن نخافه ونخشاه» فهذا له مغزى كبير اذ أن الحكيم كان يخاطب الناس جميعا رغم أن مونتيه (٣٣/١٠٤/-٥) يصر على أن كل فرد يتجه فكره الى من يعبده محليا ولكن السياسة كما ذكرنا قد خلقت رابطة ايمان عام بالمعبودات الاقليمية جميعا عند المصريين بأن اشركت شخص الفرعون ابن أو زميل كل المعبودات المحلية ثم از يس كالهة يجمع الجميع على الايمان بها فهى تمثل ارض مصر السوداء يشهد بذلك على الاقل من الآثار، الاربع لوحات التى تمثل زمالة الاله المحلى من مدير يات الوجه القبلى للفرعون ميكيرينوس (منقرع) الذي يقف فى الوسط بين الاله الاقليمي فى المدير ية على يساره واز يس عن يمينه ثم ان الاثنين يحيطان الملك بذراعيهما من خلف ظهره وقد ارتدى التاج الابيض أى تاج مصر العليا على رأسه والى اعلى على يسار الملك وفوق رأس الاله المحلى رمز وعلم المدير ية فى ليكو بوليس (أسيوط) وفى مدير ية افروديتو بوليس (هو) ثم طيبة وأما

اللوحة الرابعة لنفس الملك فمحفوظة فى متحصف بروكلين فهذا الثالوث الذى يتوسطة الملك فى هذه الاقاليم جعل من كل الآلهة المحلية وحدانية فى شخص فرعون مصر وفى از يس التى هى الالهة الكبرى لمصر جميعا وهذا هو الثالوث الازلى. فاشارة آنى الى الاله المطلق انما هى اشارة فى ذهن الحكماء للاله المطلق الذى هو اكبر من هذه الآلهة الاقليمية جميعا وهو ايضا فى ذلك يتجه الى المعبد الذى هو وحدة كل شىء وكما تقول السيدة عفت ناجى على لسان الاستاذ «شفيلردولو بيتز» «Schwaeler de Lubiez» ثم: « أن المعبد المصرى يعلم و يشير و يوحى بان كل شىء هو الواحد الذى لا يعرف وجميع عناصره هى التى تشكل حالات الانسان فهى مظاهر التوحيد» وكان الكهنة المهيمنون على الفنون المتبحرون فى ا لعلوم تتمثل فيهم الاستاذية فى الفن والمعرفة والصنعة. ففيه تجد الثالوث الذى يرأسه اله اكبر هو دائما الثالوث الازلى الخالد اى ثالوث الخلق الذى اساسه النيل (الملك) أوز يريس واز يس الارض ثم الابن حورس اى الخلق والانتاج الجديد (العالم) وهو ما رأى فيه فلاسفة اليونان الثالوث الرابع الذى هو احسن واروع ما فى اشكال الطبيعة الآلهية كما سنرى ذلك عندهم فيما بعد ثم نرى فى المعبد ايضا مجمعات (بانثيوت الآلهة البارزين التى تتجمع فى الثالوث والثامون والتاسوع فى المديرات المختلفة بصرف النظر عن الفرد الذى ربما كان يتجه الى اله معين له فهؤلاء الحكماء فى كل عصور مصر يهفو خاطرهم الى اله واحد كامل يؤمن به الناس اجمعين لا جزء من المصريين او جماعة قليلة ويختلفون عليه مع غيرهم من جماعات اخرى لا تقدس الهم وهو يعلو عليهم جميعا فانظر هؤلاء الحكماء بتاح حوتب وميريكا رع ثم آنى وكيف تتوارد على افكارهم نفس المعانى فى ذكرهم الاله المطلق فيقول الاول «انه الاله («نثر») الذى بيده النجاح» أو قول آنى (ان ربك عنده الرزق) ثم قوله الذى يوصى فيه باقامة المعابد (وأن الاله يكره من لم يقم (العبادة له) (٣٣/١٠٤/٥) ثم وصيته للناس بالتزام الهدوء فى المعابد انه فى ذلك يطلب اقامة العبادة العامة والهدوء من كافة الناس فى المعابد التى يسيطر عليها فى قدس اقداسها الثالوث الخالد العتيد معبود الجميع بلا منازع وحتى لو كان محليا فهو رمز للثالوث الازلى ومن روحه ذلك الثالوث الذى فيه الكل فى واحد والواحد يشمل الكل.

هـكـذا شـعـر الاستاذ دريوتون وهو الذى جمع من هذه الاقوال عددا كبيرا له وزنه كما يـقـول مونتيه «بالوحدانية الحقيقية التى تطغى على العبادة التقليدية بل وحتى تؤثر فيهـا» فذكر اله (نتر) مطلق فيه معنى التجرد وعدم التقيد بذكر اسماء وصورة معينة قد تـوحى بالتعدد رغم أن كلها لواحد يشملها جميعا مهيمن فى السماء وعلى الارض واكبر مـن الكون كله عندهم برمزة الشمس ترتبط به وتدور فى فلكه كل الكائنات فهو مدار حياتها جميعا .

فى مصر البـلـد الـزراعـى الحـار كـانـت الحيوانات منها النافع التى يرمز بصفاتها الحـمـيدة الى اله الخير وحيوانات اخرى شريرة ضارة وآفات يرمز بصفاتها السيئة الى اله الشر وكـل ذلـك يـتـعلق بما تتعلق به حياة المصريين من ماء وزراعة وقحل وجـفـاف وعقم وهـذا دلـيـل على وجـود اله الخير يعلو و يسمو و ينتصر و يتغلب على الشر واله و بـاقـى الحـيـوانات فى كلا الجانبين تـساعد وتناضل كل فى الجانب الذى تنتمى اليه بـصفاتها و بطبيعتها فى هذا النزاع بين اوزيريس وحورس جانب الخير وست جانب الشر او الالـه الـعـدو كما يـقـول الاستاذ دريوتون وهذا فى حد ذاته وحدانية كما يقول بـلـوتـارخـوس ايـضـا فـانـظـر الى التمساح تجده فى الفيوم رمز خير وهو آمون (الشمس) مختـبـىء فى المـاء مـن اعدائه واندمج ايضا فى حورس (هاربوكرات) وسرابيس وفى اقـاليم نجـده رمزا للشر فـالامر ليس حيوانا فى ذاته بل الرمز للخير والشر عامة وفى رأى الاسـتـاذ دريوتون ان الديانة المصرية ليست مزدوجة بل واحدة اله الخير وما عداه اله عـدو وقـد انتصر حورس وطرد ست واصبح ملكا على عرش ابيه فى مصر فهذا التصور وحـدانـيـة سرت عليه الاديان تمثلته فى الشمس اى النور والظلام وتمثلته فى الخصب والمـاء ضـد الـقـحـل والجفاف وهذه ظاهرة شرك وتعدد آلهة وفى باطنه وحدانية تشمل قـوى الخير فى مـطـاردتها ومقاومتها للشر والانتصار عليه فالاساس اله خير وشيطان وما قـصـد الحـكـيم الـذى قـال ان الالـه فى كـل انـسـان الا دليل على أن الجانب الخير فى الانـسـان هـو مـن لـدن الـه الخير الـذى يرمز اليه بشتى الصور حتى على وجه الانسان نـفـسـه ولـكـن ذكـر الـه الخير بـدون تحديد يراد به تعبير شامل لكل صور القوى الخيرة المتعددة فى قدراتها وحصرها فى تعبير واحد ولا يمكن أن يتصور احد مائة الف وجه خير متعددة ومختلفة ولكن المعقول أن يكون هذا العدد فى صوره العديدة للخير تمثيلا لقوى

اله خير واحد متعدد القدرات والنواحي اما الشياطين فليست الهة بل قوى معادية يمكن التغلب عليها دائما لصالح بقاء العالم.

وفى كتاب الموتى نجد أن الفرعون هو التمساح الذى اذا قبض على شيء لن يفلته ثم هو أى التمساح اوزيريس المخصب لازيس وهو رمز الشمس المضيئة المهيمنة الخلاقة وفى نفس الوقت نجد أن هذه كلها اوصاف للملك الإله المهيمن على كل شيء والمتسلح بكل القوة والنور لطرد الظلام والشر وحتى فى السحر نجد المصريين يجمعون فى التمثيل الشامل واحدا يضم كل القوى المتفرقة التى اذا تجمعت فى واحد اصبح له تأثير سحرى لا يقوى أى تمثيل لشكل واحد من أشكال قوى الاله منفردة من أن يكون لها هذا الأثر فانظر الى هذا التجسيد السحرى للتاسوع الذى يحتويه ويحتوى على صفاته و يتوحد كله فى الامبراطور الرومانى. من القرن الثانى الميلادى ممثلا بالحفر البارز على حجر جيرى بالمتحف المصرى والذى يمثل الهاطلسيماجسمه جسم اسد برأس الامبراطور (ابو الهول) وقد سميت هذه اللوحة (بلوحة التوحيد) حتى نتبين التوحيد السياسى والدينى بتوحيد تاسوع مدينة كوبتوس فى واحد هو الامبراطور واليك هذا التكوين انه جسم اسد آمون برأس الامبراطور اى ابو الهول (اندروسفينكس) وملتصقا بجسم الاسد التمساح (سوخوس الفيوم) اى اسمه اليونانى معبود النيوم و بالمصرية (سوبك) أما ذيل الاسد فثعبان يمثل الارض وهذا يعنى ان الامبراطور كوزموراتور فى السماء والارض وعلى ظهره جريفون لبؤة برأس كلب واضعا يده الامامية على عجلة تمثيلا للالهة نميسيس «Memesis» الهة الانتقام. ثم يحيط برأس الامبراطور ثامون كالهالة تمثل آلهة هذه المديرية المكونة للتاسوع الالهى فيها وكلها من الحيوانات التى ذكرها بلوتارخوس المقدسة لدى سكان الاقاليم المصرية المختلفة ثم يحيط بالشكل كله نجوم تشير الى السماء وتدل على قدسية هذا التاسوع الممثل فى شخص الملك تجسيدا لوحدانية دينية تتطلبها الوحدة السياسية فى الاقاليم وفى مصر كلها بآلهتها جميعا فى واحد هو الحاكم المصرى ثم فى خلفائه من الحكام الاجانب فتكون لهم السلطة السياسية والقيادة الروحية فكل هذه القوى اذن مجتمعة فى واحد هو الشمس (الاسد) دليل على انها اشكال لا ترمز الا الى قوى فى نواحى وقدرات الاله الاكبر الذى يمثله هذا النقش فى العصور المتأخرة

وحتى فى ذبائحهم تؤكد تلك الرموز التى ترمز الى الآلهة أنهم فى ذبائحهم لا يذبحون بقرة او ثورا اذا كانت به شعرة بيضاء او سوداء كما سنرى فى قوله تعالى لما أن سألة موسى عن ..لون الضحية التى امر الله بنى اسرائيل بتضحيتها وكان موسى يعلم كقومه تلك الحساسية الخطرة فى عقائد المصريين فكان الجواب الالهى «صفراء تسر الناظرين لا شبه فيها» فالشعرة البيضاء علامة حورس الشمس الجديدة وقاهر الظلام والشر (ست) والسوداء تشير الى اوزيريس ذى اللون الاسمر وهو رمز الماء المخصب «وجعلنا من الماء كل شىء حى» كما سنرى.

فالشمس المهيمنه اى رع ثم امون ثم فيما بعد عند اليونان زيوس وسرابيس فى مصر البطلمية والرومانية وكلها آلهة شمسية. نشأت فى وحدانيتها كل الآلهة الاخرى الثانوية تمثل وجوها وصفات ونعوتا مختلفة صورها واسماؤها على مر العصور ولكن فكرة التوحيد او انتمائها جميعا الى اله اب اكبر فى مصر واليونان وفارس وغيرها من الحضارات القديمة الاخرى كانت واضحة وملموسة وخاصة فى الاسرار والطقوس مما يثبت قرابة كل هذه الآلهة لبعضها ثم ان تعدد تقمص زيوس فى اليونان فى كل صور القوى الاخرى التى دونه وتزاوجه بالحوريات المقدسات اللائى انجبن له آلهة البانثيون اليونانى دليل على الواحد فى الجميع او الجميع فى الواحد وما الايدى فى نهاية كل شعاع من اشعة الشمس فى عهد اخناتون الا دليل على وحدانية هذا الاله الذى يتمثل فى قرص الشمس وهذا دليل على وجود يده فى كل مكان فى هذا الكون الذى يحتضنه باذرعه. وكذلك كانت الشمس فى كل مكان اخر فى العالم القديم هى المهيمنة (كوزموكراتور) على السماء والارض وقد بينا فيما سبق كيف كان اندماج اله الشمس (هيليوس) فى الاله المصرى سرابيس الذى ظهر فى العصر البطلمى وكان بعثا يونانيا لآمون واوزيرس المصريين وشملت وحدانيته كل القوى الاخرى واعترف بذلك رسميا فمثلت هذه الوحدانية على نقود الاسكندرية ثم ما كان مما ذكر فى النصوص اليونانية لسرابيس بصفته الاله الواحد «heis» فتمثيله مندمجا فيه زيوس (هيليوس) والنيل و بوسايدون (اله البحر) واسكليبيوس اله الشفاء (الطبيب) ثم هو وعلى رأسه الموديوس (.مكيال الحبوب رمز الخصوبة) انما هو اعتراف بوحدانية سرابيس فكان (الواحد فى مصر) رسميا على النقود الرومانية الخاصة بمصر فقط

كعملة محلية استمرت فى التداول الداخلى بمصر طوال الثلاثة قرون الاولى الميلادية وسميت بعملة الاسكندرية أى بمكان ضربها فى مدينة الاسكندرية عاصمة مصر فكانت خاصة بمصر فى الفترة الخطوة من حكم الرومان لمصر فأباطرة الرومان كانوا يخشون قيام كليوباترا اخرى مصرية فمصر كانت اقوى وأغنى وأعرق حضارة من روما فجعلوا من مصر اقليما منعزلا عن بقية الاقاليم الامبراطورية فكانت تابعة للامبراطور رأسا وتحت رقابته الشخصية حتى لا تقوم لها قائمة وتظل خاضعة لروما، فعلى هذه النقود الامبراطورية اليونانية فى الاسكندرية ظهر سرابيس جامعا لكل هذه الآلهة المصرية اليونانية فى مصر ممثلا على ظهر العملة التى يحمل وجهها رأس الامبراطور الحاكم فكان هذا الاله الذى يمثله الحاكم فى مصر كوزمو كراطوريا يمثل الشمس المهيمنة المسيطرة على العالم كله بمائة و بارضه و بسمائه بيده الشفاء والسلام والأمان .

هذا مظهر من مظاهر فكرة الوحدانية التى تكررت فى العصور المصرية وكانت غامضة مدغمة الصورة فى متاهات التجسيد بشتى مظاهره وصوره فى مصر واليونان بعد ذلك ففى مصر لما أرسل الله موسى بالدين الجديد اكد هذه الوحدانية وابطل الشرك فى مظهره من تعدد تجسيد القوى فى أشكال حيوانية رأى فيها المصريون خصائص ووجوه شبه بالهم الأكبر.

وفى اليونان تجسيد آدمى رأى فيه اليونانيون تعبيراً عن الخلق والجمال والفن فى الرجل والمرأة والرجل المندمج فى الحيوان وقوة الخالق برمز التزاوج والبعث بين الرجل والمرأة صورة الاله على الأرض فى ستى وجوهها واحوالها فكانت ديانة رمزية روحانية دنيوية سجلتها اقوال الحكماء وفلسفتهم والشعراء واساطيرهم و يأتى موسى بوحدانية صحيحة كانت فى عقول الناس وقلوبهم فابطل مظاهرها المجسدة بصورها عندهم وجعل الناس يبحثون عن الله فى الفضائل وفى اعمالهم الصالحة باطاعته والسير على شريعته و يعبدونه فى قوانينه وشريعته دستور الحياة الفاضلة واطاعة عهده وانذر بالعقاب والعذاب لمن عصى و بالثواب لمن اهتدى.

وهكذا ثبت الدين الجديد ودعم نصائح وحكم الاخلاقيين والقيم فى الاقوال والأمثال المشتركة التى نطق بها حكماء المصريين بل وحتى الأمثال الشائعة بين

الشعوب المتشابهة فى الهدف الفاضل وان اختلفت صبغها الا أنها اتت متطابقة روحانيا وقد اثرت البيئة المصرية التى عاش فيها بنو اسرائيل فى اعماقهم وكان موسى يخشى ذلك الاثر عليهم فقال لهم بعد خروجهم من مصر وقبل وصولهم الى كنعان كما ورد فى (لاويين ١٨/٣) «مثل عمل ارض مصر التى سكنتم فيها لا تعملوا» بل خاف عليهم من أثر كل بلد لا تؤمن بشريعته فيقول فى نفس الآية «ومثل عمل ارض كنعان التى آت بكم اليها وحسب فرائضهم لا تسلكوا» فقد كان الكنعانيون عبدة للثور ايضا وقد كان قوله هذا دليل واضح على شدة تأثر بنى اسرائيل بالمصريين وأثر ما أخذه عنهم من تقاليد وادب وحكم مصرية.

فكان ذكر الاله مجردا بدون تحديد هو ملاذ لكل الناس يلوذون جميعا بواحد اكبر من كل الاشكال والرموز وهذا هو الايمان بالواحدانية التلقائية فى نفوس الجميع وخاصة الحكماء واهل العلم رغم تعدد الاشكال المقدسة الظاهرة الا أن الوحدانية هذه كانت غير متكاملة المعالم غامضة التعبير عن نفسها بدائية فى المظهر والتمثيل لسيطر عليها طقوس ومراسم تنزيد فى غموضها وقد كان ذلك طبيعيا فى مثل هذا الوسط البدائى ولم يظهر فيه الا الاخلاقيون الحكماء دون أن تكون لحكمهم قوة سماوية يلتزم بها الناس او نبى يوضح الوحدانية المستترة وراء كل تلك الطقوس والتجسيدات كما اوحى الى موسى الذى ادرك تلك الوحدانية اثناء وجوده بمصر ودراسته فيها وتعلمه طقوس ديانة مصر ومراسمها وتثقف بحكمة حكماء مصر واحاط بعقائد هذا المجتمع الوثنى وعدم قدرته على التعبير عن الوحدانية فكشف عن سر هذا الغموض بابطال التجسيد بكل صوره فى مصر وفى غيرها من الحضارات الاخرى وخاف على اتباعه أن تضللهم هذه المظاهر كما ضل بها كثير من البسطاء فى مصر فنهى بنى اسرائيل عن ان يعملوا ما كانوا يفعلون فى مصر التى سكنوها قبل خروجهم فى طريقهم الى كنعان كما سترى من ردتهم فى الرجوع الى عبادة الثور. وقد اشار القرآن الى ذلك حين قال فى سورة الاعراف ٧/١٥٢ «أن الذين اتخذوا لعجل سينالهم غضب من ربهم» وحكى

الله فى صورة طه (٢٠) الايات ٨٥ وما بعدها وما فعله السامرى من صنع عجل لهم يعبدونه في غيبة موسى لميلهم لعبادة العجل كما كانوا فى مصر. وقولهم لموسى فى رحلتهم من مصر «اجعل لنا الها كما لهم آلهة» ١٣٨ الاعراف (٧)

كان زيوس اله الشمس عند اليونانيين قد تمثل فيه الخير كله فى قول بلوتارخوس، كما كان يعتقد و يفكر العقلاء فى وجود المين احدهما اله الخير والآخر اله للشر. وهذا بالطبع علىَ عكس أهل الديانات السماو ية يهود ومسيحيين ومسلمين فهم لا يعتقدون الا فى اله واحد هو الخير كله اما الشر فمن مخلوقاته من بشر وشياطين من شر ما خلق وهو الذى يهيمن عليهم جميعا و يهديهم سواء السبيل وعند الحساب أما عقلاء الفرس ففكروا فى أهورا مزدا الها للخير واهريمان الها للشر والظلام وزيوس كان نقيضه عند اليونان هادس Hades الها للشر فانظر ما يقولهسترابونان «اليونانيين كانوا يكنون لزيوس اكبر تقديس» (٤٧) وكان الذى يرمز اليه من حيوان طائر النسر لعلوه وقوته وأما شعاره فكانت الصاعقة بصفته-اله الشمس والفضاء. وكان تمثيل رموزه دائما على النقود البطليمية نسرا واقفا على الصاعقة أما هو كما نراه على نقود الاسكندرية الرومانية والنقود الرومانية الاخرى غير المصرية وعلى الاحجار المنقوشة فرجل نصف عار وله لحية وممسكا بيده احيانا النسر واحيانا الصاعقة ومتوجا بتاج مشع واحيانا يكون النسر واقفا عند قدمه واحيانا على العملة الرومانية تجده رافعا يده الى اعلى فى وضع الاله المهيمن ممثلا للشمس و باسمه اى «صول» كما اوضحنا فيما سبق هذا الاله الذى يدين له اليونانيون باعظم تقديس قد اندمج فى الآلهة المصرية الشمسية وكلها آلهة للخير فى مصر وفى غير مصر فاندمج كما أشرنا فى آمون الاله المصرى وصار باسم «زيوس آمون» وهو اله له لحية وشعر كث وعلى رأسه المكلل بالغار قرنى آمون كما هو ممثل على نقود البطالمة البرونزية. ثم فيما بعد اندمج بسرابيس هليوس أى الشمس على النقود الرومانية المصرية أى عملة الاسكندرية و بصفته هذه أى اله آمونى يكون قد اتحد ضمنا و بصورة مباشرة مع كثير من الآلهة المصرية ففى الفيوم يندمج بالتمساح فى مدينة التمساح Crocodilopolis اليونانية أى الفيوم وهو المسمى باليونانية سوخوس، ثم باعتباره آمون مختبىء فى الماء وقد اخبرنا سترابون الذى رأى بنفسه أن فى بحيرة المعبد فى الفيوم تمساحا اليفا مع الكهنة فقط يحضر اليه العابدون الذين يريدون استشارته فى امورهم بالهدايا من مأكولات منها

الفطائر واللحم المشوى والقمح والنبيذ المخلوط باللبن وغير ذلك (انظر ملاحظة ١٢) و يطعمه اياها الكهنة بأيديهم فقد كان اليفا مستأنسا معهم فقط، هذه الآلهة الشمسية ترتبط بها الارض الزراعية وفصول انتاجها مع تطور الشمس فقوة الخلق وانبات الارض متجسد عند المصريين فى اوزيريس الماء المخصب وهو أيضا القمح نفسه الذى يبذر فى الارض و يتحلل فيها كالزواج تمتصه ازيس و يفنى اوزيريس وهو فى ذلك يكون (الضحية الكبرى) واذا بالحياة تعود من جديد عندما ينبت الزرع ويخضر ثم تخلق السنابل قمحا جديدا هو حورس (الخلق والانتاج من هذه الزيجة لاوزيريس وازيس). وهذا هو الثالوث الازلى فحورس هو الانتاج والكوزموس و بعث الحياة الجديدة أى الخلق أو آمون الشمس الصغيرة التى تكبر ثم تشتد وقت الظهيرة ثم تغرب وقت الغروب وتموت وتختفى ليلا ثم تنبعث فتولد مع أول خيوط الشمس فى الصباح وهذه صورة تأملها المصرى القديم للنبات ودورة الشمس نهارا وليلا ثم المشرق أو البعث فى الصباح بعد ان يولد من جديد ليلا (ملاحظة ١٢).

حركة لا نهائية سرمدية للحياة لا تتوقف بالتضحية الكبرى لاوزيريس ودفنه فى الارض وقت بذر القمح مثل الحبوب بعد بذرها فيموت فى باطن الارض كالشمس ليلا بعدها يعود للحياة فى صورة السنابل الجديدة وهذا تفسير لاسطورة ولادة ازيس لحورس من اوزيريس وهو ميت كما يقول بلوتارخوس (٤٨).

فارتباط الحيوانات الزراعية وخاصة الابقار بهذه الدورة الشمسية الزراعية أمر لا مفر منه عند هؤلاء البدائيين فما تقوم به هذه الحيوانات من دور هام وما تشديه لهم من خدمات امر لا غنى عنه فحياتهم كلها تتوقف على الانتاج وهو أمر حيوى بالنسبة لمجتمع من الفلاحين. وقد كان تحليل الأستاذ بادج Budge (٤٩) لدور العجل الهام للفلاح تحليلا موفقا فعنده «ان النيل أى اوزيريس يفيض بمائة على الارض وحابى (ابيس) هو الطاقة التى تمكن المصرى من حرثها» وهذا امر طبيعى ان يقدس من اجله الفلاح الثور فبالقياس الى قوة الثور الماثلة بالنسبة للفلاح ولخدمة الارض يرى الفلاح نفسه ضئيلا الى حد أنه لا يعدو شيئا بالنسبة له فلا عجب اذن أن يعزه و يعجب به و يقدسه فعليه تتوقف حياته ورزقه وفقا لما يقوله ديودوروس صراحة فى عبادة هذه الابقار بشيرا خاصة الى عجلى ابيس ومنيفيس فكليهما نافع للزراعة قد

قدسا كالآلهة كما علم (الناس) «أوزيريس ثم ايضا «هؤلاء الذي كانوا أول من اكتشفوا استثمار الارض «فقد آتت أكلتها على مر العصور نتيجة عمل هذه الحيوانات» فنفع هذه الحيوانات كان سببا فى عبادتها كالآلهة الرازقة للفلاح وقد كان ذلك مضللا للكثيرين من البسطاء السذج فوقعوا فى حمأة الخرافات كما ذكرنا عن بلوتارخوس الذى أحدد هو وغيره من المؤرخين أسباب عبادة هذه الحيوانات رغم أن تلك الرمزية وذلك التجسيد فى صورة الحيوانات قد دفع بكثيرين من المصريين الى ضلال الخرافات والكفر الا أن العقلاء والمدركين لحقائق فلسفة اللاهوت فى مصر يعلمون علم اليقين أن الاله الذى هو ملء السماوات والارض ليجل عن أن يمثله انسان او حيوان كما يقول سترابون على لسان موسى عليه السلام كما تعلم فى مصر حكمة اللاهوت الدقيقة الحذرة فيما يخص هذا الامر أد لا يعدو الأمر ان يكون هذا الرمز دلالة صغيرة على قدرة الاله التى تتمثل فيه فعندما اراد هؤلاء العقلاء تعبيرا لمفهوم وحدانية الاله الاكبر فى شكل واحد جمعوا كل ما يدور فى خلد الناس وتصوراتهم فى صورة واحدة جعلوها فى لوحة واحدة تجمع مع رمز الشمس التى جعلوا منه رمزا وقرينا اى ديميورج للاله الخفى الذى يملأ جبروته وقدرته ونعماؤه السماوات والارض فجمعوا كل تجسيدات خصائصه ومميزاته فى اشكال ورموز حيوانية فلما اتى موسى وهو الواعى لتلك الفلسفة القديمة محى كل هذه التجسيدات لله ولارادانه فى كل اشكالها وعبده وحده بغير صورة.

فلننظر اذن هذه اللوحة الفريدة التمثيل لتلك القدرات فى صورة الحيوانات التقليدية التى اجمع المؤرخون على ان المصريين كانوا يقدسونها وقد تجسمت فى لوحة واحدة تمثل البانثيون المصرى اى التاسوع أى مجمع الالهة فى مدينة كوبتوس التى تشهد بوحدانية الآلهة التى تشمل كل شيء وقد وافق الاثريون من العلماء مثل الاساتذة بيردريزيه «B.Perdrizet» (٥٢) واوكتاف جيرود «Oct. Gueraud» (٥١) على تاريخ هذه اللوحة فى مطلع القرن الثالث الميلادى (٢٠١ - ٢٠٩م) وهو العصر الذى يقول عنه الاستاذ بيردريزيه (انه العصر الوثني الذى بدأت فيه الوحدة الشاملة اى الوحدانية فى الظهور وقد وجدت اولادعت فيها نظرية فلسفة التجميع لكل الفضائل والقدرات والرموز وقت أن اضمحلت الوثنية طغت عليها فكرة الوحدانية) فى عصر الامبراطورية. وقد اصاب بيردريزيه فى ذلك وكان

منطقيا فى رأيه فالواقع أن ذروة انتشار العبادة المصرية فى العالم الغربى وفى روما خاصة وتشبث واصرار الاباطرة بالمحافظة بكل قواهم على مصر خاصة وتثبيت سلطتهم وسيطرتهم عليها وقد كانوا ملوكا آلهة عليها فى تقاليد مصر كخلفاء للفراعنة اصحاب الهيمنة العالمية وابناء الشمس الكوزموكراطيين وطموحهم القوى أن يكونوا ملوكا آلهة فى بلادهم كما هم فى مصر وأن يجعلوا من أنفسهم كوزموكراطيين لهم السلطة العالمية على الامبراطورية المترامية الاطراف التى ارادوها على غرار امبراطورية الاسكندر الأكبر فى سيطرته على العالم الهيلانى، وشدت انتباههم الديانة المصرية فتشبثوا بها وروجوا لها تمندهم ليتمكنوا فى بلادهم من أن يصلوا الى درجة الآلهة الحاكمين على شعوبهم وأن تؤمن بهم الشعوب وتقبل حكمهم الثيوقراطى عليهم كالاسكندر الاكبر من قبلهم فيضمنون وحدة عالمهم الرومانى المختلف الاجناس فى وحدة سياسية تساندها وحدانية دينية متمركزة فى شخص الامبراطور اثناء حياته وقد كانوا يؤمنون بتأليه ابطالهم وحكامهم بعد موتهم لا قبل ذلك أثناء حياتهم فكانت غايتهم أن يكون حكمهم لشعوبهم ثيوقراطيا وأن يكون الامبراطور على رأس الدولة امبراطورا لها، وفى تلك الفترة ايضا تظهر تماثيل كثيرة جدا لعجل ابيس الامبراطور أى امبراطور بقناع عجل ابيس جالسا على العرش كما كان يؤمن المصريون واليونانيون فى مصر به كما ترى من البردية التى نشرها الاستاذ تيرنر التى يذكر فيها أبيس (بسيدى أى مولاى ابيس) اذ يقول الرجل فى خطابه لاخته أنه صلى من أجل صحتها أمام «الإله ابيس» (٥٣).

وقد كان ابرز من طمع فى تحقيق هذا الهدف هو الامبراطور كاركلا (٥٤) كما ظهر ذلك على النقود التى ضربت فى عهده.

فلوحات النذور الرامزة للوحدانية هذه قد انتشرت بالتحديد فى عصر الاباطرة سبتيم سفيروس وجيتا Geta وكركلا كما يقول جيرود وهذه اللوحات بالذات تمثل كلها آمون لوزيوس اليونانى اوجوبتر الرومانى فى شكل اشد برأس امبراطور وهو أبو الآلهة جميعا وسيد البانثيون المصرى اليونانى الرومانى فى مصر وهو الذى تشمل قدراته كل رموز الآلهة الطيبة الآخرين فيما تشكلت به من صور حيوانات قدست من اجله ومن أجل الآلهة التى تمثل النواحى قدرات ابيهم اجمعين والذين يتمثلون على هذه

اللوحة فى تاسوع كوبتوس وعلى رأسه الامبراطور الرومانى بن آمون وممثله الحاكم على الارض والسماء ايضا أى المهيمن على العالم كله كوزموكراتورا سياسيا ودينيا خليفة للفراعنة الا أن تمثيل الاندماج هنا فى الاندروسفنكس الذى يجمع كل صفات هذا التاسوع الالهى قد ابرز فكرة التوحيد بين كل هذه الرموز فى واحد أى فكرة الوحدانية (المونوثيزم) الحقة وعلى هذه اللوحة بدلالة واضحة على وجود الاله الاكبر الباطن الخفى ظاهرة القدرة فى تصور الناس وقد اظهرته سياسة الحكم الدينية لاعيننا بجلاء وهذا تصور يثبت لنا أن ما ذهب اليه اخناتون لم يكن الا انشقاقا ظاهريا عما اسموه بالشرك أى البوليثييزم Polytheisme غير ذى شمول كاف فهذا الإله الخفى الذى يمثل العالم كله برمزه ووسيطه الشمس، كما يصفونه بآمون (وهو لفظ بمعنى الخفاء) وقد ذكر بلوتارخوس (**) على لسان مانيتون السبنيتى (من بلدة سبنيتير Sebennytes لوجه البحرى) ثم على لسان هيكاتوس يقول بلوتارخوس أن المصريين يستعملون هذه الكلمة فى تحيتهم بعضهم البعض فالكلمة تستعمل للمخاطبة ثم يقول بلوتارخوس أن هذا اللفظ «أمون لفظ نداء» فاذا ما دعى المصريون «الاله الاكبر الذى يعتقدون أنه «فى كل مكان» يدعونه بلفظ آمون «فهو خفى لا يرونه يضرعون اليه أن يتجلى عليهم و يظهر لهم».

أن الإله المتصور فى فكرهم وتحس به نفوسهم لا يعرفون كنهه ولا شكله فان جسدوه فما ذلك الا رمزا لمن لم يروه ولم يعرفوه بل لمجرد شعورهم به وقد اختار موسى أن يعبده بدون صورة وقد أثار هذا التعبير أى آمون اعجاب بلوتارخوس كما يقول «بحكمة المصريين العظيمة المتسمة بالحذر عندما يفكرون فى المقدسات» و يأتى موسى الى العالم بكل هذه الاسرار ودقائق النظريات الفلسفية الحذرة «eulabeia» فى العقيدة المصرية ويمحو كل هذه التجسيدات والرموز و يرجع الى اساس عقيدتهم بان الاله عندهم هو الخفى الذى لا يمكن ادراكه بالحواس الآدمية فلا يرى ولا يسمع ويجل عن كل وصف وتصوير وان بقية الآلهة كلها وسطاء بين العالم النورانى (الحق) وعالمنا الدنيوى فعبد موسى الله فى معبد يهودى بدون صور وسار على اثره المسيحيون فى الكنيسة ثم يأتى الاسلام فيؤيد ذلك ففى المسجد عبادة روحية لا يتصل الانسان بالله عن طريق تجسيد أو تصور رمزى أو وسيط ديميورج بل يتصل العبد روحانيا بالله مباشرة بعقله وروحه فى المنطلق القدسى.

ثم أن سترابون يخبرنا ان المصريين اجمعوا كلهم فيما بينهم على عبادة بعض الحيوانات منها «ثلاثة تمشى على ارجلها هى العجل والكلب والقطة» ([٥٦]) ثم الطيور اثنين هما الصقر ابيس» ومن الحيوانات المائية سمكتين «سمكة الابيدوتون وسمكة الاوكسيرهينكون» التى سميت باسمها مدينة اوكسير هينكوس - البهنسا الحالية بالفيوم).

فاما الثلاثة حيوانات الارضية والطائران التى اجمع المصريون على تقديسها فى كل مصر فقد مثلوا ضمن الثامون الذى يحيط كالهالة برأس ابى الهول على لوحة التوحيد ضمن الحيوانات الاخرى التى كانت مقدسة عند جماعات اخرى متفرقة فى الاقاليم المصرية كالكبش فى سايس وطيبة والذئب (بن آوى المصرى) فى مدينة ليكوبوليس Lycopolis ثم الأسد فى مدينة ليونتوبوليس ثم الكلب أو أنوبيس Anubis فى مدينة كينوبوليس أى مدينة الكلب «Cynopoles» فيمثل هذه الحيوانات التى اجمع على عبادتها المصريون فيما بينهم ثم تلك الحيوانات الخاصة التى قدسها الناس فى الاقاليمُ المتفرقة لدليل على أن هذا التاسوع قصد به شمول صفات ومنافع هذه المجموعة فى واحد مما يدل على وجود هذا الخفى الذى يشملها جميعا فى تفكيرهم دائما فهذا التاسوع بوضعه الاندماجى فى جسم ابى الهول برأس الامبراطور دليل واضح على الوحدانية وشمول هذا الواحد على صفات كل هذه الرموز كما نرى ممثلا فى الثعبان وفى رمز الاله نميسيس «Nemisis» (أى الجريفون الرابض على ظهر الاسد) وهو رمز الانتقام.

تجمعت اذن هذه الرموز فى واحد على لوحة النذور المقدمة الى اله آمونى محلى تمثل مميزات وصفات ترمز كلها الى قدرات هذا الواحد الخفى ولننظر الى ما اورده المؤرخون الذين اتوا الى مصر وعرفوا اسرارها من منابع وثيقة وسألوا وعرفوا ماذا ترمز اليه هذه الحيوانات وما تمثله عند المصريين القدماء وكان ديودوروس واضحا ومنطقيا فى قوله انه بسبب ([٥٧]) «الخدمات التى تقدمها هذه الحيوانات من خير ونفع لحياة الجماعة والبشر».

فماذا اذن في مفردات هذا التنوع من نفع بالنسبة للمصريين؟ يقول ديودوروس (١-٢/٨٧) ان الخراف، تضع حملين كل عام وبصوفها ينتفع الناس بحماية اجسادهم بكساء جميل ثم من لبنها يأكلون طعاما من جبن شهى أما البقرة فنافعها لا تخفى ولكن ديودوروس يذكر عنها أنها «تلد الثيران» كما يقول (لـويـب) اذ انهم كما يقول ديودوروس اساس العمل الزراعى «وعمال الارض» ثم ان الثيران كما قال فيما سلف ذكره هم المنتجون لثمار الارض، وما ادراك ما شأن الثيران بالنسبة لمصر وللمصريين وغيرهم فى البلدان الاخرى كما سيذكر. ثم ان البقرة ايضا كما يقول تحرث الارض اللينة (٥٨) واما الكلاب فنافعة كما يذكر فى الصيد وحماية الانسان ولهذا «نجد المصريين يمثلون الاله المسمى انوبيس برأس كلب» (٥٩) «فيظهرون بذلك انه كان حارسا لاوزيريس وازيس» (٦٠) ثم يفسر البعض بأن ازيس كانت تحرسها الكلاب اثناء بحثها عن اوزيريس من الحيوانات المفترسة وقطاع الطريق (٨٧-٣) وساعدوها بنباحهم لحبهم اياها فكان ذلك سببا فى أن «كانت الكلاب على رأس الموكب فى عيد ازيس» (٦١).

اما القطة فكما يروى عنها ديودوروس فيما عدا خصائصها الكثيرة مما يذكره غيره من المؤرخين يقول أنها تحمى الناس من الثعابين المميتة والزواحف الاخرى كذلك لطائر ايبيس فيما عدا مزايا كثيرة له وردت عند المؤرخين الآخرين ديودوروس (٨٧-٦) أنه كان يقيهم ايضا شر هذه الزواحف وكان الصقر يحميهم من العقارب والحيات ذات القرون والهوام الليلية الضارة بالانسان ثم كان يكرم ايضا بصفته «فألاً فى التنبؤات يستعمله المتنبئون للكشف عن المستقبل» (٦٢).

ثم أن الذئاب قد كرمت لانها لا تختلف كثيرا عن الكلاب فى طبيعتهم فيتزاوجهم من الكلاب ينتجون صغارا ثم كرموا ايضا عندما تخفى وزيريس فى شكل ذئب ليساعد ازيس وحوريس فى حربها ضد ست (ديودوروس فقرة ٨٨-٦) ثم ان البعض يقول ان الاحباش لما ساروا ضد مصر اجتمعت اعداد كبيرة من الذئاب وطاردت الغزاة الى ما وراء الالفانتين ولذا فقد اطلق على هذه المديرية اسم مدينة الذئاب «Lycopolis» ليكوبوليس» (٦٣).

وقد اضاف ديودوروس الى التمساح بالاضافة لما فيه من مزايا كبرى هامة يعتبره

للمؤرخون شديد الشبه بالاله كما ذكرها بلوتارخوس و بليني كما وضحنا فيما سبق أنه قد سأل كيف لحيوان أن يكرم مع أنه من اكلة لحوم البشر فكان رد المصريين أن (الحدود الآمنة لمصر ليست النهر فحسب بل بالدرجة الأولى لأن التماسيح فيه وعلى ذلك فلصوص ليبيا وصحراء العرب لا يجرؤون على أن يعبروا النهر سباحة فالتماسيح كثيرة العدد في الماء) (٦٤) فهي حامية وحارسة للحدود ضد العابثين.

أما عن الثور ابيس أو الفحل المقدس فسنرى من امره عند المصريين عجبا وسنرى له شأنا في عباداتهم وعبادة اليونانيين والرومان له في العالم الروماني ثم مصارعته حتى الآن في صورة ثور اسبانيا (Toro) اما في هذا المقام فيكفي ما أشرنا اليه سابقا مع قول ديودوروس (انظر ملاحظة ٤٦) واشارته في ذلك الى عجلي ابيس ومنيفيس كرمز للعجول جميعا ونفع كليهما للزراعة كان سببا فيما اوصى به اوزيريس الناس من عبادتهما كالآلهة تماما، ثم قول هؤلاء الذين كانوا اول من اكتشف استثمار الارض أنها أتت أكلها على مر العصور والأجيال نتيجة عمل هذه الحيوانات ثم قوله بالنسبة لكل الحيوانات عن خلق المصريين «إن احساس المصريين بالعرفان للمحسنين اليهم عموما يفوق الشعور به عند الشعوب الأخرى اذ أنهم يعتقدون أن رد الجميل لفاعله امر له أهمية قصوى كمصدر للحياة (انظر ملاحظة ٥٠).

هذا هو بعض معنى ما ترمز اليه الحيوانات الممثلة في هذا التاسوع من خير ومنافع وخاصة من حماية تضمنتها كل هذه الرموز و ينفرد بها كلها الاله الواحد آمون بتجمعهم فيه لا لعبادة هذه الحيوانات وانما هي مرايا تعكس نواحي الخير في الاله الخفي ليعبد هو في تلك الرموز وهي لا تعبد لذاتها كما قول بلوتارخوس فيما سبق ذكره.

صفت هذه الحيوانات الثمانية حول رأس الامبراطور الكوزموقراطي خليفة آمون وابنه وممثله على الارض كاسلافه الفراعنة فيما مضى فعلى الشمال نجد اربعة منها في اعلاها الثور وتحته الذئب (بن آوى المصري) واسفله الطائر ايبس ثم الاسد في الآخر. ثم على اليمين نجد الخروف يعلو الاربعة رؤوس الاخرى وتحته القطة ثم تحته الكلب ثم تحتهم الصقر وعلى صدر الاسد أبو الهول نرى رأس التمساح كبيرا كانه رأس آخر.

لجسم الاسد تحت رأس الامبراطور و يعتقد جيرود ان تمثيل رأس التمساح بهذا الكبر ناتج من علو قدر هذا الحيوان وشهرة عبادته فى العصور المتأخرة وهذا رأى له اعتباره فقد انتشرت فعلا عبادة التمساح مرتبطة بعبادة اوزيريس وحورس فى اراضى المستنقعات فى الدلتا كما كانت فى مدينة الفيوم على بحيرة موريس وقد اختلط التمساح فى البانثيون المصرى بشخصيات الآلهة المصرية اليونانية الرومانية حتى مثل على نقود الاقاليم فى العصر الرومانى وخاصة على نقود مديرية « Mchelanopolis » منيلا توبوليس فى الدلتا التى ضربها الامبراطور تراجان فى أول القرن الثانى الميلادى وقد اندمج التمساح فى حورس اى حورس كانوبوس عاصمة الاقليم فكان نصفه الاعلى بشكل حورس برأسه الادمى وسبابته فى فمه وحاملا قرن البركة على كتفه والنصف الأسفل بشكل التمساح. ولكن ليس بسبب هذا القول فحسب كرم التمساح بل ان كنه الامر يتعلق بالدرجة الاولى بمشابهة التمساح للاله فى مميزاته وخصائصه الامر الذى تسترعى الانتباه اهميته من قول بلوتارخوس «ان تقديس التمساح لا يخلو من سبب معقول» (ملاحظة ٣٤) فهو الحيوان الوحيد الذى ليس له لسان و يذكر ذلك ايضا بلينى فى تاريخه الطبيعى (انظر ايضا ملاحظة ٣٥) فيما سبق فالقول الالهى لا يحتاج الى نطق وهو الوحيد ايضا الذى يعيش فى الماء وله غشاء شفاف على جبهته وعينيه فيرى ولا يرى (ملاحظة ٣٤) ولذلك كان التشابه واضحا وقويا فى انه لا يسمع ولا يرى كصفة الاله الاعظم وقد مثل هنا ليكمل التاسوع تمثيلا لصفات الاله الاكبر كقول بلوتارخوس، بصفة اخرى تظهر سبب وضع التمساح فى ضخامة تمثيله اكبر من الرموز الاخرى مما يميزه عن غيره من الحيوانات، صفة تشير الى آمون الخفى الذى لا يراه احد ولا يسمعه ثم ان التمساح ايضا يتفرد بغريزة تنبوءه بالغيب فيذكر بلوتارخوس و يلينى (ملاحظة ٣٤، ٣٥) أن انثى التمساح تضع دائما بيضها خارج الخط الذى يرتفع اليه النيل مسبقا قبل فيضانه فى العام التى تضع فيه البيض وفى ذلك يقول بلوتارخوس (ملاحظة ٣٨) ان هذا ادراك واحساس دقيق بالمستقبل».

لهذا كان التمساح يرمز بشكل واضح فيما يراه المصريون فيه الى صفات الاله الاعظم الهامة، الخفاء والسكوت وعلم الغيب وكان واضحا أن هذه العقيدة عند الناس قد اوحت الى الفنان بتضخيم حجم رأس التمساح اكثر من غيره من الحيوانات

الاخرى فى هذه المجموعة الالهية وكان تناسب حجم رأسه لجسم الاسد حتى لكأنه راسه اشارة الى أنه خفى لايراه احد فقد كان التمساح رمزا اقوى شبها فى صفاته بآمون و يكاد تمثيله لهذا الوضع ينطق بذلك فالتصاقه بجسم الأسد واندماجه التام فى رمز الاله آمون أى الخفى دليل على أن بقية الرموز المحيطة برأس الأمبراطور الكوزموقراطى كانت مفردات من قوى آمون الخفى اوحى بها لممثله على الأرض أى الامبراطور من اراداته الحسنة الطيبة التى تمثلها هذه الرموز خيرا للناس ونفعا ورحمة فكان هو الباطن الخفى الذى لا تظهر له رأس (كما كان كل اندروسفنكس أى ابو الهول فى كل العصور) فى ذلك التمثيل الآمونى الذى شمل فى وحدانيته كل هذه الرموز ولكن برأس الامبراطور خليفته سياسيا وممثله على الارض والذى وهبه الاله الخفى مساندة وتأييدا من عنده روحا قدسية وحماية تؤيد الفرعون فى حقه الالهى للحكم.

بعيدا عن سياسة الحكم كان هذا هو التصور للاله الذى فهمه موسى واستخلصه من تعلمه العلم والحكمة فى مصر فاختار الاله على اساسها دون ان تكون له صورة بل عبادة روحية للرب بروحه ليس لها تصور الا الشمول والوجود الذى وسع السموات والارض.

فأى اله كان فى هذا البانثيون الآمونى قطعا ليس التمساح ولا غيره من الحيوانات الممثلة معه وليس الامبراطور ممثل الاله على الارض وظله فيها فالكل لم يكن الا رمزا للاله الاكبر الذى ليست له صورة و يكمن فى عقل وقلب وروح كل بشر ذى فطنة وفى كل المخلوقات الاخرى انه يرى ولا يرى و يتكلم ولا يسمع انه فى كل مكان لا يدرك بالحواس فانظر كيف ابدع بلوتارخوس فى مقارنته وصف الارادة الالهية التى لا تحتاج كلاما بتلك الصورة الشعرية للشاعر الدرامى يوريبيدس «على درب بلا جلبة يرشد بالعدل اعمال البشر» (٦٥).

أما جناحا الاسد نفسه رمز الشمس العالية والقبة السماوية والفضاء اللانهائى كما كان بهما يمثل أبو الهول فى العهد الفرعونى فيدل عليهما هذا الغطاء الذى ربط على جسمه كما يبدو من الحزام المتقاطع على جنب جسم الاسد اذ انه اثر من جناحين تقليديتين ومضمومتين على ظهر الاسد كما هو واضح على ظهور الاسود (أبو الهول) الممثلة برؤوس الفراعنة المصريين السابقين كرأى الاستاذ جيرود فاحيانا تكون هذه

الاجنحة منتشرة واحيانا تكون مطوية على ظهر الاسد فهما دلالة على الصعود والارتفاع الى المنطلق اللانهائي واما الارض فممثلة بشكل ثعبان فى ذيل الاسد وقد جمع هذا التمثيل الاموني فى صفات الاله الاوحد انه المنتقم الجبار بتمثيله الجريفون أى لبؤة مجنحة برأس كلب الواقفة على ظهر الأسد و يدها الامامية على عجلة وهى رمز الالهة اليونانية نيمسيس Nemisis المنتقمة.

كان هذا التاسوع على هذه اللوحة مثلا يفسر ما قاله المؤرخون المتجولون القدماء الذين اتوا الى مصر وتعرفوا على عاداتها وتقاليدها من أن المصريين يعتقدون ان الوفاء للمحسن عون لهم على الحياة كبير فتقديس الحيوان عندهم انما هو نوع من الاهتمام والعناية والمحافظة والاعزاز للحيوان وكل ذلك اوجه من الوفاء له يزيد من خيره و يدر عليهم نفعه وهو ما يرون فيه وجه خير من اوجه الاله فالوفاء له ضرورة تعود عليهم بالرضى و بالنفع وقد قال بلوتارخوس ان الانسان لم يكن بشعر بقداسة الحيوان الا عند موته ودفنه.

وفى تأملهم للحيوانات وقت تفرغهم فى فراغهم من العمل فى الارض انتظارا للنتاج استفاد المصريون من مراقبتهم ودراستهم غرائز الحيوانات فزيادة عما ذكره ديودوروس من مميزات للطائر ابيس من القضاء على الزواحف والحشرات الارضية يقول بلوتارخوس انهم استخلصوا من هذا الطائر نفعا وقائيا فكان اكثر الكهنة تشددا فى التطهر يأخذ ماء التطهر من الموضع الذى يشرب منه هذا الطائر اذ انه «لا يقرب ماء غير نقى ولا يشرب من موضع ماؤه آسن» (٩٦).

أما هيرودوتوس (الجزء الثانى / ٣٥) فقد حار فى تعليل عادة تقديس الحيوان عند المصريين فلم يجد لذلك تعلة الا أن المصريين «لهم جو خاص بهم كما ان نيلهم يختلف ايضا فى طبيعته عن كل الأنهار الاخرى ولذا فقد اتت عاداتهم وقوانينهم مخالفة تماما لمعظم الشعوب الاخرى» هذا رأى لمن لم يمكنه معرفة كل نظرتهم لعدم تفاهمه باللغة المصرية.

فهذه المجموعة من الحيوانات الممثلة فى هذا البانثيون فى عبادتها المختلفة فرادى بين الجماعات فى البلدان المصرية المختلفة كانت سببا فى مخاصمة الناس بعضهم لبعض

حتى كان نزاعهم فيما بينهم بسببها احيانا يصل الى حد الاقتتال كما يذكر بلوتارخوس وقد وعى مغبة هذا الخلاف هونيا الرابع اليهودى فى العصر البطلمى فحرص على توحيد اليهود بمعابدهم المختلفة فى مصر وان يجمعهم حول معبد واحد بناه هو فى قدسه المصرى فى تل اليهودية بالشرقية على شريعة موسى كمقدس فلسطين كما سيأتى.

أما آمون كما يجمع كل المؤرخين فكان زيوس عند اليونانيين الهم الاكبر ورمز الشمس والعقل المدبر لكل شيء وعند المصريين كفلاحين وجدوا فى الماشية وغيرها من حيوانات صورة لنعمائه عليهم وبعيدا عن الفلسفة والسياسة والنظرة الحكيمة الدقيقة التى لا يفهمها البسطاء صوروه بالاسد اقوى الحيوانات وسيدها جميعا رمز الشمس المهيمنة والاله الاكبر آمون ثم تلعب السياسة دورها فى هذا التصور فتجعل من رأس الملك ابن آمون الخفى وخليفته رأسا للاسد بدلا من رأسه الحيوانية و يصبح هذا التمثيل لامون رمز الشمس برأس خليفته وابنه وممثله على الارض فطبيعة الحكم فى مصر كانت الحكم الثيوقراطى وبهذا التمثيل اصبح الفرعون مهيمنا مع آمون على العالم اجمع اى كوزموقراطيا فكان ابو الهول (أو الاندروسفنكس) باليونانية تمثيلا دينيا سياسيا ابتداء من الاسرة الرابعة وكأنما وضع آمون كل قدراته الالهية بين يدى خليفته وممثله على الارض فرعون مصر لنفع الناس وخيرهم، وخدمتهم وحمايتهم وسيادة القانون بينهم وظل هذا التقليد ساريا من العهد الفرعونى المتقدم حتى العصور المتأخرة التى كان فيها الملوك والاباطرة الاجانب فى مصر يعتبرون خلفاء للفراعنة وممثلوا على لوحات النذور التى تقدم للآلهة الآمونيين التى تتضمن اعترافا مفصلا بتجميع قدرات آمون المتعددة الهم الاكبر فى صورة أسد برأس الحاكم الرومانى كما كان فى العهد الفرعونى القديم و بصفاته الرمزية الممثلة فى هذه الحيوانات حول رأس الامبراطور ورأس آمون الخفى بشكل التمساح والتى من بينها الحيوانات التى ترمز للعناصر الاربعة الارض والهواء والنار والماء وهى العناصر التى يسيطر ويهيمن عليها آمون برأس الامبراطور و بروح أبيه (زيوس آمون) يسيطر ويهيمن على العالم كله كحاكم كوزمقراطى فيعم الخير العالم كله والبشر اجمعين فقدرات الاله تتوج رأس الامبراطور سيد التاسوع على هذه اللوحة ويجمع الآلهة كلها المندمجة فى الاله الاكبر بهالة حول رأسه تذكره بوصايا آمون الذى هو خليفته على الارض عدلا ورعاية وردعا وجبروتا

وشجاعة وشدة وخيرا وحبا وتسامحا وفضيلة وغضبا وانتقاما لمن ظلم ممن ظلم ليحفظ للناس حياة مستقرة رغدة كسيطرة ابيه آمون على العناصر الاربعة فتوازن الكون وساده الانسجام فهو المسيطر على الناس و بيده الخير والنفع اللذين يرمز اليهما تلك الحيوانات المندمجة رموزا فى الاله الاكبر ابيه آمون و يدل ذلك ايضا على ان تقديس الحيوان انما كان لما يتمثله فيه الناس من آيات المهم الاكبر المبينات لنعمائه عليهم اما المغزى السياسي لهذه اللوحات النذرية بروسكينا proscynema باليونانية كان له اثر ظاهر فقد حقق تشبيه الامبراطورا بفراعنة مصر الذين سبقوه الهدف من أن يكون حاكما والها أى امبراطورا ثيوقراطيا على شعبه من غير المصريين الذين يعتبرونه الها وملكا لهم وهذا ما كان يسعى له الاباطرة فى وطنهم خارج مصر ولذا نرى على هذه اللوحة عابدا راكعا امام أبو الهول الامبراطورى رافعا يديه نحوه ومظهر هذا الرجل بذقنه الطويلة يدل على انه اجنبي غير مصرى فيكون اذا الهدف السياسى قد تحقق فى جعل الامبراطور حاكما كوزموكراطوريا متصفا بكل هذه الصفات الخيرة كما سنرى من فلسفة الامبراطور جوليان المرتد.

فهذا التاسوع المندمج فى هذا الاندروسفنكس الامبراطورى والملتصق بجسم الاسد ممثل آمون الخفى او وسيطه الديميورج الشمس المهيمنة الكوزموقراطية والذى يمثل البانثيون المصرى يرمز آلهته المحليين لا يمكن تفسيره الا بشمول آمون كل القدرات التى لآلهة البانثيون المصرى المحلية وقد احسن الاستاذ بروجش التعبير عن ذلك فى التقاليد الكوزموجينية اى الكونية فى كلامه عن النصوص التى وصفت الالهة حتحور الكونية وتفسيره لركوبها عربة التاسوع القدسى الكبيرة مع تفنوت ونوت واز يس ونفتيس بجميع اشكالها واسمائها المحلية بقوله فى تعليقه «بعبارة اخرى قد جمعت كل هذه الآلهة فى ذاتها وتضمنت كل خصائصها»(٦٧)

ثم ان هذه اللوحة النذرية (بروسكينا) باليونانية كانت شفائية سحرية أيضا يلتمس الناس بها الشفاء من آمون من الاهم وما يلحق بهم من ضرر من قرصة العقرب ولدغة الثعبان فانظر كيف يطأ الاسد بأرجله ثعبانا هائلا فيسحقه ثم حول رجليه اليمنى الخلفية والامامية عقربان لا يكاد ان يريان فآمون هو الحامى الشافى من اذى كل الهوام والشرور كما كانت لوحات حورس الشفائية يلجأ اليها الناس اذا ما قرصهم عقرب أو عضهم ثعبان أو اصيبوا بضربة قرن من غزال سببت لهم جرحا أو

ارتاعوا من مفاجأة كل هذه الحيوانات المخيفة او صادفهم تمساح فى النيل او أسد فى الادغال على غرة فكانت هذه اللوحةالحورسية وهى اصل «طاسة الخضة» عندنا الآن تصور بالحفر البارز على حجر من الشيست الاله حورس الطفل واقفا على تمساحين يمثلان الشر وممسكا فى كلتا يديه ثعبانين وعقربين واسدا وغزالا ، والغزال من الحيوانات الصحراوية التى تنتمى الى اله الشر ست ، ثم فوق رأس حورس الطفل صورة الاله بس Bes الذى بمظهره البشع يبعد كل الهوام والحيوانات المؤذية خوفا منه . هذه اللوحات الشفائية صغيرة تقوم على قاعدة خاصة تغطيها كلها نصوص تعاويذ هيروغليفية سحرية مع تمثيل لبعض الآلهة الذين عانوا من قرص هذه الهوام وخاصة حورس نفسه ثم يوجد تحت هذه اللوحة على القاعدة حوض صغير كلوحة حورس الذى كان يلقب بطبيب عائلتها امون الموضوعة بين ساقى الكاهن جدحر الجالس القرفصاء وتاريخ هذا الاثر فى عهد الاسكندر الاكبر وهذه اللوحة الشفائية التى وضعت بين ساقى جدحر لحورس الطبيب نجد امامها فى الاسفل على القاعدة الكبرى التى تحمل الكاهن واللوحة حوض صغير وقد غطيت جميعها تمثال الكاهن كله وقاعدته بالتعاويذ الهيروغليفية السحرية الشافية من السم خاصة وقد نقشت معها اشكال الآلهة الذين مروا بمحنة مهاجمة هذه الحيوانات الضارية وعلى رأسهم اكبر من عانى من قرص العقرب وهو الاله الطفل حورس نفسه ابن ازيس واوزيريس وامام حورس الواقف على تمساحين وعلى القاعدة نفسها يوجد الحوض الصغير الذى ينساب اليه الماء الذى يرش به التمثال المكتوب بالتعاويذ والقاعدة كلها ومعها اللوحة بما عليها من تمثيل للاله بس Bes وتحته حورس وفى يديه الحيوانات المؤذية فيحمل هذا الماء القوة السحرية من التعاويذ الهيروغليفية والاشكال كلها المنقوشة معها و يكون لهذا الماء قوة شفائية سحرية فعالة فيشرب منه كل من مسه ضر من هذه الحيوانات او راعه مظهرها او يغسل الجرح بمائه تماما كما نفعل نحن الآن بطاسة الخضة(انظر ملاحظة ١٢) . وعثر عليها فى اتريبس

هذا ما يقصد اليه بالوقوف امام هذه اللوحة والنظر اليها والدعاء والاستنجاد بالاله الامونى الذى وهبت له والذى ينتفع المتضرعون اليه بها ففيها شفاء للناس وقد وهب فيها آمون خليفته اسرار عظمته فيرى الانسان و يقرأ فى صورها من غير ذاته.

الحكمة والنعمة والشفاء والقوة والحماية والانتقام من الظالم بالقوة الخارقة السحرية ولكل هذا فقد نذرت هذه اللوحة السحرية كغيرها من النذور لفائدة الجميع، جمعية دينية من بلدة كوبتوس (قفط الآن) الى الإله الاكبر تيثو يوس «Tithoeus» الآمونى فى الثالث عشر من شهر توت فى السنة الثامنة عشرة من حكم الامبراطور (؟) ولم يذكر اسم الامبراطور هكذا قرأ الاستاذ بيردريزيه Perdrizet النص اليونانى المكتوب على حافة اللوحة السفلى ثم ذكر هذا النص الاستاذ جيرود ايضا مع بعض الملاحظات تكريما وتقديسا وحمدا لنعماء هذا الاله الكبير من اعضاء هذه الجمعية من المؤمنين به.

أفرأيت اذن كيف جمعوا فى صورة واحدة لها قوة شفائية سحرية يستفيدون بها ضد الامراض والشرور ويحتمون بها من شر المخلوقات الخبيثة التى لا ملاذ لهم منها الا حمى الاله الاكبر آمون مثلوه بالشمس الوسيط السرمدى التى لا تغيب نهارا ولا ليلا ممثلة فى القمر أو شمس الليل وملء السماوات والارض مستعينين بكل قدراته أن يحميهم ويحفظهم من شر ما خلق.

تبرز أذن لوحة التوحيد بتضمنها كل الرموز التى تشير الى صفات الاله الاكبر ممثلة فى الديميورج الوسيط الشمس فكرة قديمة كانت نتيجة لمجهودات طويلة وتفسيرات لنظرية الوحدانية Monotheisme التى كما يقول الاستاذ الكبير دريوتون انه كان لاخناتون الشجاعة الكافية أن يعلنها فأنكرتها التقاليد المصرية القديمة القوية واعتبرتها ثورة وكفرا ودنسا وكقول الاستاذ دريوتون فان هذه التقاليد المصرية قد عارضت حتى فكرة أن تتراجع الوحدانية الى فكرة اله واحد اكبر توحد معه جميع الآلهة أى فكرة Henotheisme (الهينوثيزم) بل حتى عارضت فكرة اعتبار الآلهة الاخرين فى حالة تبعية لهذا الاله الاكبر ذلك لان هذه التقاليد المصرية القديمة كانت تعتبران كل اله فى مركز عبادة بمصر يعتبر منذ التدم الها اكبر له مقومات الاله الاصيل حسب فلسفة ذلك العصر وعلى هذا الاساس فعند الاستاذ دريوتون تكون معارضة هذه التقاليد المصرية لفكرة الوحدانية قد جعلتها فكرة غامضة غير واضحة حتى ولو أن كل هذه المحاولات الدينية لم يكن لها نتيجة الا أنها زادت فى ابراز تفسير الوحدانية لصالح جميع الآلهة القائمة فى مراكز العبادات المصرية وذلك يربطها جميعها بالمعطيات الخرافية المحلية.

أى أن ذلك كان يوحى بتشابه ومساوات كل اله مع الآخر وقد أدى ذلك بسرعة الى وجود نوع من تصور فكرة الشمولية الالهية أى الباتنوثيزم Pantotheisme التى جعلت كل الآلهة قابلين أن يكونوا متشابهين بدرجات متفاوته.

أصاب الاستاذ دريوتون فعلا لان النصوص فى العصور المتأخرة كما يذكر أتو « Otto » (٦٧) تثبت بوضوح وجود فكرة الديميورجية كما سترى فيما بعد عند الفلاسفة الافالطة والبيتاجوريين المحدثين فى تصورهم لمثرا الاله الفارسى وهو أبرز مثل للديميورج أى الاله الثانى الوسيط وهو مبعوث العناية الالهية لصيانة العالم وبعث الخلق من جديد ومقاومة الشر.

تذكر هذه النصوص وجود آلهة ازلية خالقة معروفة على وجه التحديد وآلهة اخرى نشأت فى الدنيا وكان ظهورها متأخرا عنهم وقد كانت هذه الثنائية معترفا بها فى الفكر الدينى المصرى وعاشت فيه كما تثبت النصوص وكما أشار الى ذلك بلوتارخوس بالنسبة لسكان طيبة (٦٩) ولكن منعتها من الظهور فى العصر المصرى القديم تلك التقاليد القوية التى يشير اليها دريوتون وكل ذلك يدل قطعا على وجود فكرة الديميورجية او فكرة الاله الاول الازلى والاله الثانى الديميورج الوسيط عند الافالطة والبيتاجوريين المحدثين كما سترى فالديميورج كمثرا الفارسى، كان له دور الرسل فى الكتب السماوية بين الخالق الاول وخلقه على الارض فانظر قول أتو Otto فى دراسته وجود الآذان والعيون فى نصوص تلك العصور المتأخرة من انها ذكرت، كما هو واضح للتعبير عن وجود وحضور اله يرى كل شىء و يسمع كل شىء حتى نداء المطحونين، فهذا اذن هو الخفى الذى عبر عنه بلوتارخوس انه فى نظر الكهنة المصريين الخفى الذى يرى ولا يرى و يسمع ولايسمع وملء السماوات والارض أما الآلهة الاخرون فدميورجيون ثانويون وسطاء مصلحون اى آلهة مبعوثون لصيانة العالم وهم وسائل لمقاومة الشرور وذلك تأييد الفكرة ان الآلهة فى نظر المصريين قديما لم يكونوا الا ملوكا مصلحين فلما ماتوا صارت ارواحهم نجوما فى السماء تسير فى فلك الشمس الاله الديميورج الاكبر فكانت الصفات الالهية فى نصوص العصور المتأخرة كما يقول أوتو ومعه الاستاذ فرنسوا دوماس يطلق على الآلهة جميعا دون تفرقة بين الاله الازلى والآلهة الناشئة اى الآلهة الثانويين او الديميورجيين فكل من الاله الاول والاله

الثاني يتصف بنفس الصفات فى تلك النصوص : الواحد ، القوى ، العليم ، الذى لا يدركه احد كما يدرك الموجودات الدنيوية ، الراعي والرؤوف .

فهذه الأوصاف المشتركة بين الآلهة جميعا الازلى والناشىء الثانوى أو الديميورج الذى هو من روح الاله الأكبر الأول دليل على وحدانية الآلهة جميعا فى واحد أزلى وهذه هى الهينوثيزم Henotheisme التى يصورها دريوتون كعبادة للواحد تتجمع بها الآلهة بهذه الصفات المشتركة فكما نزلت الحقيقة من السماء وآخت الآلهة جميعا كما يقول دوماس قامت فكرة وجود الديميورج الخالق الثانى فى الفكر المصرى رغم منع التقاليد المصرية القوية لها من الظهور كما يقول دريوتون أى الوسيط بين الاله الاول فى العالم النورانى والعالم الدنيوى وتجعل ما كان فى أذهان المصريين من وجود اله خفى ينادونه ليتجلى عليهم وهو ملىء السماوات والارض فكرة عقائدية تقوم على اساس يكون فيه دور الآلهة الديميورجيين الآخرين دور الوسيط والعقل المدبر المهيمن للاله الخفى .

طغى ذلك الغموض الذى خلقته مقاومة التقاليد المصرية القديمة على فكرة الوحدانية رغم وجودها فى اذهان الناس وعقول المؤمنين بها من الكهنة كما قال بذلك بنوتارخوس من جود اله خفى يرى ولا يرى وتنفذ كلماته دون أن تسمع أو دون كلام وهو ملىء السموات والارض كما اسلفنا القول ورغم تمثيله من اقدم العصور كأندروسفنكس أى بصورة ابى الهول الذى اندمج فى رمزه الشمسى الفرعون تماما كما ترى ذلك ايضا فى تمثيل ابى الهول على لوحة الوحدانية نجد أن كل الآلهة تندمج فى وحدانية هذا الاله الخفى كل يمثل جانبا من قدراته وجانبا من ارادته ثم يحسم موسى عليه السلام هذا الغموض بان يختار الها خفيا لا يدرك بالحس البشرى ولا يعلم احد له شكلا أو صورة وعبده بالمعبد بدون صورة فهو المطلق الذى يشمل الكون كله حتى لدى الاستاذ دريوتون أنه اذا وجد بالديانة المصرية اله وآلهة أعداء وخصوم يعتبرون الهة ثائرين على الاله الاكبر وليس ذلك الا انعكاسا للظروف السياسية اكثر منه أصلا للشر ووجود الاله للشر وحتى اذا اتخذ للشر اله اعتبر هذا ببساطة الها عدوا ولا يدل ذلك على أن الديانة المصرية كانت ديانة ثنائية كبقية الديانات القديمة بل كانت ديانة متفائلة كما يقول دريوتون .

أصاب الاستاذ دريوتون القول بان فكرة الوحدانية ارتبطت بفكرة (الامبراطورية) وان دخل اخناتون هذه الدائرة فالواقع ان تفكيره فى الوحدانية كان يرتبط بوحدانية معبود وخالق اى ديميورج عالمى هو الشمس.

فاذا كان ما ذهب اليه كيمونت Cumont من ان اللوحات المسمارية Cuneiform وهى الرسائل التى وجدت بتل العمارنة تثبت الصلة بين مصر والكلدانيين فى هذا العهد وهم أكثر الناس تخصصا وتقدما فى علم الفلك وكانوا يعتبرون الشمس اهم الكواكب واعظمها فيكون اخناتون بذلك طبق فكرة عالمية عبادة الشمس المصرية القديمة أى الكوزموقراطية وكان قبله فى ذلك عهد قيام الامبراطورية تحت حكم تحتمس الثالث على النمط المصرى اى كان الملك ابنا لآمون وخليفة فراعنة مصر فهو رمز الوحدانية المصرية والوحدة السياسية ايضا وقد ذكرنا ان الاسكندر الأكبر قد بشر بهذه الفكرة السياسية العالمية فى العالم الغربى ايضا خارج مصر ففى الشرق كان الجو الفكرى مهيأ لهذه الآراء بأكثر مما هيأته الفلسفة المصرية الشرقية وبتأثيرها على تيار الفكر اليونانى التى هبت عليه بفلسفتها من الشرق وخاصة من مصر.

ثم يحذو الرومان فيما بعد حذو الاسكندر الاكبر فى تبشيرهم بين شعوبهم بالكوزموقراطية او الحكم العالمى فاتخذوا الديانة المصرية ايضا وسيلة لذلك خاصة فى عصر الامبراطور الرومانى كاراكلا الذى كان هو نفسه يسعى لتحقيق الوحدة السياسية بحكمه الثيوقراطى عن طريق الديانة المصرية ممثلة فى الامبراطور المهيمن اى الكوزموكراطى كما مثل هو نفسه على النقود المصرية الرومانية التى كانت تسمى نقود الاسكندرية (انظر الخشاب J.E.A. (1961)) وظل ذلك المأرب فى توحيد الامبراطورية بهذه السياسة ممثلة فى الامبراطور المهيمن حتى قامت المسيحية فانفصل الدين عن السياسة ولم يعد الامبراطور حاكما إلهيا واصبحت الوحدة فى العالم دينية فقط وقامت القوميات السياسية المستقلة وظلت الكنيسة رمزا للوحدة الدينية فقط دون السياسية.

فالربط قديما بين الامبراطورية والوحدانية يظهر فى مصر بشكل أبى الهول أى جسم الاسد برأس آدمى او ما يطلق عليه باليونانية اندروسفينكس وهو الذى كان

يمثل فى مصر فكرة الامبراطورية فقد كان الفرعون سيد العالم كله وابنا لآمون أى الشمس أى عقل الكون المدبر والأسد رمزة وجميع الآلهة المحلية كما هوظاهر على الآثار المصرية من مناظر تبنى الآلهة المحلية كما تبنى خنوم ونخبت الفرعون أوسركاف (الاسرة الخامسة) وقد كان هذا ما فعله الاسكندر الاكبر بالضبط فيما بعد بين الشعوب المختلفة التى ادخلها فى حكمة فاصبح ابنا لآلهتهم فكان أبو الهول يجمع بين رمز الشمس المهيمنة على العالم كله أى الاسد برأس الفرعون يمثل الاله الاكبر على الارض والمهيمن على السماء ثم يتوارث هذا الرمز فى مصر خلفاء الفراعنة من الحكام الاجانب بعد الاسكندر الاكبر حتى اخرجت لوحة الوحدانية التى لم تدع مجالا للشك فى أن جميع الآلهة الممثلة حول رأس الامبراطور أى رأس أبو الهول وكذلك التمساح الذى يلتصق بجسمه فكانت هذه اللوحة دليل على اندماج هذه الآلهة كاجزاء أو مفردات لصفات الاله الاكبر تمثل قدراته المختلفة و بعيدً عن هذه اللوحة تجد هذه الرموز منفصلة كل فى مركز عبادة خاص به من اقاليم مصر بأكملها كما يذكر ذلك المؤرخون هيرودوتوس و بلوتارخوس وسترابون وديودوروس و بلينيوس وغيرهم من الكتاب اليونانيين والرومانيين وكما ذكرها أيضا الاستاذ دريوتون وأضاف عليهم فى كتابه (ص ٢٢) الاسد معبود فى اقليم كسيوس «Xois» (ومدينة سخا الآن) فى الدلتا واوزة آمون فى طيبة (لاقصر) ثم يتناول ذلك الاستاذ الكبير كو ينتز «Quentz» بخصوص اوزة آمون.

وهذه اللوحة تؤكد ايضا أن تمثيل ابو الهول كان يتضمن ايضا جميع القدرات التى تتمثل فى الفرعون الحاكم وقد أتت اليه من جميع آلهة مصر المحلية المتفرقة فى الاقاليم المصرية فهى وصايا الاله الاكبر التى اوحى بها الى ابنه وخليفته لا تباعها والاهتداء بها وقد تجمعت كلهاً فى الفرعون. ثم يتطور شكل ابى الهول فى الدولة الوسطى حتى اصبح يمثل الاندماج الكامل برمز الشمس أى الاسد الذى نجده كامل التجسيد ولكن فقط بوجه الفرعون دون رأسه الآدمية وكأنه قناع للأسد بصورة الملك تماما كما حدث فى العصور المتأخرة حيث صار رأس ووجه الامبراطور رأسا ووجها للاسد ثم كانت حلة الامبراطور بدلا من لبدة الاسد كما هوظاهر فى هذهْ اللوحة.

وقد كان الاستاذ دريوتون على حق فى قوله بأن تصاعد أو تكامل فكرة الوحدانية

لم يبرز الا فى عهد دولة الفراعنة المتأخرين عندما صاحبت الفكرة فكرة الامبراطورية العالمية اى من عهد تحتمس الثالث ثم يتسلمها الاسكندر الاكبر ومن بعده ملوك البطالمة ثم اباطرة الرومان ،بعد محاولة كليوباترا الكبرى السيطرة على روما والعالم الهيلانى الذى اسسه الاسكندر الاكبر.

حلت فكرة الامبريالية العالمية عند الناس محل الدولة القومية المحدودة مع فكرة الالـه الواحد اى الوحدانية متمركزة فى شخص الامبراطور وهذا قول حق فالعكس حدث تماما عند قيام المسيحية قامت الوحدات القومية السياسية وظلت الوحدة الدينية فقط ممثلة فى الكنيسة. فاذا ما تركنا الرمزية فى تصور الإله كما رأينا عند العامة ما قام عليه هذه التصور من النفع وما يعود عليه من خير يأتيهم من رموزه وجدنا أن للعقلاء والمثقفين والفلاسفة من الكهنة تصورا آخر غير الرمزية يفهمونه كمفكرين فى تأملاتهم كما فعل موسى ولم ينس بلوتارخوس ان يذكره فكلمة آمون تعنى الخفاء فهو عندهم اله لا يرى وانما يدرك بالعقل روحيا يشعرون به ملىء السماوات والارض اى أنه فى كل مكان أما هذه الحيوانات الرمزية المقدسة فكما يقول بلوتارخوس يجب الا تعبد بل يعبد الاله من خلالها فهى ليست الا مرايا واضحة اعدتها الطبيعة لذلك ويجب اعتبارها ادوات وفن الاله الذى يدبر كل شىء. فلا تقديس لها فى حياتها بل تكرم بمساهمة الجميع فى دفنها فى ضريبة يدفعونها للمراسم الجنائزية(٦٨) ولكن ينبهنا بلوتارخوس لامر له مغزاة فيما يخص عبادة الحيوان فيقول «الا فى اقليم واحد فسكان اقليم (طيبة) لا يساهمون فى هذه المراسم بشىء اذ انهم لا يعتقدون فى اى اله يزول (٦٩) وهذه اشارة الى وجود اله ازلى وآخر يزول اى ديميورج بل كانوا يؤمنون فقط باله واحد يسمونه كنيف اذ انه لا بداية له (لم يولد) ولا نهاية (خالد) (٧٠) فهذه اذن صورة اخرى لآمون الخفى.

أما الحيوانات فلم تكن الا رموزا فيها ما يستدلون به على جانب من قدرة الاله الاكبر أى أن الناس تقدس فيها الاله فقديما كما يذكر بلوتارخوس كان المصريون يسمون الآلهة باسماء نعمها عليهم من محاصيل (٧١) فلم يكن هؤلاء القدماء يتورعون من تسمية الآلهة باسماء ما يخلقون وقد كانوا يقدسون هذه النعم مما يرزقهم الآلهة لما لها من نفع لهم وهكذا يشهد بلوتارخوس بما فى عادات القدماء فى مصر فيطلقون على هذه

الاعمال من محاصيل وارزاق اسم الاله.

ثم يفسر بلوتارخوس ذلك في براعة فيضرب لنا مثل رجل اشترى كتب افلاطون فنقول عنه انه اشترى افلاطونا وكما نتحدث عمن يمثل كوميديات ميناندر انه يمثل ميناندر (٧٢).

وكما كانوا يفعلون من بكائهم نعم الآلهة من محاصيل عند اختفائها لانتهاء موسمها وكانوا في ذلك يبكون الآلهة ورأيي ان هذا ما لم يفطن اليه الاجانب بل كان ذلك على ما اعتقد سليقة فأثناء بكائهم الآلهة يدعونها ان تنبت لهم هذه المحاصيل مرة اخرى وتنضجها لهم (٧٣).

فاذا كانوا يبكون هذه الالهة وفي الوقت نفسه يبتهلون اليها ان تنبت لهم هذه المحصولات والفاكهة مرة اخرى فانما يدل ذلك بالذات على انهم على سليقتهم كانوا يتوجهون تلقائيا الى آمون الخفي دون ان ينتبهوا الى ذلك و يسألونه ان ينبت هذه النعم لهم مرة اخرى بعد زوالها فما ظنه اليونانيون من الفلاسفة، والكتاب شيئا غريبا يدعو للضحك (أنظر بلوتارخوس فقرة ٧٠) كما قال كسونوفون من بلدة كولوفون فلانهم لم يكونوا يعلمون ان في اعماق نفوس المصريين ايمانا بوجود اله خفي دونه هذه الالهة الزائلة الوسيطة يدعونه و يتوجهون اليه بانبات مازال منها رغم انهم يسمون الاشياء بغير اسمائها اى انهم يرمزون الى آمون الاله الواحد الخفي ببعض خيره ونعمه وهو عندهم يجل عن الوصف.

فهم فعلا كما يقول كسونوفون اذا كانوا يبكون هذه الاشياء لزوالها فهي ليست آلهة وهذا منطقي ولكن هذا الغموض والتناقض يفسره اعتقادهم بالاله الخفي الذى لا يرونه كحزنهم على عجل ابيس أو أي حيوان مقدس اذا نفق.

«واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة ـ قالوا اتتخذنا هزؤا قال اعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ـ قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هي ـ قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون ـ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ـ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا أن شاء الله لمهتدون ـ قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق» فذبحوها وما كادوا يفعلون» (البقرة ٦٧ـ٧٠)

صدق الله العظيم.

أمر الله سبحانه وتعالى موسى ان يذبح قومه بقرة فانزعج القوم وما كادوا يصدقون ما يسمعون وظنوا انه يسخر منهم فقال انه ليس بساخر فان ما يقوله ليس بالهزل ثم يأمرهم أن يفعلوا ما يؤمرون فقد ادرك منهم تلكؤا متعمدا، ذعر القوم وخاصة اليهود الذين يعرفون الخطوة وراء ذبح البقر في مصر وحساسية هذا الامر البالغ الخطورة عند المصريين، لما انطوت عليه قلوبهم من وثنية دارت رؤوسهم بأفكار ما قبل اليهودية وتقاليد الاضاحي من الابقار والوانها التي تسمح بذبحها وخطورة ذلك وحساسيته عند الكهنة في تشريعاتهم وعقوبة الاعدام للخارجين عليها وعدم مراعاة احكامها بدقة في مصر من قبل ان يبعث الله موسى فتساءل اليهود عن هذه البقرة متشددين في سؤالهم لما انطوت عليه افكارهم من وثنية حتى دلهم الله رحمة بهم على اوصاف ما يمكن ذبحه من الابقار عند المصريين الذين كانوا على ملتهم من قبل فقالوا لموسى «الآن جئت بالحق فذبحوها» وقد أطمأنوا وزال عنهم الخوف وخاصة بالنسبة للونها كما خبرهم موسى الذي يعلم قبل غيره مقدار ما ينطوي عليه هذا الامر من حساسية عند المصريين خطيرة العواقب حتى ان موسى قد طلب من فرعون السماح له ان يبعد هو وقومه عن الوادي مسيرة ثلاثة ايام تفاديا لاى تعارض قد يورده هو وقومه مورد هلاك أكيد اذا ما ضحى بذبيحة تخالف تقاليد المصريين في الاضاحي وقد ذكرنا فيما سبق

مثلا لما ترتب على مخالفة وعدم انتباه فرقة من اليهود فى جيش قمبيز الى هذا التقليد عندما وصل الجيش الى اسوان واحتفل اليهود من الجنود بعيد الفصح فذبحوا الاغنام فى اسوان فكانت مذبحة لهم ولليهود المقيمين فى اسوان وهدمت معابدهم هناك ومذابحهم. فاذا بأمر الله سبحانه وتعالى الذى وسع علمه كل شىء لموسى ان يذبح بقرة صفراء لا شية فيها. صدق الله العظيم فهذه البقرة الصفراء التى لاشية فيها كما يخبرنا المؤرخون اليونانيون هيرودوتوس و بلوتارخوس و ديودوروس هى البقرة التى يباح ذبحها عند قدماء المصريين فى اضاحيهم فلا خوف ولا حذر من تضحيتها عند اليهود فالمصريون يعتقدون بان ست اله الشر المصرى لونه احمر (اصهب) ولذا فقد خصصوا للاضاحى من بين مواشيهم تلك التى يكون لونها اشقر تماما (٧٤) اذ انهم كانوا يعتقدون ان اوزيريس كان اسمر (٧٥) فكان اللون الاسود عندهم مقدسا ثم ان حورس كان ابيضا فكان اللون الابيض مقدسا ايضا اما ست اله الشر فلون جلده احمر او اشقر مما جعل للالوان عند المصريين اهمية خاصة فلون الآلهة ـ وكأنهم من البشر ـ الاسود والأبيض لآلهة الخير واما الاحمر او الاشقر فلون اله الشر ولذا فقد كانوا حريصين على فحص هذه الاضاحى من الابقار قبل ذبحها فحصا دقيقا حتى ان الحيوان الذى يجدون فيه ولو شعرة واحدة بيضاء او سوداء يكون فى رأيهم ان من الخطأ ذبحه و يرون انه حرام ان يضحى به فمن المناسب الا يضحى الناس بما يحبه الاله فالانسب ان يضحوا بما لا يحب الاله. (٧٦)

ثم ان هذا يؤكد ايضا قول ديودوروس بان من البقر الاصفر (الاشقر) ما يمكن ذبحه فقد كان المعروف ان هذا اللون الاشقر هو لون اله الشر الذى تآمر على اوزيريس ولذلك عاقبته ازيس لقتله زوجها (٧٧).

ومن هؤلاء المؤرخين عرفنا مقدار دقة هذا الفحص واهميته تماما وخاصة من هيرودوتوس الذى اهتم بكل التفاصيل لهذه الرقابة وذلك الفحص الدقيق. فيقول عن العجل «فكما يعتبر الكهنة ان كل العجول تنتمى الى العجل المسمى باليونانية Epaphos : ابافوس وهو الاسم اليونانى لعجل ابيس او حابى Hapi : أبيس (٧٨) العجل الاله فى منف كما يقول «Leob» فى الملاحظة (١) من نفس فقرة هيرودوتوس وهذه العجول فى فحصها قبل ذبحها يبحث فيها عن وجود شعرة

واحـدة سـوداء أو بـيـضـاء فـيـعـتـبـر الـعـجـل غير نـقـي ولـذا عين واحد مـن الـكـهـنـة لهذا العمل بفحص الحيوان ثـم يخرج لسانه ليتحقق اذا كـان خـالـيـا مـن الـعـلامـات الـتـي ذكـرهـا المـؤرخ فى موضع آخر مـن كـلامـه (٧٩) فـاذا خلا العجل من كل هـذه العلامات وضع عليه

الكاهن علامة بان يلف على قرنه قطعة من البردى يلطخها بخاتم من الطين يختمه هو باصبعه ثم يقود العجل الى الخارج ولكن العقوبة هى الاعدام لمن يضحى بعجل لم يعلمه الكاهن هذه هي شروط ذبح أبقار الضحية عند هيرودوتوس وأما من جهة عجل أبيس وعلاماته التى تؤهلاه ان يكون العجل المقدس (روح أوز يريس الحية وروح بتاح ايضا الذى هو اله تحت الارض أي اله الانتاج الارضى) فهو يتميز بميزات سنذكرها فيا بعد وقد اوردها ديودوروس فأولى علاماته أنه اسود وعلى جبهته مثلث أبيض وعلى ظهره رسم ما يشبه النسر (الصقر) وشعر ذيله مزدوج وتحت لسانه عقدة تشبه الجعران ثم احيانا يكون على جانبه رسم يشبه الهلال كما سترى فيا بعد.

فانظر اذن دقة وشدة مراعاة عدم وجود هده العلامات والحرص على أن نفحص الماشية فحصا دقيقا على يد كاهن مختص حتى يكون العجل خاليا من أية شائبة تمنع ذبحه وكان ذلك واجبا محتما حتى أن الموت كان جزاء لمن يقدم على ذبح عجل دون فحصه وختمه والسماح بذبحه هكذا كانت تراعى تلك الشروط الدينية لذبح الابقار ذكورا واناثا كما يرويها بالتفصيل هيرودوتوس و يوافق على ذلك مؤرخ الديانة المصرية بلوتارخوس فيما بعد ولو أنه لا يذكر علامات عجل ابيس فهى علامات لا تخص الاضاحى بل هى علامات لاختيار عجل ابيس نفسه فى مقره بمعبد بتاح فى منف وهى لا تكون فى الابقار العادية التى يكون ذبحها محرما اذا وجدت فى شعرها شية أي اية شعرة بيضاء أو سوداء ويجدر بنا هنا أن نشير الى أن فنانا كبيرا هو الاستاذ محمد ناجى عند تصويره لذبحة الضحية فى احدى لوحاته صور البقرة الضحية بلون احمر (صفراء) تماما لا شية فيها فكان على علم يشهد له بأنه قرأ وعلم فأصاب فى تعبيره بدقة دراسته التى هى دائما خلفية لمنجزاته الفنية الرائعة وكانت تلك احدى لوحاته التحضيرية فى تشكيله للوحة اله الطب عند قدماء المصريين (عبادة أمحوتب).

فهذه البدائية اذن التى جمعت هذه الاوصاف فى عجل ابيس قد جعلتها اوصافا نادرة الوجود لتدخل الخرافات الدينية وقد جمعتها كلها فى عجل صغير واحد وقد

يحدث ذلك بيننا الآن اذا ما رأينا حصانا أو حيوانا ما بالوان شعره الجميلة واتساق زخرفتها فتعجب به وتحبه بعيدا عن أى شعور دينى ونُدَلِّله ولكن دون أن نفكر فى ايجاد خليفة له بهذه الاوصاف فهذه ظاهرة نادرة لا نصادفها كل حين كذلك نجد المصريين يمضون وقتا طويلا فى البحث عن عجل بهذه الاوصاف وتحمل كل هذه العلامات بين قطعان الماشية الهائلة العدد فى البرارى شمال الدلتا التى تربى الابقار فى مراعيها الطبيعية كما كان يحدث قديما فى كسُويس (Xois) سخا الحالية مديرية كفر الشيخ حديثا فان وجدوه بهذه العلامات انفرجت ازمتهم الدينية التى تحتم عليهم الحزن والحداد على العجل الذى نفق حتى يجدوا بديلا له فيسود الفرح و يعم التفاؤل وقد كان ذلك سببا فى نظرة هؤلاء البدائيين الى عجل ابيس كأنه شىء مميز عن كل فصيلته من الابقار فاذا هو اله لا مثيل له جميل المنظر شكلا وموضوعا فيحوز اعجابهم بجانب ما يكنون له من تقديس كرمز للخصوبة والنفع والخير.

وهذا بالطبع ظاهر البدائية ولكنه ظاهرة موجودة بيننا حتى الآن نراها بين الفارس وحصانه مثلا. أو الكلب وصاحبه والسائق و بهيمته حتى لنرى بينهم من يطعم الحيوان مما يأكلون من حلوى و يسقونهم مما يشربون احساسا بعمق الصلة والتقدير والاعزاز بينهم و بين الحيوان الذى يساعدهم فى حياتهم كذلك نجد عند الهواة من يكن اعزازا وتقديرا للنباتات والزهور و يؤمن بما فيها من نفع ومزايا تنفع الناس وتسرهم.

فانظر كيف أن الله سبحانه وتعالى يعلم ويحيط بكل شىء فى قوله «لا شية فيها» أن هيرودوتوس يورد لنا كيف كانت الدقة بالغة فى فحص الحيوان والتأكد من خلوه من أية «شبه» فيما ذكره من تفاصيل هذا الفحص فالكاهن المخصص «لفحص شرعية ذبح الضحية» يوقف العجل على أرجله ثم يطرحه ارضا ثم يقلبة على ظهره باحثا عما فيه من الشيات التى تمنع ذبحه (٧٩) أى وجود ولو شعرة بيضاء أو سوداء.

و يقول بلوتارخوس فى ذلك ايضا أن من بين الكهنة من كان يسمى «بالختامين» أى «Sphragidai» وهم المكلفون بفحص الذبيحة فحصا دقيقا ثم يختمون ما يصلح منها للذبح بخاتمهم الذى يحمل رسما يمثل رجلا راكعا على ركبتيه و يداه مربوطتان خلف ظهره وغائر فى عنقه سيف وهكذا تحمل الذبيحة التى

تقدم للتضحية أيضا هذا الخاتم تماما كما يذكر هيرودوتوس مع خلاف سطحى فى تفاصيل الخاتم لبعد الزمن بين الرجلين وتكون هذه البهيمة خالية تماما من أية شية تحول دون ذبحها و بذلك تكون أيضا غير مرغوب فيها ولا مقدسة للآلهة بل بالعكس كانوا يعتقدون انها قد تقمصتها روح شريرة لانسان غير تقى انقلبت روحه الى اجساد اخرى بعد مفارقته للحياة ولذا فقد كانوا يستمطرون اللعنات على رأس الضحية و يرمونها فى النهر بعد قطعها وذلك فيما قبل عهد بلوتارخوس بوقت طويل وهو ما كان يحدث اثناء وجود اليهود بمصر ولكن وقت وجود بلوتارخوس كانوا يبيعون هذا الرأس للاجانب من غير المصريين وكما قال ايضا هيرودوتوس انهم كانوا يبيعونها لليونانيين (٨٢).

صدق الله العظيم فهذه البهيمة كانت رمزا لست اله الشر و بلونه كما يراه المصريون أفرأيت اذن كيف شدد اليهود فى ذبح البقرة وكيف كانوا متأثرين بخوفهم من شدة عقوبة الخروج على قواعد الاضاحى حتى بعد ان تركوا الوثنية وصاروا يهودا او كما يقول الاستاذ دريوتون بعد ان كانوا عبرانيين فى مصر وخرجوا منها يهودا ..... ثم ما كان من عبادتهم للابقار وتقديسهم للعجل فكان حرصهم كبيرا على اهميتها كما المصريين تماما فى تقديسهم للابقار وما تحمله من علامات وألوان لها صلة بالآلهة التى كما يخبرنا بلوتارخوس ان المصريين كانوا يتكلمون عن الوانها كأنهم من البشر وعرفوا ان ذبح الضحية يشترط فيه خلوها من اى علامة اوشية تمنع ذبحها فتحل تضحيتها فلا شعرة بيضاء ولا شعرة سوداء فلما دلهم موسى على أوصافها اطمأنوا وقالوا « الآن جئت بالحق فذبحوها.....» ثم ايضا لا تحمل علامة من علامات عجل ابيس المقدس الذى اذا ذبح لمناسبة هامة سمى الضحية الكبرى شأنه شأن أوزيريس اله الماء الخصب والرطوبة الخلاقة وهكذا فهم اليهود و وعوا امر الله لهم بذبح بقرة صفراء خالصة لا شية فيها رحمة بهم وحماية لهم ولدينهم أذ يجنبهم غضب المصريين وتنكيلهم بهم وقد اراد الله لهم اليسر ووقاهم من عذاب شديد وأمنهم من خوف قد يتعرضون له على ايدى المصريين كما حدث لهم فى عهد قمبيز فى اسوان فيما ذكرنا من قبل. وهم يعلمون ان الله اراد أن يبعد عنهم عذابا ووقاهم شرا كثيرا كشأنهم دائما فشدد الله عليهم الا

يجيدوا عن اتباع قواعد ذبح الاضاحي فى مصر فهو العليم بما فى الصدور و يعلم السر وما اخفى فقد كانوا رغم يهوديتهم غير مؤمنين وكان موسى هو اليهودى الوحيد بينهم وكانوا يضمرون وثنية دفينة فى قلوبهم من قبل ان يبعث الله موسى رسولا اذ كانوا عبدة اله الشر ست ابيهم وهو ذو لون اشقر كلونهم ولون الغرباء امثالهم انه لون الصحراء الجافة المحرقة فانظر قول بلوتارخوس ان اوريريس عند المصريين اسمر (٨٣) وهم يطلقون اسمه على الماء والرطوبة التى يعتقدون انها اساس الخلق «وجعلنامن الماء كل شيء حى» وفى اساطيرهم ان اوزيريس وهو الماء يجعل كل شيء يبلله من ارض او من ثياب او سحب اسود ولذلك فشعور الشباب سوداء نتيجة الرطوبة والحيوية فيهم اما ست فيطلقون اسمه على كل ما هو جاف محرق قاحل وبما انهم يعتقدون ان لونه اشقر فقد كانوا اى المصريون لايرتاحون الى اشخاص بهذا اللون فلا يجتمعون بهم ثم يقول ان عند المصريين الشيب وشقرة اللون سببها اليبس الذى يحدث لمن فاتهم سن الشباب كذلك فالربيع نضر وخصب ومحبوب اما الخريف فبسبب نقص الرطوبة فيه يكون غير موات للنباتات وغير صحى للاحياء ثم انهم يطلقون اسم «خيميا» على مصر أى انها سوداء كسواد العين فمصر غالبا سوداء ثم انهم يشبهونها أيضا بالقلب فهى دافئة ورطبة وهى مقفلة ومحدودة بالجزء الجنوبى من المعمورة كالقلب فى الجانب الايسر من جسم الانسان (٨٤).

فاللون الاصفر اذن بالنسبة لليهود لونهم المفضل والبقرة الشقراء التى لا شية فيها بقرة ست الذى ارتبطوا بأبوته فيما مضى فكان للبقرة فى نفوس اليهود قداسة ومعزة حتى انهم فى شتاتهم بعد خروجهم مع موسى الى سيناء ورجوعهم الى عبادة العجل صنعوا للثور تمثالا من الذهب وصدق الله العظيم «واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار» الاعراف/١٤٨) فقد عصوا أمر الله «واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم» البقرة / ٩٣. وقد نهاهم موسى عن ذلك محاولا ان يرجعهم عما كانوا به يؤمنون وامرهم ان يتجنبوا ما كانوا يأتونه فى مصر حيث كانوا يقيمون «كلم الله موسى قائلا كلم بنى اسرائيل وقل لهم انا الرب الهكم ، مثل عمل ارض مصر التى سكنتم فيها لا تعملوا ، ومثل عمل ارض كنعان التى أنا آتات بكم إليها لا تعملوا وحسب فرائضهم لا تسلكوا ، احكامى تعملون وفرائضى تحفظون

لتسلكوا فيها» (الاويين ١٨/٣) ولم يأخذوا بهذا ولا ذاك فقد كانت كثرتهم منافقين ولم يكونوا مؤمنين باليهودية بل ظلوا على دياناتهم القديمة وقد خرجوا هاربين مع موسى بدافع عنصريتهم واضطهادهم مع من آمنوا من القوم خشية انتقام المصريين وغضبهم وقد ظلوا فى سيناء يظهرون ما لا يبطنون حتى ظهر ما كانوا يضمرونه في ضمائرهم من كفر باليهودية فرجعوا الى عقيدتهم الاولى فكان للون الاصفر عندهم شأن خاص ومغزى هام ولذا فقد صنعوا الثور الذى ارتدوا الى عبادته فى سيناء من الذهب لا من معدن آخر غير الذهب الاصفر الاصيل وطبعا لم يكن كالثور الذى كان فى العصر الرومانى ممثلا بحفر بارز مذهبا و بين قرنيه قرص الشمس وكله مذهب على ارضية لوحة بزرقة السماء (الشمس فى برج الاسد) بالمتحف المصرى ـ انما كان ثورهم صغيرا لانه من معدن نفيس من الذهب الخالص دليلا على ما فى قلوبهم من ايمان شديد بالتقليد المصرى الذى كانوا يتبعونه فى مصر من عبادة المهم ست الذى كان البقر الاصفر الذى لاشية فيه بلون معبودهم وشدة تمسكهم برمزه الاصفر الخالص مما جعلهم يشددون فى لون البقرة التى يذبحونها صفراء لاشية فيها (صدق الله العظيم) فذبحوها وما كادوا يفعلون.... صدق الله فكان ذبحها رغما منهم يتجنبون غضب المصريين فيحفظ الله دينه الجديد و يترددون فى ذبحها تقديسا للبقرة الصفراء التى تمسكوا بها رمزا لست ابيهم ومعبودهم قبل اليهودية وكان مل ء قلوبهم بعدها.

خرج اليهود من مصر وكانوا من عبدة الثور ولكن الى أين ذهبوا؟ انهم خطوا الى ارض مصرية خلاء جبلية تسود فيها عبادة الثور ايضا ثم من بعد سيناء الى كنعان بلاد عبادة الثور كذلك فالواقع التاريخى ان الثور كان معبودا فى هذا الشرق الاوسط بأكمله فى مصر وفى المشرق كله (الاناضول) وفى سوريا وفى بابل وعند الحيثين وكان ذكره واردا فى القاب وصفات الممتازين من الحكام والقادة وظلت هذه الالقاب الدالة على انتماء هذه الشخصيات البارزة الرفيعة القدرمن ذوى المكانة الممتازة عقليا وروحيا ظلت هذه الالقاب ملتصقة بهم منذ العصر الوثنى وقد وردت هذه الالقاب كقول العلماء فى النصوص الانجيلية بلغتها الاولى العبرية بعد العصر الوثنى ثم أبعدت من الترجمات الاخرى بما يوافق روح المسيحية بعيدا عن الاصل الوثنى وقد عارض

بعض العلماء ذلك ولم يوافقوا على هذا التصحيح من جهة عدم تمشية مع المعنى العام وسياق الذكر ومنهم المترجمون انفسهم الذين اضطروا الى ذلك محافظة على الروح الدينية فقد ورد فى التكوين (٢٢/٢٤) اشارة الى ذلك بعد أن امحت صفة يوسف «الثور الصغير» ثم اشارة ايضا فى التكوين (٢٢/٢٤) الى ابعاد تعبير «ثور يعقوب» وبدل بتعبير «عزيز يعقوب» فالاسلوب الذى سجلت به التوراة كان من روح المحيط الوثنى وتقاليده فكلمة ثور تعنى عند الوثنين الاله المعبود ولذا فقد علق الاستاذ كونراد (١٣٢) على هذا التصحيح بقوله أن ذلك تناس للاساس التاريخى للعبادة فى الشرق القديم ومهما يكن من أمر فعندى أن تناس هذه الحقائق التاريخية لا يمكن ولا يجوز أن يمحو أن يوسف كشخص بارز وله شأن فعال فى الحكم وكان فى زمرة الهكسوس الذين عبدوا ست الاله المصرى فان وصف بالثور الصغير فذلك تكريما له كحاكم و يبدو أن يوسف ليس له فى ذلك التقليد دخل ولا حيلة له فى هذه التقاليد ولا هذه التسمية فقد لقبه المصريون بذلك اسوة باوزيريس و بابيس وحورس الذى هو رمز لكل موسم للخير والوفرة وهو اولى بهذا اللقب تصديقا لما ورد فى الكتب السماوية فقد انقذ مصر من شر الجوع وجنب الناس مجاعة كادت أن تأتى عليهم وآمنهم على حياتهم من خوف وكان ذلك لقب للفراعنة والوزراء واولى الأمر فى مصر وفى الشرق كله مجال عبادة الثور ولكن يوسف يجل عن هذا اللقب فقد كان يوسف نبيا ولكنهم لا يعلمون.

وهنا ايضا ترد اشارة مباشرة لصخرة اسرائيل التى يبدو كما يظن كونراد أنه مكان لقاء لهؤلاء العابدين للثور فى قوافلهم وحتى لو افترض بعض الناس أن موسى فى هذا المحيط التاريخى قد شبه بالثور ولقب به كما نحت انجيليو له تمثالا قائما على هذا الظن والخيال له قرنا ثور ومحفوظ فى كنسية سانت بيترو فى روما. ثم أن ترجمة الانجيل اللاتينية المسماه «Vulgate» كما يذكر كونراد (١٣٦/١٠٨) تذكر أن موسى كان بقرنى ثور ولا تقول هذه الترجمة أن «على رأسه هالة» وهما تعبيران بمعنى واحد عبرى، كما أن بعض المفسرين ذهب الى أن الهالة نشأت اصلا من تتويج الرأس بقرنى ثور وربما كان ذلك على أساس ما يمكن أن يناله انسان من تكريم بالغ كبير اذا شبه بالثور الاله الوثنى المعبود عند القدماء فى الشرق خاصة قبل الاديان السماوية وأن التعبير عن التكريم بالثور أو وضع قرنى الثور بؤرة قوة الثور السحرية

على الرأس لشخص ما انما هوتكريم أيما تكريم بعيدا عن المغزى الدينى .كما كان عند اليونانيين وعند العرب أسماء سبع وأسد وهزبر وصفات الشجاعة فيه والتشبيه به قوة وشجاعةواقدام كذلك كان قديما الثور اقوى انتاجا واكثر خصوبة وأعظم قوة ونفعا من الاسد قديما وحديثا أيضا ولم يكن ذلك كفر وقديما كان العرب يشبهون الحفاظ على الودبالتيس كما وجدت صفات البقرة الحلوب والنعاج الولودة للمرأة وكل حيوان من تلك الماشية كان رمزا لصفة جيلة يقدرها الناس فيه ويحبونه من اجلها والثور عندنا الآن رمز للقوة والجبروت حتى لسعتبر الناس مصارعته والتغلب عليه بطولة وشجاعة عظيمتين وقديما ايضا كان اكثر الناس لا يرون الاسد الا قليلا منهم عن طريق التماثيل والصور وكان حديثهم عنه من وحى الخيال ولقوته وجبروته شبهوه بالشمس فى اوجها ولشجاعة واقدامه اصر الملوك على الظهور بشكل الاسد لما شاع من تقديره وتقديسه وهو بعيد عنهم كفلاحين ، اما الثور فكائن معهم ملموس يعيش بينهم يراه الكبار و يلعب معه الصغار أليف ، الكل يحبونه و يقدرون فيه نفعه لهم بالغذاء من فلاحة الارض الى افواه الناس طعاما يشبعهم و يقيم حياتهم ولحما شهيا وجلدا يكتسون به ولهم فيه منافع اخرى فى نقل حاجاتهم وخدمة اغراضهم وعند اليونان كانوا يعتبرون الثور بالنسبة للفلاح الفقير كالعبد عند الغنى لا يخشى أحد خطرا منه كالحيوان المفترس فكله رزق لهم وخير وقوة انتاجية للابقار ووفرة فيها وقوة جسمانية لخدمة الزرع لا تباريها قوة انسان مهما كان قو يا صبورا تسلية لهم فى ركوبه ، وتناطحه ومصارعته فهو كل حياتهم تقر يبا وكذلك البقرة والخراف والمواشى الاخرى التى تعيش مع الفلاحين والرعاة ينظرون اليها من جهة نفعها العملى لهم .

لا عجب اذن ان يرتد الاسرائيليون الى عبادة الثور بعد اليهودية فقد نزحوا من ارض عبادة الثور الى اراضى يسود فيها الثور روحيا متجهين الى كنعان التى يعبد فيها الثور ايضا وصدق الله العظيم عندما نهاهم موسى عما كانوا يفعلونه فى مصر من قبل وما يفعله الناس فى كنعان (لاو يين ١٨/ ٣) المتجهون اليها فهم لم يخرجوا عن دائرة تقاليد عبادة الثور مطلقا رغم نزول اليهودية الدين السماوى فلم يؤثر فيهم وهم النفعيون الذين ارتبطت منافعهم بالثور الذى كان يلبى عمليا مصالحهم فاعتبروا اليهودية مبادىء نظر ية ولم يكن بين هؤلاء القوم جيعهم سوى موسى عليه السلام

يهوديا صادق الايمان ومخلص النية لله ولم يكن علمهم بالدين الجديد النظرى وايمانهم به ليخرجهم عن تقاليدهم التى تعودوا على ممارستها فقد نشأوا عليها فتمسكوا بالثور وعبادته وظاهر من هذا كون هذا المعبود القديم نافعا لهم عندما كانوا فى وادى النيل يرعون ماشيتهم فى ارض المراعى (جوشن) شرق الدلتا ومن حولهم الفلاحون المصريون والكل يجل الثور و يقدسه كرمز للقوة وخليهة وفلاحة الارض والانتاج الحيوانى والزراعى فكان كل انسان بارز من الشخصيات قوى عامل منتج نافع يدعى ثورا.

وافتقد اليهود ثورهم فى صحراء موحشة لا ماء ولا نبات فيها ولا رعى وقد وجهوا نظرهم الى السماء فى دينهم الجديد يستلهمونها الصبر على ما هم فيه من جوع وقلة زاد واستبدلوا بالخضر اللذيذة والقمح التى تبدو على مرأى من انظارهم غربا فى الوادى باللبن والعسل فاشتاقوا العودة الى العجل وعبادته ولم تكن سيناء لهم رياضة روحية كما يقول الاستاذ فؤاد حسنين كما ارادها موسى لهم بل كانت محركة لنفوسهم الضعيفة الكافرة الثائرة الجائعة الحاقدة للردة الى عبادة الثور وكانت عبادة الثور وهم عبرانيون قبل اليهودية فى عقولهم وفى قلوبهم وذاكرتهم وكانوا يرون فى عبادة العجل ابيس ومنيفيس و بوكيس (Apis, Mnévis Bukis) امرا طبيعيا عمليا ينالون منه نفعا ماديا فوريا «فاشربوا فى قلوبهم العجل» البقرة/٩٣. ولا ينتظرون جزاء الجنة بعد حياتهم فى اليهودية التى كان عونها وصية وحضا على تمسكهم بالصبر والثواب على تحمل المشاق والمتاعب واجرهم عند الله فى الآخرة دين نظرى لعقول بدائية وأجساد جائعة ونفوس كافرة ثائرة هيهات ان تستجيب للمعنويات فهم هنا فى سيناء فى ذعر من المجاعة حتى انهم عندما ذهبوا الى كنعان وهى ارض عبادة العجل ايضا قضت عنصريتهم الانانية الارهابية على اهلها الاصليين لينفردوا بالارض يستقرون عليها وحدهم امانا غذائيا لهم فقط كما جعلوا من اليهودية كذلك دينا عنصريا خاصا بهم فلم يذهبوا الى كنعان مبشرين بدين جديد بل ذهبوا والعنصرية التقليدية العبرانية الاسرائيلية فى قلوبهم وعقولهم فافسدوا هدف اليهودية الهادى لجميع البشر وقد انطووا عليها واتخذوها دينا عنصريا قاصرا عليهم فلم تغير اليهودية منهم شيئا واقتلعوا من كنعان اهلها الاصليين واغتصبوا الارض وانزووا بأنفسهم وفسروا وعد الله

تفسيرا شيطانيا بمفترين على الله الكذب بعملهم اللانسانى الذى لا يمت بسبب الى اليهودية، تفسيرا ضالا بطل فيه ما امر به الدين من مؤاخاة بين الناس وتآلف بينهم فى حب الله.

وهكذا يقول كونراد أن صنع هارون العجل الذهبى لم يكن كفرا بل هو قد تم برضاء القوم جميعهم وكان ذلك العمل من اختصاص كاهن الثور فى التقاليد العبرانية فى مصر وكان هارون باجماع العلماء الباحثين كاهنه وكان العجيل الثمين المعدن من الذهب الاصفر الخالص من اية (شية) يسر الناظرين وكان هذا العجل الذهبى يعبد ايضا فى كانوبوس فى العهد الرومانى ولكنه على ما اعتقد كان رمزا شمسيا لا كالعجيل الاسرائيلى الكافر وقد اورد ايرها رد لهذا العجل صورة ، مع بعض بنى اسرائيل يرقصون حوله فكان العجيل الذهبى من صنع هارون صغيرا نظرا لقيمة معدنه وظروف تكوينه كما يقول كونراد وكما يخبرنا سترابون ان موسى كان كاهنا على قطاع كبير من الدلتا وعالما بطقوس ومراسم التقاليد المصرية والمعابد وعالما . وفيلسوفا تعلم دروس الحكمة والفلسفة المصرية ولكن علمه وفلسفته وعمله ودراساته اوحت اليه كلها باتجاه جديد وفكر جديد وفلسفة جديدة تبلورت فى دين جديد اعده الله بما آتاه من استعداده فى تأمله الروحى لوحيه فتلقى الوحى الالهى بقلب سليم. بعكس هارون الذى لم يكن مؤهلا لا روحيا ولا عقليا لان يكون نبيا بل قامت منزلته فى قومه القبلى العنصرى على انه اقرب الناس الى موسى فان أضله وقومه احد كالسامرى من عبدة العجل فلا ايسر فى غياب موسى ان يستجيبوا جميعا له أنهم خرجوا من ارض عبادة العجل الى ارض فيها الثور معبود وفى سفر التكوين كما ذكرنا (٢٢/٢٤) تجد اشارة الى صخر اسرائيل الذى يظن كونراد انه كان مكان لقاء لهذه الطوائف السامية من عبدة العجل ومهما يكن من شىء فلم يكن بين بنى اسرائيل يهودى صادق النية والايمان الا موسى عليه السلام كما يخبرنا بذلك سترابون ايضا فيما سبق ولكن كان غضبه لردة القوم الى عبادة الثور وعلى من ساعد على هذه الفتنة الدينية غير ذى اثر على عبادة الثور فى هذه المنطقة التى يعبد فى كل مناطقها العجل فى بيتهل Bethel وفى شيتيم (Sechem) وفى شيلوث «Shiloh» وجيلجال وجهات اخرى كثيرة اسست فيها مراكز لعبادة الثور كان يحج اليها

العابدون له فى مناسبات زراعية معينة فلما أن اتى اليهود الى هذه المستوطنات تغيرات فى مناسكهم النظرة الى العجل من القوة والفحولة كرعاة الى نظرتهم له لما استقروا أنه رمز فقط للخصوبة فانظر كيف كانوا جوعى ؟ ! جوعى يبحثون فى مستقراتهم عن الأمن الغذائي يقيهم بعد طول ما عانوه منذ خروجهم من مصر فى تنقلهم فى فيافى سيناء من شظف العيش وعسر الرزق وقلة الزاد فاستولوا على الارض أولا وأخرجوا منها أهلها وأصحابها الاصليين بدلا من أن يدخلوهم فى دينهم و يعيشون معهم فى أمان يظللهم فيه دين الله .

فى هذه المنطقة وعند الحيثيين خاصة لم يكن لاى حيوان غيرالثور قدسية دينية بعكس ما كان فى مصر والهند وارض الجزيرة فقد كان لحيوانات اخرى غير العجل فيها قداسة وان كان العجل يعتبر أهم وأعظم الحيوانات المقدسة ، وفيها اراضى خصبة يغذيها ماء النيل والانهار الاخرى هناك ليست الامطار فقط هى عماد ريها ثم مراعى كثيرة عليها حيوانات زراعية كثيرة ذات فوائد جمة للناس أما عند الحيثيين فاراضيهم شبيهة بواحات أو جزر فى بلدان وسط الصحراء والمناطق الجبلية فالعجل كان اهم واكبر رمز للخصوبة فيها ، فكان الثور اله فى شارشميس Charchemich كما كان فى بابل واور «Ur» و يتصف هناك باكبر مزايا الاخصاب بالنسبة لعابديه شديد الوطأة والغضب على من يتحداه . فهم يتصورونه الها للسماء فى هيئة آدمي يسمونه «Tecbub» وهومنزل المطر حياة الارض .

وشبيه بهذا الاله الحيثى شكلا ورمزا كانت الآلهة هادد Dad و Haded ورامان «Ramman» أى الذى يخور والبعل (١٣٢ ص ١٠١) «Baal» وفى بابل واشور كان الاله الثور يسمى رامان وفى احد ابتهالات بابل للاله الثور يقولون «ايها الاله ورامان Ramman تسامى اسمك ايها الثور العظيم ابن السماء اله الوفرة» فالتماثيل والاناشيد والعبادة كان يتوسل بها الرجل القوى والمرأة الخصبة والملك الجبار لينالوا القوة والخصوبة من العجل فالخصوبة والقوة هما أهم شيء فى الشرق الاوسط يرمز اليها الثور وفى قول شاعر فى سوريا أن المرأة تتمتع بأن يخصبها العجل أيل «El» كما كان فى كريت طبقة من العاهرات يسمون ديكترياد Diktriads لا يرضين أن يمسهن أحد الا العجل ثم فى اليونان كان النساء يتوسلن أن يأتى اليهن

كان ايل «El» معبود الكنعانيين وعندهم اله هو ابو البعل والاداد وعلى لسان الياس لقومه (تدعون بعلا وتذرون حسن الخالقين؟ الصافات ١٢٥) وهما عجلان و ينادونه «العجل الأب» وهو اله مخصب ولذا كانت السماء من اختصاصاته كزيوس عند اليونان أنه هو الذى يمتطى السحاب أنه الرعد إله العواصف و ينزل المطر فبدونه لا نبات للارض القحلة ولا لمراعيهم فليس عندهم الا جداول صغيرة لا تكفى حاجتهم كما كان عند اليونان الذين يخزنون مياه الامطار حتى الآن فارواحهم متعلقة بمنزل المطر مدارارا فبدونه تصير انهارهم ترابا وارضهم قحلة بلا زرع فاذا عاد عادت معه الحياة وكل شيء وفى العربية تعبير «ارض البعل» هى الارض التى تعتمد فى ريها على المطر ونقول عندنا نبات بعلى أى يروى مرة واحدة..

وفى اليونان نفس التضاريس تقريبا والمناخ وهى شبيهة بكل ارض جبلية فى محصولهما القمح والزيت والنبيذ وهكذا كنعان بلاد عبدت الثور وتمسكت به كغيرها من مناطق الشرق الاوسط وكان الثور فيها يتصف بكل ما يدل على الاخصاب من قوة وفحولة فهو الماء المخصب للارض الجبلية التى تحتاج لكل قطرة ماء فهو عندهم كاوزيريس فى مصر، اذن فاين ذهب اليهود من بنى اسرائيل بعد ان نزحوا من مصر الى كنعان التى تعبد الثور مجتازين كل الاقاليم الشاسعة عابدة الثور انهم لم يخرجوا من محيطهم الذى تعودوا عليه فى عبادة معبودات كان الثور اهمها وصدق الله العظيم فقد امرهم موسى الا يعملوا ما كانوا عليه فى مصر وان يتجنبوا ما يجدونه فى كنعان حيث يقودهم اليها فرحيلهم من مصر وترحالهم فى سيناء واستقرارهم غير المشروع فى كنعان كلها مناطق عبادة الثور زيادة على عنصر يتهم القبيحة التى ضنت بكل شيء على غيرهم من الناس حتى دين الله فكانوا اسوأ من أوتمنوا على شيء وكانوا فى عنصريتهم (ثيرانا) عتاه فيعقول (الثيران) ارادوا ان يجعلوا لانفسهم جذورا فى اى ارض وهم السطحيون الرحل الذين ليس لهم اصل ثابت ولا حضارة مطلقا فتمسكوا باليهودية وجعلوا منها دينا عنصريا لهم واستمسكوا بعنصريتهم الدينية هذه متوهمين ان ذلك يجعل لهم اصلا وجذوراوحضارة فى اراضى اغتصبوها من اهلها فكانوا واهمين ولم يخدعوا احدا بل كانوا انفسهم يخدعون فاليهودية دين الله للناس اجمعين.

أما الفينيقيون وهم من أهم من نشر عبادة العجل وروج لها فى حوض البحر الابيض المتوسط هؤلاء التجار البحريون القدماء من عبدة العجل كانوا صلة بين اهالى البحر المتوسط القديم بعضهم ببعض وكان البعل الههم الاكبر وزوجته عشترون البقرة تماما كمعبود الشرق الاوسط فى كل الانحاء وخاصة مصر وكانوا يحرمون أكل لحوم الماشية الا فى مناسبات دينية نادرة وفى غيرها كان اللحم حراما واكله من الكبائر.

هكذا لم يبعد اليهود عن تقاليد عبادة الثور حتى بعد اليهودية وظل اثر هذه العبادة فيهم فكان يوشوا « Jushua » الذى قاد اليهود الى كنعان بطلا من قبيلة افراين « Ephrain » وهو اسم مشتق من اسم الثور الذى كانوا يعبدونه فى الصحراء و يرى كونراد ان داوود عندما اسس الولايات اليهودية المتحدة أسس معها عبادة يهوا « Jahwism » فبدى العقول العامة فى تصورهم تقارب وتوحيد (بعل ييهوا) واستمر هذا التصور (للبعل مع يهوا) فى عهد ابنه وخليفته سولومون بدليل انه قد وجد فى المعبد المشهور تماثيل للاله شيروبيم « Cherubim » وهو تمثال اله من البرونز بشكل آدمى مجنح برأس عجل ثم وجد تمثالان كبيران لهذا الاله شيروبيم فى قدس الاقداس بالمعبد (١٣٦ ص ١١٠).

و بعد موت سولومون حدث تراجع ونكسة كاملة الى الردة فقام يروبوم « Jero-boum » وجمع شمل قبائل شمال فلسطين وحثهم على عبادة صور آلهتهم القديمة فأقام مراكزا لعبادة الثور فى مركز ثور يعقوب (عزيز يعقوب) كما يذكر فى التوراة (التكوين ٢٢/٢٤) ضمن مراكز اخرى لعبادة الثور فى بيتهل Bethel ثم ايضا فى دان وقال لقومه «بعيد عليكم أن تذهبوا الى بيت المقدس فانظر هذه هى آلهتكم القديمة التى عبدتموها فى ارض مصر» (١٣٦ص ١١٠).

هذا اثر مصر على اليهود فى هذه البقاع الت تأثر بها اليهود أنا وجدوا بعد نزوحهم عن مصر فلا يمكن ان يتخلصوا منها انها آثار باقية فيهم اذ لم يكن لهم من حضارة الا ما أخذوه عن مصر ولا فضل الا ما اكتسبوه من مصر ولا حكمة ولا أمثال الا تعلموها فى مصر فمصر بالنسبة لهم اصبحت كالليل الذى يدركهم رغم بعد الشقة وسعة المنتأى ورغم ذلك يأبون الا ان يطفئوا نورا ملأ عقولهم وقلوبهم فجحدوا نعمها عليهم حسدا لها وكرها فيها وغيظا منها ثم بعد ذلك يلجأون اليها بوجوه شوهها الرباء محاية

لديهم من اعدائهم فى فلسطين وفى بيت المقدس كما سنرى .

وقد اصبحت هذه المراكز التى اسسها يروبوم ((Jerob'aam)) لعبادة الثور مجالا لمراسم الاخصاب الاباحية ومجالا لسنة حرق لحوم اضحية العجل ايضا فى المشرق كجزء من مراسم العبادة مما أثار لوم وانتقاد انبياء اليهود فى الجنوب وشددوا هجومهم على هذه العبادة فكان ذلك دليلا على تمكن عبادة العجل من عقيدة اليهود آنذاك فاليهود فى المشرق (الاناضول) لم يتنازلوا عن عبادة العجل التى مارسوها وآمنوا بها قرونا طويلة وقد اصاب كونراد (١٣٦ ص ١١٠) فى قوله بان تقاليد عبادة العجل كانت راسخة قوية فى نفوس الناس فالعجل يوحى بالاحترام والحب والاعجاب لانه يستجيب لمتطلبات حياتهم هناك ومرتبط باحتياجاتهم ورغباتهم الدنيوية الواقعية فلم تفسح العقيدة فيه مجالا لعقيدة الانبياء الدينية السماوية المعنوية اى أن بنى اسرائيل تمسكوا بعقيدتهم التى مارسوها كعبادة عملية كانوا يستفيدون منها فيما مضى (١٩٠/٣٢) مما حدا بهم فى ابتداء رسالة موسى ان يتراجعوا عن دينه الذى انزل عليه فكان موسى هو اليهودى الوحيد بين قومه الذى اختار الله معبودا له فاختاره الله لرسالته للعالم وهو العملاق الفكرى الفلسفى الروحانى الحكيم صافى النفس والقلب السليم ولكن لم يكن اقناعه قومه باختيارهم الله سهلا فقد غلبت مصالحهم الارضية وحاجاتهم الدنيوية وهم الرعاة الرحل المستضعفون فى الارض لا يشغلهم الا حياتهم الصعبة البدائية لا هم لهم فيها الا الاهتمام والمحافظة وتقديس كل ما ينفعهم و يعينهم على حاجاتهم فى دنياهم فيحمل عنهم عبأها و يسهل لهم متطلباتها و يكثر لهم رأس مالهم وعماد حياتهم من قطعان الماشية غلب ذلك تطلعتهم الى الروحانيات السماوية فقابلوا دعوة موسى اليها وتقبلوها بفتور وسلبية ولولا خشيتهم من اضطهاد المصريين لهم لما خرجوا معه من مصر كما ذكرنا .

كانت نتيجة كثرة التضحية بالعجل واكل لحمه ان سادت فكرة الوحدة بالجوهر بين الاله وعابديه مما كان بركة للعابدين المشتركين فى هذه الولائم الدينية المرسمية وقد كان شعور الناس بذلك قويا شديدا حتى ظل فى تصورهم بعد ان اختفت عبادة العجل فى المشرق باسلوب آخر كما يرى كونراد ـ فآخر عشاء ربانى كطقس رئيسى ومعجزة المسيحية المرسمية كان اثرا مذهبيا مباشرا اتى من هذه المراسم النامية

الواسعة الانتشار (١٣٦/١١١) فسبحان الله الذى اعلمنا انه حين اتت رسله ابراهيم «ما لبث ان جاء بعجل حنيذ» كما كانت عادة القوم من زمن سحيق (هود/٦٨)

وقد كان المتقون والانبياء من اليهود يرون الاسلاف والرسل فى احلامهم ماشية من ابقار وغيرها كما روى «Enoch» (١٥٠ ق م) الذى ر وى لابنه رؤياه فى منامه عن اصل الخلق أنه رأى فى منامه آدم وحواء ونوح .... خ حد تمثلوا له جميعا ابقارا كبيرة وصغيرة (١٣٦/١١٢). ذلك لان الماشية كانت بالنسبة لهؤلاء الرعاة والفلاحين ايضا أهم ما فى حياتهم فليس امامهم سواها يرون بها كما كان فى مصر سر الخالق والحياة من خصوبة وقوة ووفرة وامومة وتلقائية غريزية للبقاء.

هكذا كان أهل المشرق (الاناضول) وفى آشور عبدة العجل المجنح الذى زينوا به قصورهم وكان علم الملك سارجون نفسه يحمل رمزا، عجلين ورأس عجل وعند الحيثيين وفى سومر وبابل والهند وفى مصر الكل يرجوو يلتمس من الاله العجل القوة والخصوبة بما يقومون به من عبادة له فى معابدهم واناشيدهم وتماثيلهم يتقربون بها اليه منذ آلاف السنين فكان عند هؤلاء المرتبطين بالارض فلاحة ورعيا الاله بدون منازع فى منطقة الشرق الاوسط.

عجل أبيس

أبيس بالنسبة للمصريين كان يمثل اعز أمانيهم وحياتهم انه يقدم لهم الرخاء واليسر ويهبهم الحياة الرغدة الكريمة ولذا فقد دار في فلك اوزيريس أو سرابيس وازيز وحورس الثالوث الخلاق فالماء والارض والانتاج أوالخلق يكونون ثالوث الخلق الازلى في مصر فهو حياة مصر و يقوم على وحدانيته ووحدته اود المصريين وحضارة مصر العريقة العظيمة فكان في عقولهم لابيس تصور غريب شكلا ولونا وقداسة في الارض والسماء أي الشمس والارض كالفرعون تماما الذى هو ابن الثور رمز الخير والنفع في الحياة الزراعية يأتي الانتاج بجهوده خيرا و بركة وفيضا عميا فالزراع هم غالبية المصريين الذين لا يعرفون مصدرا للرزق سوى فلاحة الارض فالعجل عندهم كما يقول بلوتارخوس هو تجسيد للخصوبة جنسيا وفلاحة حتى لقد اصبح روح اوزيريس و بتاح الحية اى رمز الماء الخلاق والرطوبة اساس الحياة في العالم وقد اصبح الثور لتصورهم هذا رمزا اتخذه الاسكندر الاكبر للحكم الالهى كأبي الهول في العهد الفرعوني.

أفرأيت اذن كيف كان حرصهم كبيرا بالنسبة لابيس وعلاماته ولونه ثم كيف يجمع المؤرخون اليونانيون القدامى الذين زاروا مصر على نظام الاضاحى عند المصريين القدماء وكيف ان العجل كان عند الفلاحين في مصر خادما للارض وعونا على زيادة انتاجها الزراعي وهو ايضا كذلك عند اليونانيين فيعتبره الفلاح اليوناني بدلا من العبد عند الفلاحين الاغنياء ومن امثالهم «الجار احسن من الاخ فهو الذى يساعدك اذا ما حدث شيء لعجلك بالليل» فما دام النيل المخصب (أوزيريس) المخصب الاول والاساسى للارض والزراعة في دنيا الفلاحين مقدسا عندهم اذ انه واهب الحياة و بدونه لا حياة للارض ولا لهم، كذلك كان الثور معاون النيل في الانتاج بما يقوم به من حرث الأرض واعمال خدمة الزراعة موضع اعزاز ومحبة ورعاية وتقديس كما كانت البقرة ايضا مصدر رزق يأخذون منها اللبن والجبن والدسم واللحم وانتاج حيواني ثم سماد للارض فهي عندهم كزوجة الفلاح مساعدة في خدمة الارض وست الدار انها ازيس فان كانت هذه الابقار النافعة والضرورية لهم ذكورا

واناثا نشترك فى بعض من الاوصاف من اوزيريس معلم العالم كله زراعه الارض بعد الاستقرار من حالة البداوة والترحال فى شيء مثل اللون الاسود أو اللون الأبيض لون ابنـه حورس رمز الشمس المشرقة وتجدد الحياة فيما عدا الاوصاف الاخرى التى يجدونها فى العجل الذى يمثل روح اوزيريس الحية زاد تقديرهم وحبهم لهذه الابقار فان قدمت منها اضاحى فيجب الا تكون من الابقار التى يعتزون بها وهكذا كانوا يفعلون بشهادة المؤرخين الذين اهتموا بمصر وبتقاليدها فليس أيسر علينا ان نتعرف على عجل ابيس من ذكر الاستاذين ايلياتوس فى كلامه عن خصائص الحيوانات وهو العالم المختص فى علم الحيوان ثم الاستا بلينيوس لعالم الرومانى فى التاريخ الطبيعى فعن طريقهما يمكن ان تأخذ فكرة مختصرة شاملة، عن تصور المصريين لما يكون عليه عجل ابيس من اوصاف اشهر وأقدم معبود من الحيوانات واعرق حيوان وجد على انبل واخصب ارض ازلية ارض مصر السوداء الخالدة ازيس السمراء ذات الاسماء التى لا تحصى فعجل ابيس فى دنيا مصر الفلاحين، اروع اله له ايمان ووجود فى نفوسهم لابدانية عندهم اله آخر فإذا كان اوزيريس هو حياة الأرض أى النيل وماؤه فالثور روحه الحية التى تكمل العمل بالجهد فى الانتاج وزيادة المحصول كما وصفه المؤرخون كما أن البقرة كانت مكملة للرخاء فى بيت الفلاح وفى ارضه وهى الام للعجل الولود الحلوب فالعجل اى ابيس يولد من بقرة يخصبها شعاع من اشعة القمر المخصب وهى فى حالة استعداد للحمل كما يقول المؤرخون القدامى أما ايليانوس فيروى لنا ان شعاعا من السماء هبط على بقرة فى حالة استعداد للخصب فولدت عجل ابيس الذى يسميه اليونانيون ايبافوس Epaphos وعندهم ان ام هذا العجل هى (ايو Io) من مدينة ارجوس فى اليونان وان ابوها هو «ايناخوس Enachos» وهكذا يرجعون نسبه الى خرافة (Io) أما بروجش فيقول ايضا أن زيوس قد سخط ايو بقرة وضعت فى النهاية ايبافوس فى مصر او عجل ابيس وذلك قبل ان ترجع الى صورتها الآدمية على يد زيوس وهذه هى الخرافة اليونانية التى ترتبط بابيس المصرى وتتشابه فيها ايو Io وهى بشكل البقرة بازيس «Isis» اى حتحور ورغم أن هيرودوتوس (٨/٣) وأرستاجوراس Aristagoras (H.G. Muller)، ٩٨/٢ قد قدما مثل هذه القصة الا أن المصريين لم يعترفوا بذلك على حد قول ايليانوس نفسه فهم قد رفضوا هذه القصة واعتبروها قصة زائفة وذلك لانهم «أكدوا انه يجب

ان يكون على ظهر هذا الثور المقدس ٢٩ علامة ظاهرة فى وضوح» ثم «يحتجون أيضا بان ايبافوس هذا ولد فى عصر متأخرا جدا بينما كانت اول معرفة البشر لابيس قبل ذلك بآلاف السنين» (٨٥).

صدف ايليانوس، فالواقع ان ظهور ابيس كمعبود رسمى كان كما يقول ايليانوس نفسه من عهد الملك مينا اى من اول عهد الاسرات أى أقدم بكثير جدا من ظهور تلك الخرافة اليونانية التى اراد لها اليونانيون ان تأتى على غرار التقليد المصرى فهم ايضا يقدسون الثور تقديرا منهم لخدماته الزراعية.

ذكرنا فيما سبق اقوال المؤرخين من اليونانيين فيما يخص ولادة ابيس وقد اجمع الكل على صلة ابيس بالقمر وقد اوردنا ايضا ذكر بلوتارخوس لذلك وعنده ان هذا الثور الخصب قد «ولد عندما هبط احد أشعة القمر على بقرة فى حالة استعداد للاخصاب» (٨٦) وهذا ما يشير اليه ايضا المؤرخون الآخرون ومعهم بلينيوس Plinius الا أن اشارته لم تكن مباشرة ففى كلامه عن العلامات التى تزين ابيس يذكر ان أول ما يتميز به ثور ابيس هذا بقعة بيضاء بشكل هلال قمرى على جانبه الايمن (٨٧)

أنه يذكر الهلال كأول واهم علامات ابيس فهو اذن ثور ينتمى الى الفلك بكل ملابساته فى ولادته وعلاماته فكل شىء فيه يمت بسبب الى الفلك حتى تبلور تصويره فى العصور المتأخره على لوحة من الحجر الجيرى نحت عليها نحتا بارزا يبرز فيها العجل وقد غطى كله بالذهب وهو واقف متجه الى اليمين و بين قرنيه قرص الشمس ، والخلفية التى يبرز عليها زرقاء بلون السماء وهذا دليل على النظرة الفلكية التى بنى عليها علماء الكهنة فلسفتهم اللاهوتية فى عبادة العجل اى الشمس فى برج الثور فانظر كيف ارتبط العجل بعبادة اوزيريس ابيس ودار فى فلك الشمس الازلى فمن بين الكهنة من يعتبر ان اوزيريس هو الشمس صراحة و يسميه اليونانيون سيريوس أى نجمة الشعرى اليمانية وهى نجمة الكلب الفلكية باعثة المطر كما يحدثنا بذلك بلوتارخوس (٨٨) ولا غرابة فى ذلك فالصلة بين اوزيريس والشمس والشعرى اليمانية باعثة مطر وماء الفيضان كلها تمثل تماما اوزيريس الذى هو النيل بمائه فالشعرى اليمانية هى نجمة

أزيس فى المسماصوثس «Sothis» باعثة وبشيرة الفيضان فالمساواة بينها وبين اوزيريس والشمس قائمة ونجد ذلك كله بمساواة الجميع واضح تماما على حجر منقوس لخاتم من العهد اليونانى الرومانى ضمن مجموعة المتحف المصرى النادرة الثمينة وهذا النقش يمثل الشمس قبيل وقت الامطار الموسمية ممثلة برمزها النسر الذى يقف فى عربة شمسية يجرها كلبان وهما رمز نجمة صوثيس تسير مع الرياح الموسمية المحملة بسبح المطر الغزيرة فى موعد مطلع نجمة صوثيس أى الشعرى اليمانية أى ازيس «صوثيس Sothis» عند المصريين وهى نجمة اوزيريس سيريوس «Seirius» اليونانية أيضا بشيرة الفيضان العظيم تجدها عند اليونان ممثله بازيس على ظهر الكلب على النقود الرومانية ايضا وفى أعلى الشكل النجمة وهى العملة الخاصة بمصر والمسماة بنقود الأسكندرية فكل هذا التمثيل على هذا الحجر المنقوش النادر وعلى النقود انما يتعلق بدورة الشمس وتطورها فى الفصول الأربع الزراعية بمصر ومنها موسم الفيضان فكان المصريون يكرمون الأسد و يزينون معابدهم برأسه أذ أن النيل يفيض عندما تقترب الشمس من مجرة الأسد و يعلق لو يب على ذلك بأن نجمة صوثيس أو الشعرى اليمانية تشرق فى هذه الآونة أذن ففى هذا الوقت يجر الكلبان رمزا نجمة صوثيس العربة الشمسية ايذانا بظهورها وفيضان النيل (بلوتارخوس فقرة ٣٨-٣٦٦ أ) وهكذا نجد المطابقة تامة فى قول بلوتارخوس عن اوزيريس فى التقاليد العامة بانه الشمس وإنه عند اليونانيين نجم سيريوس بشير و باعث ماء الفيضان.

أما المصريون فكانوا يعتقدون فى خصب القمر حتى أنهم رمزوا الى ابتداء الربيع بقمر شهر فامينوث «Phamenouth» الجديد فيحتفلون فى هذه المناسبة بعيد أسموه «اوزيريس فى القمر» وهذا يعنى أن أوزيريس هو المخصب كالربيع وهو الذى يخصب البقرة أم أبيس بشعاع من القمر. ثم يذكر بلوتارخوس أن المصريين كانوا يركزون قوة اخصاب اوزيريس فى القمر ولذا فازيس عندما تكون حاملا أو خصبة ترتبط باوزيريس فى القمر ولذا فمن الكهنة من يقول بأن ازيس ليست سوى القمر (٩٠) فتماثيلها التى تمثلها بالقرنين المتوجين لرأسها ما هما الا محاكاة لشكل الهلال القمرى ثم هى فيما تلبسه من ملابس داكنة أنما تدل على تلهفها لان تتبع الشمس أو على أنها فى متابعتها الشمس تكون متخفية وغامضة ومن اجل ذلك أكد

ايودوكسوس (Eudoxos) ان ازيس هي الالهة التي يحتكم اليها الناس في شئون حياتهم الجنسية فالناس يناجون القمر في الحب واحواله (٩١).

وصدق ايودوكسوس أفلا نفعل نحن ذلك الآن؟ ثم ان قوله منطبق على الواقع فازيس المصرية قد اندمجت فيها كل الآلهيات اليونانيات ومن بينها افروديت الهة الحب اليونانية كما تمثل ذلك كثير من التماثيل الفخارية والنحاسية في جميع متاحف العالم ثم انهم ايضا من هذا كله «يقولون ان القمر ام العالم» (٩٢) ثم انه عندهم في طبيعته مذكر ومؤنث في نفس الوقت ففي طبيعته المؤنثة يتزوج الشمس ويحمل منها ومن جهة أخرى فطبيعته المذكرة تنثر في الهواء جرم الاخصاب (٩٣).

فمن ذلك يتضح ان الثور يدخل دائرة اوزيريس الشمسية الخالدة و يقصدون بذلك ان يجعلوا له علامات قوية واضحة الدلالة وان كانت بدائية تبرز ارتباط ابيس بالدورة الشمسية الابدية التي يتوقف عليها كل شيء كقوة او طاقة اساسية للانتاج الزراعي في مصر تتعلق بها حياة الانسان وموته و بعثه وكذلك يرتبط بتوقيتها تطور الزراعة وتغير الفصول الزراعية في البذر والحصاد والنيل ومائه وفيضانه توقيتا دقيقا لا يتأخر ولا يتقدم ولا يتغير منذ الازل والى الابد متصل بفضل طبيعة مصر الفريدة حتى ليقول ايليانوس (١١-١٠) أنهم كانوا يشبهون الثور بحورس الذى يرون فيه السبب الاول في خصوبة الارض وحاصلاتها وهو ايضا سبب كل موسم مبارك و يفسرون ايضا سبب تعدد الوان الثور بانهم يرون في ذلك اشارة خفية ترمز الى تنوع المحاصيل (٩٤) وهكذا تظهر الصلة بين الثور وفلاحة الارض قوية في تفكير وعقيدة هؤلاء الفلاحين الاول ويبرز هذه الصلة اكثر ما ورد عن ايليانوس في روايته على لسان الكهنة المصريين «ان قصة لا يعرفها الكثيرون هي ان الملك مينا في مصر عندما فكر في حيوان يعبده اختار الثور معتقدا انه أجمل الحيوانات جميعا» (٩٥) أفرأيت إذن كيف ان ملك هؤلاء الفلاحين البدائيين الاول عند الاستقرار على الأرض وابتداء الزراعة الحقة لارض مصر قد اختار الثور حيوانا وحيدا معبودا له لعقيدة الكل في هذا [illegible] الزراعي بان انفع الحيوانات واشدها جهدا واجلها في تصورهم هو الثور فعبده [illegible] كما ورد في هذه الخرافة وأصبح الثور رمزا للملكية في مصر منذ ابتداء تاريخها الاول وكذلك الحال عند البدائيين من اليونانيين بالنسبة للثور كما ورد في الياذة هومر.

بجانب منفعة الثور الذاتية للزراعة وجهوده فى خدمة الأرض وزيادة الانتاج للشعب وللملك يتدخل فلاسفة اللاهوت من الكهنة الفكلإون كما يصفهم إسترابون فيخلقون له ارتباطاً وثيقا برمز الاخصاب ومركز دورة الانتاج الزراعى وتوقيت المواسم الزراعية اى بالشمس المهيمنة على كل شيء وفلكها فيرتفع الثور فى السماء برجا شمسيا تنزله الشمس برج للثور فى السماء رمزا للاخصاب وقد نقش هذا الرمز على لوحة بارزة الحفر بالمتحف المصرى كما ذكرنا ، وان هذا يخالف النظرة التى صنع من اجلها اليهود عجلهم من الذهب فالذهب يشير الى لون ست المهم القديم الاصفر او الاصهب الذى لاشية فيه كما ذكرنا .

و يشير المؤرخ بلينيوس أول ما يشير إلى صفة الثور الفلكية فأول ما شرحه له الكهنة علاقة الثور بالقمر فالهلال الذى على جانبه الايمن له صلة بالقمر كذلك تأويل وشرح بقية العلامات وعلاقتها جميعا بالفلك ونجومه . فهذه عقيدة سائدة بين الشعب فى تطلعهم الى الشمس وهى عقيدة رسمية ايضا فنجد علامة الهلال هذه التى على جانب الثور الايمن والدليل على صلته بالقمر والسماء تمثل على التمائم والنقود فيوجد حجر خاتم صغير فى مجموعة المتحف المصرى يحمل نقش الثور واقفا الى اليمين وعلى جانبه الهلال بارزا وفوق رأس ابيس كلمة (احنا) أو احفظنا باليونانية ثم بجانب هذه التمائم نجد النقود الرسمية تحمل ايضا الثور ابيس واقفا وعلى جانبه الايمن هذا الهلال اعترافا رسميا بابيس كرمز شمسى فلكى اى اله ولذلك فاننا نلمس العناية بابيس منذ ولادته فعندما كانوا يعثرون عليه عجيلا صغيرا بين المواشى يحمل تلك العلامات الشمسية التى تميزه عن بقية الابقار وهى علامات كثيرة عددها عند ايلياتوس تسع وعشرون علامة (٩٦) . وقد عدد هيرودوتوس، بعضها فيما سبق ولكنه لم يذكر عددها ثم ان ايليانوس بقول ان المصريين قادرون على تحديد اى نجم ترمز اليه اى علامة منها على جسم الثور و بين تنك العلامات كما يقول ما يشير الى موعد ارتفاع النيل وشكل الكون (٩٨) أى انه أيضا كوزموكراتور مهيمن . وكما نرى فان ذلك تفسير صحيح لما اعتبر من اجله عجل ابيس روحا لاوزيريس حية فدورانه فى فلك الشمس يجعل منه ايضا دليلا على موعد الفيضان وظهور نجم الكلب (صوثيس Sothis) باعث

و بشير ماء الفيضان وهذا كله دليل واضح على فلسفة عبادة الثور رمز الفلاحة الاول وجعله الروح العاملة لاوزيريس اى النيل نفسه اى الفيضان واخصاب الارض. حتى ان الكهنة اطلعوا ايليانوس على تفسير علامة اخرى ممثلة على الثور بين العلامات وترمز الى ما يدل فى الازل على قدم وسبق الظلام على النور (٩٩)

ثم ان ايليانوس لم يربط ولادة العجل بالقمر صراحة بل اطلق القول بان «شعاعا من السماء نزل على بقرة فسبب ولادته فهو بالنسبة للمصريين ابرز الالهة» (١٠٠)

وكذلك يقول هيرودوتوس من قبله (٣/ ٢٨) بدون ذكر مخصص للقمر ولكنه يضيف ان ابيس أو «Epaphos» عجيل يولد من بقرة لا تحمل مطلقا بعد ان تلده (١٠١).

ولكن ايليانوس يذكر الصلة التي تشير الى انتماء ابيس للقمر يشير الى علامة الهلال مثل بليني فيقول ان هناك «علامة أخرى تبين شكل هلال القمر لمن يفهمون ذلك» (١٠٢) اى انه يشير الى سر وجود ودلالة هذه العلامة لمن يفهم علاقة ابيس بالقمر من المختصين اولى العلم.

أما بليني فلم يذكر الاعلامتين شمسيتين فقط (٨/ ١٨٤) اصرارا منه كما يبدو على انتماء العجل الى الشمس كفلك يدور فى فلك الشمس الابدية المرتبطة بها مصر الفلاحين بنيلها وزراعتها والمعتمدة عليها فى توقيتها للزرع بكل دقة فأولى هاتين العلامتين تظهر على فرائه بقعة بيضاء بشكل الهلال القمرى على جانب ابيس الأيمن واما الثانية فتختبىء تحت لسانه بشكل عقدة يسمونها الجعلان أو الجعران (١٠٣) وهذه العلامة ايضا ورد ذكرها فى هيرودوتوس مع علامات أخرى كما سنرى (انظر ملاحظة ٧٩) وهذه علامة غير ظاهرة الا لمن يعرف موقعها وكنه وجودها من خبراء الكهنة العالمين بالاسرار فالجعلان أو الجعران او (خيبرى) ما هو الا رمز للشمس كما ذكرنا بين الدلالة منتشر الظهور ومعروف فى خرافة ولادة الشمس من جديد اى البعث وكان يمثل فى جسم الانسان اى فى العالم الصغير المحدود (microcosme) القلب على غرار الشمس فى العالم الكبير الواسع (macrocosme) تمثل قلب الكون النابض Hardia tou kosmou والتى يرمز اليها الجعران

kardia tou kosmou

ايضا وتلك علامتان ظاهرتا الدلالة على فلكية الثور وانتمائه في السماك الاعلى بل هو الشمس الجديدة فانظر كيف يرى المصريون الالهة حتحور الفلكية كما ورد في النصوص الخاصة بالمادة الازلية بهيئة البقرة كما يقول بروجش أنها اولى وأقدم من كل الآلهة وتعتبر الام الازلية لاله النور (رع) انها «ام ابوها واخت ابنها الذى هو زوج أمه» (١٠٤) وفي لغة الخرافات التذكارية تذكر حتحور بانها المضيئة في السماء القوية القادرة على الارض والالهة الكبرى المخصبة تحتها فهي الملكة الكبيرة المقدسة وافرة الثمار والخصب في اعماق الارض» انها تعتلي عربة التاسوع العظيم المقدسة كما « Tefnut » ومثل نوت « Nut » وازيس ونفتيس بجميع اشكالها واسمائها المحلية (١٠٥) وكان تعليق بروجش قوله انها بعبارة اخرى قد جمعت كل هذه الآلهات وتضمنت في ذاتها كل خصائصها».

أفرأيت اذن ان المصريين في عقائدهم يبعثون بكل ما ينفعهم الى السماء و يتمنون له الدوام فينسبونه الى الشمس و ينسبون الشمس اليه و يربطونه بدورتها الفلكية الزراعية الازلية الابدية في تغير الفصول وتجدد ماء النيل والزرع والحصاد؟ أوليس ذلك ايضا مصداقا لقول بلوتارخوس الذى يوحي بفكرة ان هناك الهين؟ اذ يكاد يقرر وجود الهين اله ازلى لم يولد خالد أبدى لا يفني وهذه اشارة منه للواحد الخفي الذى هو ملىء السموات والارض كما ذكرنا فيما سبق أما الآلهة الآخرون فكالابطال الاول بعدما يقومون به من اعمال جليلة فيعملون على احياء ونشر ما أوجده الاله الابدى لنفع البشر من نعم وخيرات وسلوك طيب وفضائل تنفع الناس و ينعمون بها اى ديميورجيون أو آلهة ثانو يون يقومون بما يشبه دور الرسل فيما بعد في الكتب السماوية بفنون وتبقى أرواحهم مضيئة في السماء تدور في فلك الشمس الاله الابدى فروح اوزيريس هي نجمة الكلب (الشعرى اليمانية) كما يسميها اليونانيون أما عند المصريين فاسمها صوثيس ثم روح حورس اصبحت النجمة أوريون وروح ست اله الشر هي الدب الاكبر (١٠٦).

وفي الاطار الفلكي تظهر ازيس كما يقول برجش (صفحة ٦٤٨)
كنجمة صوثيس Sothisstern في السماء قرب
الشمس في اولى ايام السنة الجديدة وهو ما يعتبره المصريون الاول آنذاك رجوعا

لفصل الصيف فى هذه الآونة وليس فقط ايذانا بدخول سنة جديدة بل ايضا اعلانا بابتداء موسم فيضان النيل وذلك له معنى رمزى كبير اذ أنه يجعل لنجمة صوثيس علاقة قوية قريبة من طبيعة ازيس فشروق مجموعة نجوم ازيس فى هذا الوقت بالذات من السنة يشير الى عودة الحياة أو تجددها فى مظهر العالم الموسمى فهذه الصورة على ارض مصر بهذا الانتظام الموسمي الدورى المنتظم يكوّن بوضوح ملحوظ ثلاثة مواسم وصول فصل الفيضان ثم فصل القمح ثم فصل الصيف القائظ (١٠٤/٦٤٧)

هذه اذن ازيس الفلكية واضحة دلالتها النجمية بارتباطها بالدورة الفلكية وهى على الارض كما يذكر بروجش «ازيس سيدة الارض المنزرعة» وهى البقرة (هورسخا) اى المغذية التى تنتج كل شيء وهى التى ترضع وتغذى بلبها ابنها الطفل حورس انها تهب الحياة وهى منتجة القمح والحبوب. انها (بوتو (Buto)) الخضراء التى تشبه خضرتها خضرة النباتات الجديدة التى تغطى الارض فالالهة بوتو الهة الحقول الخضراء كما يذكر بروجش (١٠٤/ ٦٤٩).

كل هذا ظاهر الدلالة على ارتباط الحلقة الزراعية الموسمية بالدورة الشمسية المنتظمة التى لا تخلف مواعيدها.

ثم انظر كيف كانت التقاليد فى مدينة اوزيريس وأبيس اذ يقول بروجش ان بمدينة اوزيريس كانت عبادة اوزيريس المحلية فيها عبارة عن ثالوث مكون من (١) اوزيريس بشكل عجل ابيس (٢) ازيس البقرة المقدسة مغذية ابنها حورس (Horsecha) (٣) الطفل حورس او ابيس الصغير او العجيل (Kalb)

اى أن هذا بمعنى آخر هو الثالوث الابدى سروجود مصر فازيس كربة الحقل او الارض المصرية المنزرعة (١٠٤/ ٦٥١) ثم هى هنا ليست بمفردها اذ أن زواجها من اوريريس النيل فكرة مجازية متضمنة فى مفهوم الجميع (كما ورد فى نصوص الواحات Oase-Texten ثم فى مدينة أبيس التى وردت فى قوائم المديريات فى مصر السفلى تحت اسم آموت Amut حاضرة المديرية الثالثة (الليبية) كانت ازيس تحمل اسم حتحور الذهبية نوبيت Nubit وحورس الطفل كان العجيل kalb الذى ولدته ازيس للعالم وهذا هو ابيس الصغير فى نصوص حورس Horustexten العجيل الذى يقف بين ارجل امه المضيئة من فوقه ثم يعلق بروجش على ذلك بقوله اى بعبارة

اخرى «شمس الصباح اليومية وفى جريان سير الشمس السنوى التى تشرق من الشرق فهو الشمس المبكرة أو شمس باكورة الصباح» (١٠٧).

وقد كان بروجش موفقا فى قوله ان فكر (Nutr) تتفق مع فكرة ان هذه القوة تتضمن مبدأ التناسل والولادة فكل منها لا ينفصل عن الاخرى كما هو بالنسبة للتمثيل أو التصوير الآدمى لفكرة الاب والام والطفل كما اقامه المصريون بالتوازى مع ما يسمى بالثالوث الالهى القائم على اساس التصور الحسى والبشرى وهكذا أقامت التعاليم فى مدينة طيبة الثالوث آمون (زيوس اليونانى) اب وموت (Mut) التى هى (هيرا اليونانية) أم وابنها خنسو (هرقل اليونانى) الطفل الابن ولكن بروجش يستدرج فيقول ولكن يجب ألا يخامرنا سوء الفهم بين وجهة نظر فكرة عدم تجزؤ أو انفصام الوحدة الالهية فى هذه الاعضاء المتفرقة التى يتكون منها الثالوث فقد استبعدت كل فكرة او تصور ما يتصل بتكوين هذا الثالوث من البشر نهائيا ففيه تتمثل قوة الوحدانية الآلهية واضحة متينة. فآمون يظهر فى لغة الخرافة كرع موتف (Ramutef) أى زواج امه وموت (Mut) كأم ابيها واخت ابنها تماما كما كان الامر بالنسبة للالهة حتحور فيما اسلفنا قوله من انها «ام ابيها اله النور الثور رع وان الإله خنسو هو الذى «والد اباه» (١٠٨).

وفى النهاية فان صورة هاربوكراتس التى تتصل بثالوث اوزيريس المصرى أى الطفل مع الاب ومع الام كما عبد فى مدينة أبيس على بحيرة مريوط و بالذات ثالوث اوزيريس (ابيس) وازيس البقرة حورسخا (المغذية لحورس) ثم حورس الصغير عجيل ابيس (١٠٩).

فالثالوث كما ترى كله عجول مذكر ومؤنث كبير وصغير مما يدل على هذه العلاقة الوثيقة بالعجل كرمز لكل الآلهة الخصيبة من ماء وارض وانتاج اوزيريس وازيس وحورس اى الثالوث الخصيب الازلى اساس ثالوث او مثلث الخلق اروع اشكال الطبيعة الالهية وعماد الحياة عند افلاطون والبيتاجوريين كما سنرى فالثالوث الازلى او الثالوث الاساسى كا متماسكاً فى وحدة قوية لا تنفصم تتمثل فى رمز واحد بشكل واحد لا يختلف هو الثور الحيوان الزراعى على ارض الفلاح ذو النفع الكبير رمز هذه الآلهة النجمية المخصبة التى ترتبط بالشمس الخصبة قلب العالم وعينه المهيمن فى

دورتها الزراعية فالعجل بعلامتيه السماويتين البارزتين ضمن العلامات الاخرى تدل على انتماء الثور الى الفلك الشمسى اما سترابون فلم يذكر هذه العلامات تفصيلا انما

يجمل ذكرها كما هى ظاهريا بسيطة كما سترى وقليلة تزين الوانها ابيس التى تمثلها لوحة صقارة الاعلانية التى اكتشفها الاستاذ الكبير ماريت يعلن بها احد محترفى تفسير الاحلام اليونانيين من القرن الثانى ق.م كما يؤرخها هو اى من العصر البطلمى وجدت بسقارة مرسوم عليها عجل ابيس بألوانه التقليدية كما يقول (الخشاب الحمامات الشفائية) وهذا الرسم بالالوان لعجل ابيس انما يدل على تمثيل صادق صحيح لما كان عليه ابيس بلونه وشكله عموما فانظر ما يذكره سترابون من انه «كما قلت (سترابون) انهم (المصريين) يعتقدون انه (ابيس العجل) اله» «وله معبد فى منفيس و يعتبر كالاله اوزيريس» (١١٠) ثم يذكر الوانه فيقول «جبهته بيضاء و بعض اجزاء صغيرة من جسمة بيضاء ولكن أجزاء أخرى سوداء» (١١١) فان امعنا النظر فيا يقوله سترابون فى وصفه ما كان عليه ابيس من الوان وعلامات وجدنا ذلك مطابقا تماما للرسم الذى يمثل ابيس بألوانه التقليدية على لوحة صقارة وهذه هى العلامات العامة الواضحة فى الاله ابيس فى اعتقادى اما بقية العلامات فقد نلاحظ فى شرحها وتفسير دلالاتها تعقيدات وجهة النظر الدينية لعلماء الفلك وفلاسفة اللاهوت من الكهنة مما يجب ان تتوافر فى الثور كاله فلكى الا ان كل هذه العلامات التى يتحدث عنها الكهنة من الصعب ان تجتمع كلها فى عجيل واحد وكما نفهم من ذكر سترابون فان هذه الالوان التى ذكرها فى العجل كانت الاكثر شيوعا فى لون العجل والتى يختار بها اله جديد اى كما يقول سترابون «بهذه العلامات كانوا يختارون دائما ابيس الجديد الذى يخلف العجل الذى نفق» (١١٢)

وقد كان الامر يقتضى من «أهل العلم» المقدسين الذين توارثوا علمهم عن الاسلاف ان يتحققوا من هذه العلامات ليتعرفوا على الاله الجديد فكانوا يذهبون اليه فى موقع ولادته حيث وضعته امه ذات الحظوة الكبرى عند الاله» (١١٣) كما يقول ايليانوس وانه بناء على «قوانين هرميس الازلية كانوا يبنون له مكانا لاقامته لفترة ما ويجب ان يكون هذا المكان مواجها للشمس اى للشرق ثم يجب ان يكون متسعا بالقدر

الكافي لتقيم معه المرضعات» اى ابقار ترضع العجيل غير امه طبعا-(١١٤) .

فالعجيل «يجب ان يبقى على الرضاعة اربعة اشهر ثم يفطم وعند ظهور القمر الجديد يذهب الوزراء والكهنة لزيارته ثم بعد مضى سنوات يعدون له قاربا مقدسا ينقلونه فيه الى منفيس (١١٥) ويحدد بلينيوس عدد افراد البعثة التى تحضر العجل الى منفيس بمائه واحد وفى منفيس يكون قد أعد «للعجل كل ما يتمتع به من بقرات جميلات ومرعى يمرح فيه و يتسكع ويجرى و يتمرغ فى التراب ثم حظائر لبقراته الجميلات المرضعات (١١٦) ثم بئر عذب يشرب منه فالقائمين عليه يقولون انه ليس مستحسنا من الجهة الصحية ان يشرب باستمرار من ماء النيل» (١١٧) «فشربه المستمر من هذا الماء العذب يسمنه اذ يساعد على تربية وازدياد لحمه (١١٨) .

هذا هو ابيس المقدس ورعايتهم له صحيا وتدليلهم اياه واهتمام اولى الامر من كهنة ووزراء بأخواله ومسكنه مع امه المقدسة ومرضعاته المرفهات عنه من ابقار جميلات وفناء يبرطع فيه كما يحلو له وحظائر صحية الى آخر ما يحظى به من رعاية ومحافظة أليس هو رمز الخصوبة والخير فى الحقل واليست البقرة رمز الخير والرغد فى البيت فانظر كيف كانوا يجلون و يقدسون تلك الحيوانات الخصبة المخصبة النافعة المغذية انه رمز اوزيريس النيل المخصب لازيس الارض السوداء المصرية . انه يدور فى فلك الشمس المهيمنة و يدخل دائرة اوزيريس وازيس وحورس فى ثالوث الخلق المقدس انه بعث لاوزيريس جديد يرمز لخصوبة الوادى وارتفاع النيل فى فيضانه من جديد مع دورة الفصول الزراعية .

فانظر كيف كانوا يحتفلون فى افراحهم بظهور هذا الاله الجديد بين قطعان الابقار فيقيمون الاحتفالات الدينية ويجرون الطقوس والمراسم و يقدمون له الاضاحى و يطلقون افراحهم بهذا وتبدأ أعيادهم مستبشرين بعد حزن على ابيس الذى نفق فاذا بظهور أبيس الجديد يجدد لهم الافراح والبشر والسعادة يرقصون ويجتمعون فى الاجران فرحين مهللين بظهور اله جديد هو بعث اوزيريس فى اساطيرهم وتلك قصة طويلة نكتفى هنا بشهادة ايليانوس اذ يحدثنا مشيرا الى «احتفالات المصريين ومواكب الاعياد وكيف يعم كل مدينة وقرية الفرح والسرور» (١١٩) .

أما ذلك الرجل السعيد المحظوظ الذى وجد الجعيل المقدس فى قطيعة فيعتبر «سعيدا فعلا ومحظوظا كما كانت البقرة الام سعيدة ومرضيها عنها كذلك و ينظر المصريون الى هذا الرجل نظرة اعجاب شديد» (١٢٠).

هكذا يشير ايليانوس الى ملابسات ظهور اله جديد هو ابيس اى احياء ذكرى اوزيريس الابدية مما يعرفنا بحقيقة اهمية ابيس و يصور لنا حجم الجرم الذى اقترفه كل من الحاكمين الفارسيين قمبيز الاول وأوخوس وهو ارتكسركسيس الثالث عندما تجرأ على ذبح عجل ابيس وقد اسماهما المصريون بالسكين تشبيها بالسيف اداة القتل والموت بسبب قسوتهما وغلظة قلوبهما (انظرا فقرة ١١ = ٣٥٥) ثم لغباء ارتكسركسس الثالث (أوخوس) ولؤمه وغلظته اسموه الحمار ايضا (فقرة ٣١ = ٣٦٣) اسوة بست اله الشر وقد غاظة منهم هذه التسمية فرد عليهم بقوله مؤكدا ان هذا الحمار سيحتفل بأكل لحم عجلكم ،وذبح العجل (فقرة ٣١ = ٣٦٣) ونتيجة لذبح ابيس يفقد الكلب ايضا قداسته عند المصريين وخاصة عند عبدة انوبيس فقد كان للكلب فى هذه العبادة منزلة رفيعة ولكنه فقدها وفاز باحتقار المصريين وكرههم له لانه كان الوحيد من بين الحيوانات الذى اكل من لحم ابيس بعد ان ذبحه قمبيز ورماه (فقرة ٤٤ = ٣٦٣).

يبين ذلك مقدار ما يكنه المصريون لابيس من قداسة واحترام كبيرين وما زادهم استفزاز الفرس لهم باحتقار ابيس وقتلة الا تمسكا بعقيدتهم وايمانهم بالعجل واحتقارا للفرس واشمئزازا من جرائهم بتدنيس مقدساتهم مما حدا بالاستاذ دريوتون ان يقول ان اصرار المصريين على عبادة الحيوانات كان تحديا ومقاومة وطنية ضد الفرس وغيرهم من الاجانب

لم يكن مسموحا لعجل ابيس ان يعيش اكثر من مدة معينة يحددها الكهنة كما يقول بلينى (٨/ ٨٠) و يذكر بلوتارخوس ان هذه الفترة كانت مدتها ٢٥ سنة وذلك فى كلامه عن العدد خمسة الذى اذا ضرب فى نفسه كان ضربه مساويا لعدد الحروف الابجدية المصرية ثم مساويا ايضا لعدد السنين التى يعيشها عجل ابيس (١٢١) كما سنرى فيما بعد عند دراسة ثالوث الخلق، ثم فى نهاية هذه الفترة كان يغرق فى بحيرة المعبد وكذلك يقول ايضا بادج فى بحثه Budge ١٨٠ موافقا على

أن أبيس كان مسموحا له أن يعيش لمدة ٢٥ سنة فاذا تعداها دون أن ينفق قتل ودفن في بئر مقدس لا يعلم موقعه الا قليل من ذوى الشأن وهو فى ذلك يعتمد على ما ذكره بلوتارخوس واميانوس (١٢٢) وكان كل ذلك يجرى بين بكاء الكهنة وحزنهم ثم البحث عن عجل يكون خليفة جديدا له كما يروى لنا ذلك بليني فى تاريخه الطبيعي (١٨٤/٨-١٨٥) فيقول «يظل الكهنة على احزانهم هذه وحدادهم عليه ويحلقون رؤوسهم حتى يجدوا الها آخر يحل محل الاول ولم يكونوا يسمحون بالبحث عنه مدة طويلة» (١٢٣). فلا يحدد بليني زمنا زعينا لنهاية حياة ابيس انما يعلق ذلك على قرار الكهنة. أما عن احوال ابيس فيقول بليني أنه كانت تقدم اليه بقرة مرة كل سنة يعنى كل سنة مرة وهذه البقرة تتزين بعلامات خاصة وان لم تكن بنفس زينة ابيس وكان تقليدا أن يبحثوا عنها و يقدمونها اليه يقتلونها فى نفس اليوم (١٨٥/٨) وكان هذا الزواج الترفيهى يقصد به الا يكون لابيس سلالة لا تصلح لخلافته.

أما عن تنبؤات ابيس عما يسأله الناس من امورهم كما يقول بليني وكذلك كما يقول الاستاذ دريوتون بالنسبة لتنبؤات العجول الاخرى مثل ثور «Montu» أمونتون وهيرموثيش فى الكرنك (١٢٤) فبالنسبة لابيس كان اذا دخل احدى مقصورتيه المسماة بغرف النوم المخصصتين لعجل ابيس وكما يذكر سترابون كانت واحدة من هذه الغرف مخصصة لابيس نفسه في فناء المعبد (١٢٥) وامامها فى نفس الفناء مقصورة اخرى خاصة لامه ام ابيس التي ولدته (١٢٦) وقد كانت هاتان الغرفتان مصدر التنبؤات للعامة فالعجل اذا دخل واحدة منهما تفاءل الناس واعتبروا دخوله فيها فألا حسنا وأما اذا دخل الاخرى تشاءم الناس وتوقعوا حدوث احداث مكدرة لهم (١٢٧).

ثم هو يعطى تنبؤاته لما يسألة عنه أحد الشخصيات البارزة الخاصة بأن يأخذ الطعام من يد من يستشيرونه وقد اعرض وازور عن يد الامبراطور جيرمانيكوس الممددة اليه بالطعام. وكان ذلك تنبؤا بموته أو برحيله قريبا من الدنيا» (١٢٨) وكان جيرمانيكوس قد زار مصر عام ٤٩ ق.م وقد اغتاله (Piso بيزو) السورى بعد ذلك بقليل.

أما الشعبي فكان يستمد تنبؤات ابيس ايضا من عبث الصبية الذين يسيرون خلف الثور اثناء نزهاته مع الكهنة المرافقين له فعند كل فرد داخل نفسه فكرة ما يريد أن يعرف مصيره وما قدر له فكانوا يتفاءلون بما يتفوه به الاولاد المرافقون للعجل كما يخبرنا بذلك بلينى (مرتلين اناشيد المديح والتعظيم له) عندما يخرج من صومعته التى يعتزل فيها (١٢٩) وفجأة تنتاب هؤلاء الصبية نوبة تخرجهم عن صوابهم فيهذون فى اناشيدهم بتنبؤات عن اشياء مقبلة (١٣٠) وهكذا كانوا يأخذون من افواه هؤلاء الصبية المتحمسين لابيس تنبؤات عما يضمرون فى نفوسهم من نوايا وعندنا نحن الآن مثل «خذوا فالكم من عيالكم» تماما كما نعرف ايضا نحن فى عصرنا عندما كان الزار والذكر منتشران فينشد المنشدون والمنشدات نشيدهم على ايقاع الدفوف وفجأة تتقمص الجودية (شيخة الزار) روح الجن أو كما كانوا يسمونه أحد (الأسياد) وتهذى هذيانا مصطنعا بكلام فيه وصفة شاء للمريضة نفسيا وكذلك رجال الذكر كانوا يفعلون كما كان يفعل الميناد اليونانيات فى عيد ديونيسوس وهن (مجذوبات) يخرفن اثناء رقصهن حول المذبح المحمل بقناني الخمر و يهذين بتنبؤات وهن سكارى. (١٣١).

ما الدور الهام الذى اشتهر به ايضا ابيس وكما نعرفه عن غيره من الآلهة المصرية اليونانية والرومانية كما سنرى ذلك تفصيلا فهو التنبؤات العلاجية الشفائية للمرضى والتى اكدتها تلك اللوحة التى كشفت عنها الحفريات الا ثرية التى قام بها الاستاذ مريت فى سقارة انها لوحة شفائية تدل على ما كان لابيس من مكانة وقدرة على علاج وشفاء المرضى عن طريق التنويم والاحلام أى ما يسمى بالانكوبانيو أو (incubatio) باللاتينية وكيمسيس Koimesis) باليونانية فى معبد اوزيريس بمنفيس.

أما كراماته فانظر قول بلينى من أنه فى أثناء السبعة ايام التى يحتفل فيها بعيد ميلاد ابيس بمنفيس فان (أحدا من التماسيح لا يهاجم أى فرد من المصريين» (١٣٢) الا أنه «فى اليوم الثامن بعد ايام الاحتفال السبعة و بالتحديد بعد ظهر اليوم تعود الوحشية الى هذا الحيوان -التمساح- (١٣٣).

هذا هو ابيس بلسان كهنة مصر للمؤرخين الذين اتوا مصر لتسجيل التاريخ ولدراسة فلسفتهم ولكن المصريين لم يكونوا يمجدونه الا كرمز للقوة وللخصوبة الارض فجعلوا منه كفلاحين شعارا للالوهية يحيي الأرض بنشاطه وعمله الدؤوب تماما كما النيل اوزيريس ثم هو شعار الملكية عند هؤلاء الفلاحين من ملوك المصريين.

هذا هو ابيس اعرق واشهر الحيوانات المصرية المقدسة وسيدها فى العالم كله ثم هو يمتد فى تقديسه وعبادته الى عصر ما قبل التاريخ اذ صور على الباليتات أى لوحات تستعمل لزينة السيدات من الشيست قبل الاسرات مقدسا بل نجما فى السماء فقد صورت فوقه ايضا لحمة نجوم ثم يسجل التاريخ ابتداء من الاسرة الاولى على الشواهد التاريخية واولها لوحة تارمر ثم بعد ذلك حجر باليرمو من الاسرة الاولى فيذكر ايليانوس اصل عبادة ابيس من عهد مينا اول ملوكها (ملاحظة ٩٥) ولوحته تمثل مينا نفسه مندمجا فى الثور وقد ذكرت اولى الاحتفالات بعيد ابيس على حجر «Palermo» بمتحف القاهرة باليرمو وقد ذاع صيته وانتشرت عبادته فى كل العالم القديم شرقا وغربا واقيمت له المقصورات ملحقة بالمعابد الهامة فى مصر القديمة كلها واتخذه الاباطرة الطموحون وسيلة لنشر نظرية الحق الالهى فى عالمهم الامبراطورى الرومانى كما اتخذ ايضا هؤلاء الرومان ابو الهول «Hor-em-akhet الإله» اى هور إم أخت أبو الهول يعنى باليونانية الاندروسفنكس اى الاسد ذو الرأس الآدمية وسيلة أخرى لهذا الحق الإلهى فاندماج آمون فى الامبراطور كان اعلانا لهذا الحق الالهى امام شعوبهم فى بلادهم وكذلك فعل المكسوس الاجانب فى مصر عندما مثلوا بجسم الاسد رمز الشمس (أمون) أما شهرة ابيس كرمز للقوة الخارقة فقد أطالت فترة وجوده بيننا حتى الآن فى عالمنا الحديث فى اسبانيا فقوة ابيس الجسدية وفحولته الجنسية واعجاب الناس وتقديسهم له وعراقة وجودة جعل الناس يعجبون بالثور ايا كان عندهم أو عند غيرهم ولا يفرقون بينها وبين ابيس المصرى فأكرموا الثيران عندهم واحاطوها برعايتهم كما فعلوا بعجل مثرا واتخذوا من اسلوب مثرا فى ذبح الثور فى عبادات الفرس مدخلا لهم الى مصارعة

الثيران حتى الآن وكذلك كان الامر فى جزيرة كريت فيما بعد وقد انتشرت عبادة مثرا الفارسية وعرفها الناس من احتكاك الجيوش الرومانية مع الفرس فى حروبهم معهم ومن هنا اختلطت عبادة ابيس المصرية المعروفة لديهم بعبادة مثرا الفارسية وتقاليدها هذه العبادة التى يخطف أو يسرق مثرا الثور من حظيرته و يركبه الى كهفه (١٣٤) (bouklopp) كما يفعل الرعاة و يذبحه بامر الاله اى الشمس فتونع الدنيا بهذه الضحية كما الربيع وتخضر الارض و يسبب تناسخ الارواح (النحل) (ملاحظة ١٣٠/٨٦) فيطلقها من اماكنها لتدخل دائرة مجال الحياة منذ وجود العالم ولكننا لا نرى نحلا تخرج من العجل بل هو دمه وسنابل القمح المغذية فى طرف ذيله هى كل ما نرى (٣٠ ص ٨٦) دليلا على انبعاث الحياة فى الكون و يزيد الانتاج الزراعى و يكون لحم الثور شفاء للعابدين ودمه حياة لهم وتطهيرا و بعثا روحيا جديدا فهو اذا ما أكل كان قوة أنه رمز البركة وسبب الرخاء والوفرة ودمه شفاء وحياة تماما كما يفعل المصريون بعجل ابيس ضحيتهم الكبرى تمثيلا بأوزيريس المخصب أو الشمس رمز الماء والخصوبة والنماء يخصب الارض بمائه فيكون زواجه بازيس الارض فينتج القمح والثمار المختلفة فانظر قول ايليانوس (١٣٥) فى اختلاف الوان ابيس وتفسير المصريين لهذه الالوان المختلفة أن «هذا الاختلاف اشارة خفية ترمز الى اختلاف المحاصيل» وهذا وفاق تماما لما يظنه الفلاسفة الفلكيون من أن مثرا ذابح الثور يقف وظهره الى برج الكبش عندما تدخل الشمس نصف الكرة الشمالى فى السماء فيكون الاعتدال الربيعى فلما أن تدخل الشمس فى برج الكبش (ملاحظة ١٣٠ ص ٨٥) تزدهر الدنيا فى الربيع وتتعدد الوان الثمار وتغطى النضرة الدنيا وتونع الزهور وتتفتح فتبدو يانعة فى الربيع كما ستذكر ثم كما يحدث فى وادى النيل من ازدهار الارض المنبسطة بالوان ثمارها ففى مصر هذا هو اكتمال الثالوث الازلى الماء والارض والانتاج أو الخلق كما سنرى أما اذا مثل اوزيريس بالحبوب فيعتبر دفنه فى الارض ضحية كبرى فزواجه على هذا الوضع من الارض فناء وتحلل له و بعد ذلك بعثا للحياة له جديد فى القمح الجديد فى سنابله واعادة خلق للكون فيما يسمى بحورس اى الحياة المتجددة فى صورة نباتية رمز للبعث البشرى.

وهكذا يظهر تأثير العجل المصرى ابيس فى روما واختلاطه براسم عجل مثرا (ذابح الثور) (١٣٦) فمثرا كما يقول كونراد اله رعوى خصب وفى التقاليد المزدو ية يظهر جليا انتماء الثور الى اله الشمس فلكيا ودينيا وهو الاله الخصب وتلك عقيدة كانت عامة فى الدنيا القديمة فكان مثرا الفارسى ديميورجا باعثا للحياة والوفرة والبركة والثمار للارض وللحيوان وللنساء فذبحه الثور له صلة بالبعث الربيعى للدنيا وتجدد العالم فى آخر الايام (ملاحظة ١٣٠ ص ٨٥) وواهب الصحة ومساعد على تناسخ الارواح والحياة المباركة والثروة والنور والحقيقة والحكمة و بصفاته هذه فمثرا دائما فى نزاع مع اله الشر وهكذا استمد الاولون البدائيون زراعا ورعاة من الثور الاله كل القيم التى هى سعادة البشر وهذه هى خلفية عقائد الرعاة فى رعيهم وتقديسهم للعجل أيا كان يرون فيه الخير.

وعلى لوحات مثرا اى ما يسمى بالمثرائا «Mithraea» المتعددة ذات الحفر البارز ترى مثرا بعد صراع ومخاطرات مع عجل متوحش ينزل عليه الامر من اله اصله وليد الخير انه رمز اله النور الذى يعبر عنه بلوتارخوس الاله الخفى الذى لا يسمع ولا يرى ولكنه ملء السماوات والارض، ينزل على مثرا امرا من اله الخير بذبح الثور و بعد تردد (ملاحظة ١٣٢ ص ١٤٥) وهذا التردد كما سنرى عند اليونان امر شائع ايضا يتنصلون، من جز يرة التضحية بهذا الثور النافع لهم جميعا كما كان عند المصريين القدامى فيما كانوا يسمونه بالضحية الكبرى كما سنرى بعد قليل فليس من السهل الاقدام على القضاء على حيوان نافع هو سيد الحيوانات المقدسة وانفعها وأجملها واقواها.

ثم يوقن مثرا كما يقول الاستاذ Conrad كونراد بضرورة تنفيذ امر السماء فحكمة ذلك الامر ان الثور اله فدو عظيم لصالح الحياة البشرية والكون جميعا واخيرا يصرع مثرا العجل ارضا و يضع ساقة على صدره و يضغط بركبته عليه وقد امسك بخشمه وذبحه بسكين متجها الى السماء ببصره يشهدها على الخضوع لامرها وتنفيذ وصيتها اليه فيصبح هو الشمس المنتصرة اى «aniketos» ذابح العجل بتضحيته لابيه و يكون خالقا باعثا للحياة من جديد اى ديميورج يجدد نبض العالم فى حياته فى آخر الايام بعد شتاء يابس واما الثور فتصعد روحه الى السماء

فى حمى كلب مثرا و يصبح بذلك الاله Silvanus سلفانوس حامى القطعان (ملاحظة ١٣٢ ص ٨٥).

تلك كانت نظرة البدائيين من وراء ذبح الثور والتضحية به فى سبيل سعادة وجودهم ولكن علاقة الثور واتصاله بعبادة كل الآلهة المخصبة فى العالم فى مصر كروح اوزيريس و بتاح وجميع آلهة الانتاج والخصوبة فى العالم جعلت ذبحه تضحية كبرى لها رهبة تهز قلوب الناس ومشاعرهم فهو عندهم رمز الحياة حتى اننا نجدهم فى اليونان يخترعون المواقف الدرامية يتنصلون بها ارضاء لشعورهم الوهمى من جريرة ذبحه فكما يظن و يتخيل الاستاذ كونراد فيما ذكرنا ان مثرا وهو الاله الباعث يبدو مترددا فى ذبح الثور ثم يذعن لامر اله النور العلى فيذبحه وهو ناظر الى السماء يشهده على تنفيذ ما اوصى به اليه ثم نجدهم فى اليونان والثور عندهم روح وتجسيد ديونيسوس الاله الاكبر اله الخصوبة وهو فى مصر اوزيريس الاله النيل المخصب:

والثور عند اليونان ايضا يمثل الماء والانهار الجارية فى قوة اندفاعها وصوت الماء ذى التيار الجارف فيها فالثور عند القدماء ذو قوة خارقة سحرية وخصوبة جنسية وفحولة عارمة غير عادية ففى اعياد اليونان الدينية للتضحية بالثور يجرى مراسم تشبه الى حد ما مراسم ثور مثرا الطقسية واول ما نلاحظه فى ذلك محاولة التنصل من جريرة قتل الثور فتقوم بعد التضحية محاكم صورية لتحديد على من تقع مسئولية ذبح هذا الحيوان المقدس فى احتفال ديوبوليا فيبرأ كل شخص من العابدين فى هذا الجمع الدينى و يقع عقاب هذا الذنب على السكين التى قطعت حنجرة العجل وهكذا كما ترى فى اسلوب مثرا فى هذه التضحية انه يشهد السماء على انه ينفذ وحى الاله الاكبر. ففى الحالتين لا يريد احد ما ان يقع عليه وزر قتل الثور المقدس ومن ضمن الاحتفالات الدينية فى عبادة زيوس فى اثينا يقام احتفال ديوبوليا Ceopoleia وأهم مراسم هذا الاحتفال أن يذبحوا ثورا كما فى مثرا و يسمون ذلك بوفونيا (bouphonia) اى ذبح الثور فيقيم العابدون فى ساحة الاحتفال مذبحا من النحاس و يضعون عليه فطائر وفولا وقمحا ثم يأتون بعدد من العجول المنتقاه يطلقونها فى ساحة الاحتفال والثور الذى يقترب من المذبح و يبدأ فى أكل ما عليه يكون قد اختار لنفسه ان يكون الضحية

فيفصلونه عن بقية الثيران ويحيط به جماعة العابدين لتكريم الاله الاكبر الثور (زيوس اب ديونيسوس)، ومن بين هذه الجماعةفتيات جيلات يدعون حاملات المياة) فهن اللاتي يحضرن الماء ثم يوجد فى تلك الجماعة ايضا رجال يكلفون بشحذ البلطة والسكين ثم يقوم احدهم بتقديم البلطة الى رجل يسمونه (ذابح الثور) فيضرب بها الثور ضربة مميتة ثم يترك البلطة بجوار المذبح ويهرب الى خارج ساحة الاحتفال فيأخذ رجل آخر سكينا يقطع بها رقبة الثور ثم يقومون بسلخ الثور و يفرق لحمه على العابدين كلهم. يأكلونه نيئا ثم يحشون جلد الثور بالقش و يوقفونه على ارجله و يضعون على رقبته ناف المحراث كمهمته فى خدمة الارض فى حياته وقد يشبه هذا تماما فى مغزاه تحنيط العجل بعد موته واستمرار دوره فى احياء الارض وانباتها كما كان يحدث لاوزيريس بعد ان تمتصه الارض ماء او حبا فينبعث منها نباتا جديداكحورس ومز الحياة المتجددة كما يذكر بلوتارخوس فكرة رمزية للبعث البشرى.

وفى .فارس تجد نفس الفكرة من ذبح ثور مترا هو الخصوبة وانتشار الرخاء واحياء الدنيا وهذا الخير وتلك النتيجة يجعل منه اى مترا وثوره رمزا خير و بركة ومقاومة الشر مما يثير الاله عدو الخير فيرسل بحيواناته المؤذية للقضاء على مكامن الحياة فى العجل ولكن ذلك لا يؤثر فى العجل او يعوق من استمراره فى دوره بعد الحياة كما يتصورها المصريون ـ كأوزيريس ابيس Osirapis فى عالم ما بعد الحياة وصوروه على أحد التوابيت عجلا يحمل جثة الى العالم السفلى حيث تتجدد الحياة (ملاحظة ١٣٦ ص ٨١) يبدو هذا انه نفس دور ثور مترا الذى يسبب تناسخ الارواح و يدفعها الى دائرة الكون الحيوية الى الميتاتسوماتوز «Metensomatose» اى التناسخ فيحنطون العجل فى مصر بعد ذبحه و بعد ان يأخذوا جانبا من لحمه يأكله الملك فيشتد و يتجدد نشاطه و يشرب من دمه فيرتد اليه شبابه و باقى هذه الاضحية الكبرى يدفن فى قدسية وهكذا كان ثور مترا عظيما مقدسا ايضا فبعد ذبحه تصعد روحه الى السماء فى حى كلب مترا و يقدس فيها فيصبح نجم Silvanus سلفانوس راعى المواشى وحاميها (١٣٦ ص ١٤٩).

وكما رأينا وجهة النظر اليونانية بأن يحشو جلد العجل بالقش بعد سلخه واكل

لحمه نيئا ففيه قوة سحرية خارقة خلاقة تبعث فيهم من قوته وحيويته التى لا حد لها قوة ونشاطا وشبابا فيهم ثم يحشون جلده وكأنه حيا لم يمت و يعلقون المحراث فى رقبته فعمل الثور عندهم مصدرا للحياة والرزق الزراعى ودوره فى ذلك خالد ما وجد العجل فى الدنيا كما كان عند المصريين والآريين الرعاة وهذا دور العجل الازلى فى الشرق الأوسط وحوض البحر الابيض.

وبعد الانتهاء من عملية البوفونيا « Bouphonia » اى ذبح العجل أو ما يمكن ان نسميه باغتيال العجل والهرب من مكان ذبحه والتنصل من هذه الجريمة تقوم محاكمة صورية فاحد لم يتسبب فى ان يصل الثور الى هذا المصير بل هو الذى اتجه بنفسه الى قدره هذا باقترابه واكله مما وجد على المذبح ثم ان الذى ضربه بالبلطة غائب فقد هرب من الساحة واختفى عن مكان الاحتفال وتبرأ بذلك البلطة من هذا الجرم ثم توجه التهمة الى حاملات المياه فتسرعن بدورهن بالقاء اللوم على من يشحذ السكين و يدفع هذه التهمة عن نفسه و يتهم من قدم السكين لذبح العجل وهذا بدلا من أن يلقى الاتهام على من ضرب الثور بالبلطة يلوم الذى قطع حنجرة العجل وهذا بدوره يتهم السكين وهى التى لا تملك كلاما تدفع به عن نفسها هذه التهمة فتدان و يقضى عليها ان تلقى فى البحر عقابا لها على ذبح العجل المقدس (ملاحظة ١٣٦/١٣٨).

انهم ليسوا كمثرا الديميورج يذبح العجل بامر اله النور ويهب هو الحياة مرة أخرى فهم فى اليونان يعدون ذلك جرما فالعجل لم يذبح بل يبدو كما لو كان قد اغتيل فقدسيته توحى بالخوف. من ذبحه والتضحية به ويحاول ذابحوه دفع تهمة ذبحه عن انفسهم انه ضحية كبرى يخافونها لحبهم له ولكن مثرا نفسه ديميورج يذبح الثور بأمر الأله الاول.

انه نفس دور ثور مثرا الذى يبعث الحياة فى الربيع فتخصب الارض وتخضر بماء المطر وتنتعش وتزدهر فذبح الثور كما يفعل مثرا وكما يفعلون فى مصر من أيام ما قبل التاريخ وفى اليونان وارض الجزيرة وعند الساميين وفى الشرق الاوسط ضحية كبرى والتضحية به تضحية بمصدر هام لحياة البشر ولكن ليس ذلك جرما يطغى الشعور به على فاعليه فلقد ظلت اثينا كما يقول كونراد (١٣٦/١٣٨) طلت اثينا الف سنة تحتفل

بالعيد الديني Deopoleia الديوبوليا فى وقت قمة الجاف كل عام و يضحي الاثينيون، بالعجل رمز الخصوبة الازلي معتقدين انه تجسيد ز يوس الاب ملك السماء ومرهل المطر وهذا ما يفعله الساميون وفى كل مناخ يعتمد على المطر وانهم بذبحهم الثور فى هذا العيد يرجون ز يوس و يتوسلون اليه ان ينزل عليهم المطر فيخصب الارض فى هذه الفترة القاسية من السنة فالرطوبة هى الحياة (١٣٦/١٣٨) عند المصريين واليونانين والارين كما عند الساميين والعالم اجمع قديمة وحديثه فللثور اذن مكانة خاصة وتقديس عظيم له حتى أن زيوس يمثل وعلى رأسه قرنان فهو عنبدهم ثور السماء كما كان رع ثور السماء فى مصر ومن أكل لحمه أمتص جسمه قوة العجل وحيويته وفحولته الجنسية الخلاقة ولاسيما وان الثور شيء هام حدا فهو بالنسبة للفقير كالعبد عند الغني وسوء تربة اليونان وشح ارضها وقلة رزقها يجعل للثور عندهم نفعا عظيما فيحصلون بخدماته وقوة احتماله من الارض على ا كبر قدر واوفر محصول يستعينون به على الحياة كما يفعلون بالتسبة للجدى المقدس عندهم و يستغلونه كما يفعلون بالبحر الذى يعيشون عليه و يقدسونه كمورد رزق بجزره المتعددة وجعلهم مواطنين عالميين فى العالم اجمع. وقرون الثور التى تتركز فيها قوته والتى تز ين مع جبهة الثور كما فى اسبانيا واجهات المعابد ولها ايضا قوة سحرية تدفع الشر وتبعده وتوحى بالقوة والشجاعة وارهاب الاعداء. ولذا فقد تز ينت بقرون الثور رؤوس الآلهة والابطال والمحاربين كذلك فان قرن الثور رمز للبركة والوفرة كخصوبة الثور ووفرة انتاجة الحيوانى والزراعى «Cornu-copiae» وهى رمز الحياة كعلامة عنخ عبد المصريين القدماء وذلك لان الثور (ابيس) يحمل علامة تدل على موعد الفيضان الذى هو حياة المحاصيل والمصريين جميعا بالاضافة الى ان كونراد (٧٦) يعطينا تفسيرا لعلامة عنخ هذه اذ يرى أن هذه العلامة مكونة من عضو تذكير الرجل المسمى بالهندية «Linga» والرحم اى بالهندية يونى «yoni» تماما كالحربة ذات الثلاث شعب بشكل عضو تذكير الرجل عندهم علامة الانتاج الجنسى الهائل للإله «Shiva» أى الاله الثور الكامنة فى الثور نفسه (٧٦) وهذا الاله الثور الهندى كما تقول الخرافة ينبع من رأسه نهر الجانج الهندى

Gange وهذا تماما كما فى تقليد مصر واندماج أوزيريس النيل بأبيس وهذا القرن الذى يرمز الى البركة والرخاء والوفرة كثيرا ما نجده على الانواط الذهبية والفضية التى تضرب لمناسبة تألية الحكام مثل عملة ارسنوى فيلا دلفوس الذهبية والفضية التى اخرجت لمناسبة تأليها بعد موتها ثم نجده على النقود ايضا فى يد الالهة والآلهات وخصوصا مع اله النيل الممثل على عملة الاسكندرية الامبراطورية فى الثلاثة قرون الاول الميلادية أما عند اليونان فقرن الوفرة كان قرنا للعنز امالثيا «Amalthia» التى كانت ترضع الاله زيوس ثور السماء ومرسل المطر ايضا ثم اصبح القرن ينطبق على كل ما يشبهه حتى قرنى هلال القمر الذى هو ايضا ثور السماء ذو الاخصاب المهيمن على كل انتاج وكذلك مثل حورس حاملا قرن البركة ايضا.

وهكذا فقد تجمعت فى الثور كل مراسم احتفالات الاخصاب فى العبادات المختلفة فقامت الصلة بين الثور والاله مين «Min» (الاله الثور مين).

ففحولة الثور وقدرته على النسل تشهد بها فى مصر آثار كثيرة ففى طيبة اكتشفت فى مقبرة جثة سيدة محنط معها عضو تذكير الثور وقد كان ذلك ايضا دور زهرة اللوتس السحرى لشفاء العقم باستحمام النساء فى بحيرات ينمو فيها اللوتس فقد وجدت جثة سيدة فى مقبرة بين فخذيها زهرة اللوتس (ملاحظة ١٩٧٣/٥٤).

وقد شهد وأيد دور الثور فى الشفاء من العقم ووفرة النسل عند النساء المؤرخون القدامى ايليانوس وغيره فيما ذكرنا اذ رووا ان الكهنة كانوا يسمحون بمثول النساء عاريات امام عجيل ابيس مدة وجوده لاربعين يوما فى معبد النيل قبل وصوله الى منفيس كما ذكرنا فرمزية القوة الخارقة لثور الاله وقدرته الجنسية الهائلة كانت مع صفة الالوهية اى التعبد او العبادة رابطتان تجمع الملك بالثور فى ثالوث الحق الالهى الذى يتمثل فى الملك الفلاح ملك الرعويين الاول فى مصر القديمة منذ فجر التاريخ اى الملك والثور والاله فبما ان الملك هو الثور فهو ايضا اله وهذا هو الحق الالهى الذى استمد منه الاسكندر الاكبر حكمه الالهى من مصر القديمه هدم الاضاحى بعجل ابيس ارضاء للمصريين وارضاء لطموحه أن يكون كوزموكرايطا اى حاكما عالميا مهيمنا على هذا العالم القديم.

فمصر منذ آلاف السنين كان للملوك فيها وضع الآلهة بين المصريين وكانوا أى الملوك يوصفون و يتمثلون بالثيران فالملك الثور كان رمزا للقوة والحيوية الخلاقة والاخصاب والخير تماما كالثور روح اوزيريس الحية (النيل) وهذا الجبروت اذا وجد وجدت معه الالوهية والملكية مما ادى الى التكوين الثلاثى الثور الاله الملك وفى ذلك يرى كونراد (١٣٦/ ٧٢) أساس الحضارة المصرية منذ الدولة الاولى وتلك نظرية صائبة تماما.

وذلك أيضا اساس تمثيل ابو الهول اى الاندروسفنكس «Androsphinx» أى الاسد برأس انسان فالاسد مثل الثور رمز للشمس والقوة الخلاقة ففى مصر كما يخبرنا بلوتارخوس الشمس عند اول اتصالها ببرج الاسد «Leo» ليو تظهر نجمة ازيس صموثيس اى نجمة الكلب سيريوس اليونانية باعثة الفيضان بعطره (بلوتارخوس فقرة ٣٨/ ٣٦٦ أ) و يرى فى ذلك الاستاذ Leeb سببا لتزين ابواب المعابد برأس الاسد رمزا لفيضان النيل الخلاق ولذا فان اندماج الاسد رمز آمون بالملك يعادل التكوين الثلاثى الثور الاله الملك أو ثالوث الحق الالهى لفرعون مصر وحاكمها الذى اتخذه الاسكندر وغيره من الاباطرة الاجانب الذين وصفوا انفسهم بالثيران متخذين الآلهة المصرية حجة لاقناع شعوبهم بقبول نظرية الحق الالهى او الحكم الثيوقراطى وكان ذلك ايضا سببا فى عملهم على انتشار الديانة المصرية فى امبراطورياتهم.

وكان من اندماج الثور وتمثيله لكل الهة الخصوبة أن تجمعت فيه وقامت به الاحتفالات التى تقام للاله مين كما ذكرنا ممثلا للاله المخصب الاكبر وهو ثور هو الآخر .فكان يتحرك موكب كبير فى عيد الحقول على رأسة العجل الابيض والملكة والملك تتبعهم اعلام وتماثيل الالهة ثم تمثال للاله العجل يحمله الكهنة على اكتافهم فاذا وصل الموكب الى نهايته يقدم الملك بعض النباتات للعجل وربما كان ذلك اعترافا للعجل بفضله لموسم وافر النتاج ثم يجتمع الملك بالملكة اجتماع تزاوج رمزا للانتاج فالملك هو ثور الملكة المخصب الاكبر وهو اب الحياة وواهبها (١٣٦/ ٨٥) كالنيل الثور ايضا ، فالحياة فى الحقل وعند البشر ثم البعث تتمثل فى النيل الذى يتضاءل الى اقل مستوى ثم يرد. اليه ماؤه بانتظام مرة كل عام فيفيض على الدنيا بالحياة والرزق

وكـذلك رع الشمس ثور السماء التي تغرب وتعود يوميا من المشرق جديدة المولد صباحا فيـدب نورها وتنبعث الحياة حرارة وقوة و يصحو الناس في القرى والحقول ببعث آخر يوحي عـملا وفكرا وانتاجا اى حورس ثور السماء الذى هو «زوج لامه التي تلده مرة أخرى» ولـذا سـمـى «عـجل امه التي تحمل منه وفيه امه» و يعلق كونراد على ذلك (مـلاحظة ١٣٦/٨٦) بأن هذا الشذوذ بمضاجعة الامهات والاخوات والبنات انما هو عـدم شـرعية دنيو ية كان انعكاسا واضحا في التقاليد الملكية من اول العصور الى آخر عصر البطالمة في مصر وكـان ايضا ساريا بين حكام الاقاليم المصرية فكان زواج الاخ من اخته «حـفـظ لـدم اولاد الشمس» الملكي الالهي، ولكن ذلك كان على خلاف مـبـدأ الـوحدانية التي لاتـنفصم عراها والتي هي اساس ثالوث السماء، غير الزواج الدنيوى تماما.

وهـكـذا كـان عـجـل ابيس من وجهة النظر الدينية يؤكد البعث والحياة الجديدة مـصـحـوبـا بـعبادة وتقديس الخضرة واخضرار الارض الدورى اى الزراعة التي يحييها اوزيريس الـذى نـشـأت عـنـه عـبـادة . سرابيس في العصر المتأخر فكان ذلك في نظر المصرى القديم ولادة وحياة للزرع والحيوان والنيل والشمس وللملك جديدة و بعثا وكل ذلك من الاسرار التي . يمكن تفسيرها من ناحية قوة الثور الخلاقة الهائلة ثم يقول كونراد ان هناك وحدة أساسية تجمع الحياة والموت ثم الحياة مرة اخرى اى البعث هي دوائـر قوى كبرى في مصر الشمس والملك والنيل والزرع والماشية فكل واحدة فيها قوة قـابلـة للموت ولكن قوة الثور الجنسية تحفظ دائما حياة الماشية وتزيد في تنمية القطعان رغـم تـعرضها للذبح والهلاك فالمخصب الاكبر واهم نموذج للاخصاب هو الثور فكان ابيس هو الذى يمثل هذا العجل المخصب كاله النيل مخصب الارض وواهب الحياة الذى يولد بنفسه كالشمس والليل في دوران الشمس اللانهائي يوميا وعلى مدار السنه الـزراعـيـة. و يـقـول كـونـراد انـه في كـل صـبـاح عند الفجر أى اللحظة التي يسميها المـصـريون «ساعة العمل» في هذه الساعة عند الفلاح المصرى كان الاعتقاد السائد ان بعثا جـديـدا يـكـاد يـظهر بشكل ما من انتاج فحولة العجل ومن قوته الخلاقة في الـعـمـل وتـلـك عـقـيـدة بـاقية الى الآن من عبادة الشمس واستقبال الشروق بالامل والنشاط الجاد في العمل والاستبشار بـدورة حياة يومية بانجاز اعمال الحقل وكان ذلك

بطبيعة الحال مرتبطا بعبادة العجل الذى يمس القوة الخارقة النفذة والذى ارتبط كما عرفه الناس بعبادة اوزيريس النيل الخلاق اله المواسم الزراعية الدورية التي اوجدت عبادة سرابيس في العصر البطلمي فكان المصريون يتمثلون في العجل القوة الهائلة في الانتاج الزراعي واخصاب الارض بالجهد الشاق وكان القاسم المشترك الذى يرون فيه دورة الشمس والنيل و بعث الملك والنبات والحيوان فالكل ثور ومن ابنائه وهو ممثل لهم جميعا وواهب الحياة لهم.

فانظر الى مثرا الاله الشمسي الفارسي الذى يذبح الثور فدوا عظما يذهب به الجفاف، وتخضر الارض وتونع الازهار وتثمر الزراعة وتلد القطعان و يذهب العقم عن الناس ويحل ربيع مزدهر يحل فيه الرخاء كما عجل ابيس الذى يفتدى به فاذا هو الضحية الكبرى والذبح العظيم كاوزيريس الذى تمتصه الارض ازيس ماء أو حبوبا فيفني فيها فاذا به يبعث قمحا جديدا ونباتا اخضر فيه حياة للناس ورزق لهم، كما نجده مثلا في آخر ذيل عجل مثرا وهذا شبه كبير بين الضحيتين في مصر وفارس فما أشد أثر تلك التقاليد المصرية على غيرها في منطقة الشرق الاوسط وتلك معجزة عند المشتغلين بالارض أساسها قوة الثور الذى يذبحه مثرا مستلهما أمر السماء بذلك فاذا ما أرسل اله الشر رسله للقضاء على مكامن الحياة في الثور لا يؤثر فيه ولا تنال منه انها معجزة البقاء الدائم في عجل مثرا وابيس بعد ذبحه كما كان يحاول المصريون بتحنيطهم الثور الابقاء على ابيس بعد موته او التضحية به ليصير في الحياة الثانية اوزيرابيس .. وهكذا كانوا يتمنون له الدوام بحيويته و بجبروته الذى لا يكل عند المصريين وعند الرعاة من الفرس والذى تنبت من جسم الثور و بدمه وكل النباتات التي يجد فيها الناس نفعا كثيرا فمن عموده الفقرى عند طرف ذيله تنبت سنابل القمح اساس حياة الانسان.

أليست هذه صورة تامة لعبادة وعقيدة مصر في العجل الذى هو قاسم مشترك اعظم في عقيدة الرعاة والمشتغلين بالارض في العالم كله ثم ترتفع روح العجل الى السماء يحميها كلب مثرا «Psychopompos» اى قائد الارواح ثم يكرم في السماء كأبيس الايدى عندما يصير اوزيرابيس فيصبح ثور مثرا سيلفانوس «Silvanos» حامي الماشية والغاب كما هو عند الاسبانيين

بخاصة.

فحب الناس للعجل وتدليلهم المستأنس منه كما يفعل هواة الخيل الذين يرون فى وجود الخيل فى بيوتهم عزا وعظمة اما الرعاة والمزارعون عندم الثور يرو فيه الخير والبركة والرخاء ولقوته الى لا حد لها يعتبرون الانتصار عليه عظمة وشجاعة ما بعدها شجاعة وفى ذلك مجال يظهرون فيه بطولات مدو ية فى اصطياد المتوحش من الثيران واستئناسها وترو يضها بركوبها فى براريهم و يتفاخرون بشجاعتهم فى مصارعة الثور والانتصار عليه أنه عندهم رمز لكل ما هو حسن وجميل وشر ايضا ثم يظهر ابيس فى العالم العربى بعرافته وما يتمثله به المصريون من قداسة حتى لينتسبون اليه ابناء وذرية ثم تدخل الى هذا العالم عبادة أخرى للثور مشابهة لابيس هى عبادة مثرا الفارسى بطقوسها ذبح الثور بعد اصطياده أو سرقته من حظيرته ثم مصارعته وذبحه بأمر اله الشمس فهذا الحيوان فى تلك الطقوس الفارسية رمزا الخير والرخاء وذبحه هو انطلاق للخير وللرخفاء فيأتى الر بيع و يعم الخير و يكثر الرزق بحلول هذا الر بيع الاخضر اليانع.

فيتطور اعتزاز الرعاة للعجل وتمشى تقاليدهم مع تقاليد دينية واردة من مصر وفارس فيكون اصطياد العجل ومصارعته فى المدرجات ثم يتخدون من ذلك ملهاة يتسلون بها كما كان قديما و يتفاخرون بالانتصار عليه اسوة بمثرا «مصارع الثور الالهى» الذى بقدم «الفدو الكبير» وهكذا يرى هيرمان استمرار عجل ابيس فى اسبانيا فى مصارعة الثور «Toto » كما قدمنا فتنتشر مصارعة الثيران واذا بهم فى الحروب يطلقون الثيران المتوحشة كالفيلة فى الهند فى هجومهم قوة لا قبل لاعدائهم بها.

كانت غريزة قوة العجل الانتاجية نسلا وعملا فى الارض ونفعه للناس جميعا هى الرؤية الصحيحة للواقع الملموس كما نراه تحن الآن وخاصة فى الاوساط الزراعية وانتاج اللحوم خاصة عندنا رغم ميكنة وسائل الزراعة الحديثة كانت كل هذه الصفات عند الاسبان فى مراعيهم التى ترتع فيها الابقار قديما كما كانت ايضا عند المصريين فى مراعيهم خاصة فى سخا بكفر الشيخ وهى عاصمة الاقليم السادس فى

الوجه البحرى قديما فى العصر اليونانى الرومانى، هذه الغرائز كانت معروفة وكانت سببا فى تقدير العجل والاعجاب به والاهتمام العظيم الذى يولونه العجل والابقار عامة مما ادخله فى عقائدهم وذهب فيه الناس - يعا فى الغرب واعجبوا به وتهافتوا على مجالات عرضة فى الالعاب والمصارعة حتى انه دخل عنصرا مميزات له مكانة خاصة فى فنونهم الرفيعة كالباروك فتمثلت مقصورة ابيس فى هذا الفن الرائع بشكل مذبح دلالة مصرية أبيس العجل المقدس الدينى وقد اعترض الاستاذ هيرمان Hermann فى هذه العصور المسيحيه على ذلك بقوله ان هذا التشكيل لمقصورة ابيس لا معنى له وذلك صحيح بالنسبة لوجهة النظر المسيحية ولكننا لا نجد فى هذا التكوين لمقصورة أبيس مساسا بالمسيحية اذ انها قد شكلت على غرار تمثيل ابيس المقدس وامامه المذبح الذى نجده وتراه بكثرة ممثلا على النقود اليونانية الرومانية اى نقود الاسكندر المضروبة خاصة بمصر فى الاسكندرية على مدى الثلاثة قرون الأولى الميلادية وهى نقود وثنية ثم ايضا مثل هذا المذبح اما ابيس على النقود

الرومانية التى ضربت خارج مصر فى روما وغيرها من المدن التى بها مضارب للعملة الامبراطورية فى عصور الردة عن المسيحية بعد انتشارها وهذا من الوجهة التاريخية دليل على مصرية الثور واصله الدينى وصدق تصور ذلك فى الباروك.

أما أن هيرمان يعيب على عائلة يورجيا الاسبانية تقديسها للعجل بالتبعية لانها عائلة دينية بابوية فيها البابا الاسكندر الرابع Hochschätzung بالذات كما سنفصل ذلك فا وصفه هيرمان بانه تقديس Hochschätzung ليس الا اعجابا واعزازا وشغفا عظيما بالعجل كاهتمام الهواه بما يهوون كرمز للقوة التى تفوق شجاعة الآلهة قديما والبشر الذين يقاومونه بعد أن دخلت التقاليد فى اللعبة الشعبية بعيدة كل البعد عن اصولها الدينية القديمة . تماما كما نرى الآن بين الناس وقديما جدا فى اليونان من مصارعة الديكة وشغف الناس بهذه المصارعة حتى لقد استغل ثميستوكليس «Themistokles» هذا العراك بين الديكة فى استثارة حماس وشجاعة مواطنيه ضد الفرس قبل معركة سلامين محرضا اياهم أن يقلدوا هذه الديكة للدفاع عن حريتهم فى اصرارها على الاقتتال لمجرد لذة الانتصار

وكانت اقوال ثميستوكليس هذه سببا فى اقامة حلبات مصارعة الديكة كل عام فى ساح ثياترون (مسرح) اثينا على حساب الدولة ليتعلم منها الشباب كيف يكافحون حتى النهاية (١٣٧) كما يقولون فلم يكن فى ذلك الشغف والهواية التى سجلتها اليونان على نقودهم بهذا النوع من المصارعة أى مغزى أو دافع دينى.

لم يكن الثور فى مصر فقط ذا معنى عظيم ورمزا ساميا بل كذلك كان خارج مصر معبودا مشتركا اعظم فى دنيا الزراعة والرعى بين البدائيين فاليك ثور مينوس ملك جزيرة كريت المسمى مينوثوروس (Minotauros) ثور كريت المعروف وكيف كانت عبادته هامة جدا شهدت بها كثرة صور صراعة ومكان حظيرته التى يقيم بها (اللابيرنثوس Labyrinthos) وقد فاضت بكل هذا النصوص الادبية والاشعار الدينية وكانت الاضاحى التى تقدم لهذا العجل الخرافى كلها من البشر ثم أن الثور رغم مكانته الجليلة بين الناس فى كل مكان كان يقدم ضحية وكانت طبيعته عند اليونانيين تشبه تماما طبيعة اتيس «Attis» وأدونيس «Adonis» أى طبيعة الآلهة التى تنطلق بالموت فواها لنفع البشر فطبيعة الثور الخرافية ذات فوائد جمة للبشر يهبها الثور ايضا بموته للناس فاصبحت بذلك البلطة ذات الحدين مع رأس العجل عند البدائيين رمزا دينيا (كوك، الثانى ملاحظة ١٣٦ ص ٥٢٨) فالاله الذى يقدم الناس من اجله الاضاحى يقدم نفسه للبشر ضحية. فالثور يحتوى على قوة كامنة اذا اطلقها بعد ذبحه اعتبرت ابنا له و يتصور البدائيون جميعا أو كثرة منهم أن هذا الابن الذى نتج عن ذبح الثور كان بهيئة آدمى (جودانف ٧/٧٩).

وقد تنطبق هذه الفكرة ايضا على التصور المصرى فاعتبار الثور تجسيدا حيا لروح اوزيريس (النيل) المخصبة كما ورد فى بلوتارخوس ثم حورس بن اوزيريس وتكون هذه الفكرة قد سبقت هذا التصور المتأخر فى عقيدة الشعوب الاخرى وهكذا نجد العجل منذ أول التاريخ عند القدماء حتى عصر الامبراطورية الرومانية مصدرا اصيلا للحياة الاولى والعالم القديم أى من بعد مصر عند الفرس وعند اليونان فالاله زيوس اليونانى ثور وديونيسوس اله الطبيعة المنطلقة ثور و بوسايدون اله البحر ثور كما أن كل اله عند القدماء كان ثورا فى قوته الخارقة

فعند موت العجل كما قدمنا تنطلق حياته لخلاص البشر فانظر كيف يسمي سويداس المؤرخ الفقيه اللغوى عضو التذكير والتأنيث فى البشر بالثور المخصب المنتج بدون توقف أنه رمز للحياة ثم أن دمه ولحمه عند المصريين والمرس عطاء للحياة وللقوة واعتيه للابقاء قتل دث فى مصر ... فى اوزيريس وفى اليونان فى ديونيسوس يفنيان فى الارض بذرا وماء وهذا يرمز لرجوع الالهين و بعثهما ثانية فى شكل نبات اخضر جديد فيه الحياة للناس وقد شبهت امواج البحر ايضا بالثور فى قوته وصوته وفى اليونان وايطاليا يشبهون الانهار باندفاعها وصوت مياهها بالثور وكذلك الامطار فكانت الاضاحي للماء ثيرانا وفى مدينة افسوس بآسيا الصغرى كانت تقام سنويا احتفالات مصارعة الثيران مع بعضها تناطحا ثم مع الرجال ركوبا والعابا بهلوانية وذبحا و يقدم للناس الخمور فى هذه الحفلات شبان يسمون الثيران (جودانف ١٦/٧ [illegible]) وقد ورد ذكر لمناطحة الثيران المقدسة منيفيس مثلا فى المعابد المصرية وهذا امر طبيعى فحيثما توجد الانعام تفرض طبيعتها هذا العنف بينها كما يحدث ذلك مع الخراف والماعز ايضا وفى الطيور الديكة.

وفى مدينة «Elis» باليونان كان النساء فى المعبد يتوسلن الى ديونيسوس ان يحضر اليهن بارجل الثور رمز القوة الجنسية الخصبة وكانوا فى اليونان كما ورد فى بلوتارخوس يصنعون تماثيل الاله ديونيسوس بشكل ثور ثم ان البلطة ذات الحدين كسكين مثرا التى يذبح بها الثور شعارات مقدسة فلكية وهى ايضا اى سكين مثرا كانت تشبه سيف آرس او مارس اله الحرب وقد استمر مثرا يذبح الثور فى طقوس عبادته حتى القرون الاولى الميلادية فيحيي بذبحه الدنيا من بشر وجماد وهذا هو المعنى البدائي والمغزى من هذه العملية اى « Tauroctonie » ذبح الثور.

فالاله يهب نفسه من اجل احياء المخلوقات والطبيعة وهكذا كان اوزيريس يتحلل و يفنى فى الارض وقد تجسدت روحه الحية بشكل الثور الاله الكبير فقد خصص لمثرا منزل الاعتدال مستقرا له فى الفلك خاصا به ثم هو يمسك سكينا وهى علامة البرج المفضل آرس «Ares» اله الحرب أى برج الكبش ثم يمتطى مثرا ثور افروديت لانه خو مثرا كثور حقيقى يكون ديميورج وسيدا للخلق (٢٣٤/٥٥/٤٧ ملحوظة) فالثور عند مثرا هو نفس الضحية الكبرى او الفدو

العظيم اى ابيس ملك الحيوانات المقدسة ومثرا بذلك يكون هو الشمس عندهم أى الديميورج عقل الكون المدبر وهو المشرع «Nomothetes» نوموثيتيس وعند الفلاسفة البيتاجوريين هو الذى يعيد زراع و يبعث كل ما غرسته الاله الاول الاب الخفى فهو الروح الحية للاله الاب الكبير.

وفى التقاليد المثرو ية كما فى مصر نجد ان دم الثور غذاء الحياة والخلود natus «natus aetermus» (البعث الخالد) ففى هذه التقاليد المثرو ية يموت الرجل عندما يدفن فاذا اريق عليه دم العجل ولد الها جديدا فمثرا عند ليكورج وكيكرو Cicero الخطيب الرومانى متبعا فى ذلك افلاطون يكون ديميورجوس «Demiourgos» اذ يقول عنه هذا الخالق الثانى المنوط به تناسخ الارواح واعادة تجسيدها كالثور خالق (ديميورج)) وسيد الازدهار والنماء والخلق (١٣٤/٧٧/ ملحوظة ١١٨).

أما الديميورج أى الخالق الثانى أو الباعث عند نومينيوس Numenius الافلاطونى الحديث فهو الذى يكمل المسيرة لنا عندما تنحط المدارك الى الحضيض فهو كوسيط يقوم بدور الرسل فى الديانات السماو ية فينقذ البشر عندما تضل العقول سبيلها فى ظلام البصيرة وهذا يتفق ونزول الرسل و بعث الانبياء فى الديانات السماو ية الذين ارسلوا رحمة للعاملين صدق الله العظيم بالهدى والحق لانقاذ العالمين من الجاهلية التى يهمعون فى ظلماتها وهم النور الذى يرشدهم الى الصواب والابتعاد بهم عن تيارات الكفر والضلال وهديهم الى الصراط المستقيم السوى واهدائهم الخلق العظيم ذلك فى الاديان السماو ية دور الرسل والانبياء صدق الله الذى ليس له كفوا احد ولكن ذلك عند الوثنيين هو دور الديميورجوس.

فعند نومينيوس Numenius يدخل مثرا بذبحه الثور الارواح فى عالم التكوين أو «genesis» نشوء فهو يكمل المسيرة ومن ذلك نجد ان التضحية تنقذ البشر ية من ان تلقى شقاءها فقدم العجل فدوا كما ذكرنا وغذاء للعقول، وبهذا الدم الخالد المخلد يحفظ الروح من التورط فى حياة بشر ية اخرى ولعمرى تلك فلسفة مصر ية فالاضحية تساعد الروح على الدخول فى الحياة الاخرى الخالدة ومن هنا تظهر نظر ية ان الآلهة جميعا كانوا بشرا خير ين نافعين

للناس رفعوا الى السماء بعد موتهم فاصبحت أرواحهم نجوما فوقنا فانظر فى نومينيوس «Numenius» الفيلسوف ومطابقته منرا فلكيا مع الابراج السماوية فقد خصص له مكانا خاصا هو وضع الاعتدال.

اما ايوبول Eubule فيتبع زرادشت فى القول بان مثرا هو الإله الخالق لكل شىء وهو الذى صنع العالم بذبحه الثور الذى يحتوى على سر الحياة وجرثومتها ثم ان الثور عند اتباع مانيكانوس له دوره كالروح الحية التى تحمل فى طياتها المقاومة والمناهضة كما كان عند اليونان والرومان وكما الثور فى مصر الذى يحمل فى لحمه ودمه واعماله حيا قبل التضحية به وبعدها جرثومة الحياة والبعث ومثرا يركو به الثور اى فى برج الثور الذى يطيب لافروديت النزول فيه يلى مباشرة برج الكبش وبذلك يصبح مثرا فى رأيه ديميورجا مثل الثور تماما.

أما مثرا الكوزموقراطى الذى وحده اليونانيون مع اله الشمس الذى لا يقهر « Sol invictus » فيمثل العنصر المذكر للشمس (١٣٤/٧٩).

والثور يحتوى على مادة الحياة وهذا ما قصد به الارواح او النحل فالدم الذى تشربه الحيوانات الممثلة على لوحات مثرا ذابح الثور اى لوحات المثرايا «Mithraea» يرى فيها الفيلسوف الافلاطونى المحدث نومينيوس Numenius حياة المادة فمثرا عنده هو الاله الثانى او القرين او الاله الاخر المشابه المكرر Dittos باليونانية اى القوة التى تحيى المادة من جديد يعنى تبعثها حية كما يقول Ptolemee Valerianus بطليموس فاليريانوس.

كما يفسر ذلك تيركان (ملاحظة ١٧٢/٨٠) انه (اعطى الحياة للمادة والروحيات) ومثرا ذابح الثور يعتبر عند البيتاجوريين والافلاطونيين المحدثين صانع هذا الكون كله او خالقه كما يقول تومينيوس وهو عند بطليموس فاليربانوس مشرعة ايضا او المقنن اذ انه يغرس فى كل واحد ما سبق ان غرسه فيه الاله الاب الخفى وهذه هى مسئولية الديميورج او الاله الآخر او الثانى او الوسيط mesites المتوسط ابن الخير الكامل او هو الخير الذى يعاديه الشر فى شخص الشيطان المخادع فهو ديميورج أى فى الأساس الاله العادل الذى ينظم الكون كله ومن هنا امسك مثرا

احيانا فى يده الكرة الكونية «Gobe» دلالة على هيمنته المطلقة على العالم اجمع وهذا ما كان يتشبه به الاباطرة اى بمسئوليتهم عن العالم كله كما كان يعتبره جوليان المرتد اى انه الشمس التى لا تقهر المهيمنة او الكوزموكراتية كذلك كان عند الرومان.

وعند بلوتارخوس كان مثرا وسيطا بين العالم النورانى العلوى و بين عالم الظلمات السفلى انه هرميس اليونانى أو فى مصر الاله توت Thot ثم هو هيليوس ايوللون أو هرمس عند انتيوخوس الاول ملك سوريا ثم عند الكلدانيين وهو وسط «Mesos» فى سجل مجموعة الافلاك وفى خط سير الكواكب ثم ان الشمس تبث النشاط الحيوى فى الكون فمثرا بذبحه الثور ينشرالحياة و ينثر الارواح فى العالم المادى. (١٣٤/١٩- ملاحظة ٣١).

أفرأيت كيف عايش ابيس بعراقته واصالته كل منطقة الشرق الاوسط والبحر الأبيض المتوسط وهى منطقة عبادة العجل بكل شعوبها ودخل حياة الغرب القديم سياسيا ودينيا وشعبيا خاصة حتى عصرنا هذا وكيف كان اعجاب الناس باصالة وفلسفة الديانة المصرية واقتناعهم بها حتى اتخذوا من الثالوث المصرى فلسفة لديانتهم وظلت حتى الآن بعد أن طورها اليونان وفلاسفتهم واصبح الثالوث المصرى اساسا لاروع واسمى اشكال الطبيعة الإلهية كما سنرى وقد تطور ذلك على يدى الفيلسوف الافلاطونى المحدث جامبليكوس Jambfichos السكندرى فى القرن الرابع الميلادى فظهر ثالوث عقلى أو روحى من الاب ثم القوة dynamis الدافعة الروحية المرشدة أو الام الطاقة الوسطى ثم العقل الابوى المدبر للكون والمقنن له والهادى فيه اى الابن (زيوس).

وقد احتفظ العالم كله بابيس ووحدوه بكل ثيرانهم المقدسة نتيجة تلك الذكرى البالغة القدم ذكرى التصور الازلى التى كان فيها العجل عماد حياة المصريين ومعوض ضعفهم ومجدد جهدهم وقدرتهم على الانتاج الزراعى بجانب فحولته فى الانتاج الحيوانى وحفظ النوع والبقاء الذى من اجله قدسوه فى عبادتهم له لينالوا منه تلك القوة وهذه الفحولة فيصبح فى تصورهم روح اوزيريس الحية الزارع الاول والاله النيل المخصب منتج الزرع وواهب الكثرة والوفرة فى الرزق والعيال ثم يأتى لى غراره ثور مثرا

ـند الرعاة فـيمثل نفس الدور متأثرا بالخرافة المصرية فيتخذ مثرا من الثور وسيلة ـلاخصاب والفيض العميم فى القوت والحياة الطبيعية ورمزا للبعث والحياة المتجددة ـيجعل من العجل فدوا عظيما كما كان فى مصر يجلب الخير والرخاء والحياة بعد قحل وموات (١٧٦/١٣٤).

فبعد ذبح العجل يولد اول آدميين آدم وحواء (١٧٧/١٣٨) وقد قاوم مثرا البلاء والنار اللذين ارسلهما عليهما ـ اهريمان وانتصر عليهما مثرا فى ابطالها فأنهى مهمته على الارض كما يتصور ذلك جرانـب فثور مثرا وذبحه المرسمي اذن يصور البعث والخلق الجديد ثم هو يحمي هذه الحياة من الشرور كما يرى جرانت وغيره من المؤرخين لا بل هذا كان دور الثور فى كل العالم الشرقي والغربي القديم وقد وضح اثر هذا على فكر الناس فى الامبراطورية الرومانية فيما انتشر من الرسومات والتماثم لصراع مثرا والثور حتى لنرى بيننا صورة من اثر ذلك ظاهرة بوضوح فى الفن المعاصر اذ يمثل تمثال ثيسيوس البطل الاثيني وهو يذبح المينوتور اى ثورمينوس فى الخرافة الكريتية اليونانية بأسلوب مثرا الفارسي و بشكله وتكوينه المختلط من الفن الفارسي والفن الحديث فى حديقة التويليري بباريس وقد كان ابومبي اول من اذخل تلك العبادة المثروية ومصارعة الثيور التقليدية فى روما ثم انتشرت بعد ذلك فى انحاء الامبراطورية ثم ما كان من اثر طقوس الاستحمام بدم الثور الذى كان ينسيل من دم ثور مثرا ففي يوم تعميد المؤمنين فى عبادة مثرا ينزل المبتدئون الى حفر تحت العجل ثم يأتى العجل مزينا بالاغصان وصفائح الذهب ومعه الكاهن الذى يقوم بذبح العجل مقتفيا فى ذلك بكل دقة خطوات مراسم ذبح مثرا للثور فى خرافته ، والمؤمنون بالحفرة يتعبدون برؤوسهم المرفوعة اليه يترنمون بالاناشيد والدم المتفجر من العجل يراق عليهم يدخل فى افواههم المفتوحة و بعد ان يغمرهم دم العجل الذى يسيل عليهم يخرج العابدون من الحفرة و يأخذ كل منهم جزءا من خصيتيه وجانبا من لحمه نيئا يأكلونه و بذلك يدخلون فى دينه وتتم عليهم نعمة العجل بما يكتسبونه من قوة وخير و يصبحون عبدة لمثرا الثور مخلصين.

يبعث مثرا ذابح الثور الحياة فى كل شيء يشرب عبدته خمرا اعد من دم الثور فيكتب لهم الخلود قدم العجل كما ظهر من تأثر طقوس ذبح ابيس الضحية الكبرى فى

مصر فيه شقاء لهم وخصوبة لمراعيهم ورمزية تدل على سعة العيش ووفرة الرزق وفيه لهم فحولة وقوة كالعجل يتباهون بها ثم فيه شفاء لنفوسهم وكثرة فى عيالهم.

ولكن لم يكن ذلك فقط فى العصور المنصرمة القديمة جدا بل ظل ذلك ايضا فى خرافاتنا المعاصرة فلازال من تقاليد الزار عندنا وقد اوشك على الزوال الآن ذبح الضحية الكبرى عجلا أو جملا او خروفا او حتى بطة او ديكا ثم يراق دمها على المريضة التى تجلس فى طشت بملابسها ثم تشرب قليلا من دم الضحية التى كانت تقدم للاسياد حسب طلبهم ارضاء لهم فيهبون المريضة الشفاء و يذهبون عنها شر الارواح المؤذية نتيجة ذبح هذه الضحية بسحرها الشافى فكل ما يخرج منها دماء ولحما خير و بركة ونفع لجميع من يأكله وخاصة شيخة الزار التى كان لها نصيب الاسد من لحم الضحية ان لم تكن تستحوذ عليه كله تبيعه لحسابها وهذا اثر من خرافات كثيرة ترسبت فى عادات الناس من ساحق العصور فالفدو انما يفتدى به ليحفظ على الناس حياتهم وصحتهم وسلامتهم من كل شيء.

الا أنه ليس من الممكن اغفال السياسة فى أمر وضع مثرا فى العصر اليونانى الرومانى فاتحاد مثرا مع الشمس (هيليوس) بالنسية للملوك والاباطرة اى دلالته ككوزموقراطى اى المهيمن المسئول عن العالم الذى يحكمه بعيدا عن النظرة الدينية الفارسية القديمة كما كان يريد الاباطرة ان يتشبهوا به وهى نظرتهم التى يريدون بها اكتساب الحق الالهى اى الحكم الثيوقراطى ففى ذلك الوقت كان الملوك والاباطرة يستغلون الديانات الشرقية لتأييد نظريتهم الاستبدادية فى الحق الالهى فيحيدون بهذه الديانات العريقة الى وضع السياسة الدينية او الدين السياسى اى الثيوقراطية اسوة بالاسكندر الاكبر واعتناقه الديانة المصرية الشمسية وسيلة ليصبح حاكما عالميا اى كوزموقراطى فحذا هؤلاء الخلفاء من بعده حذو سلفهم العظيم فى الديانة النارسية. وكان الاسكندر نفسه عدوا لأهلها، لارتباطها بالفلك الذى كانت الشمس فيه أعظم واهم كوكب والمحرك المركزى فيه.

أما الارواح فلا نجد فى لوحة مثرا ذابح الثور ما يمثل النحل التى هى الارواح تنبعث عن ذبح الثور وهى جوهر حيوية العالم بل هو دمه كما سنرى. او يعرف فيلسوف أفلاطونى الاله الديميورج بانه هو الذى يحفظ للعالم الاستمرار فى مسيره

(٨٧/١٣٤) وهذا يعني طبعاً أنه القوة الدافعة أي الطاقة المحركة، والشمس عند افلاطونم هي بنت الخير، كما هي ايضا ممثلة بخيرها ونفعها ودفعها العالم الى الامام كما ذكرنا من اجتماع كل آلهة الخير بكل رموزها وصفاتها حول رأس الامبراطور الممثل للشمس على جسم الأسد أي ابو الهول فى لوحة التوحيد.

أما نومينيوس فبالتحديد يقول أن الديميورج هو مقلد الخير وابنه أي هو الشمس المجهولة الآب.

فالاله الأكبر صورة للخير وهو ذاته أما الديميورج أي المكرر فهو المقلد (٧٩/١٣٤) وعند العالم Numenius نومينيوس الشمس هو الهيمنة واهبة الحياة وعقل الكون المدبر وقلبه النابض هيجيمونيكوس Hegemonikos. وهيليوس فابو جميع الأشياء كما عند سوفوكليس وايضا هو أب الآلهة وخالقها وهذه القاب الديميورج فى مجموعة Timee التيمي وهي اوصاف ايضا يضيفها الفيلسوف Mumenius الروماني على ميثرا.

والشمس عند بوسايدونيوس هي الاب فهيليوس سيد النجوم السيارة ونظرا لوضعه الاوسط يكون هو المحرك لها وهذه الابوه خلقت له مهمته كموجه أي كونه مركز سلطة وحركة وسط فى مسار العالم، كذلك كان رع بالنسبة للفلاسفة اليونانيين فكما يذكر بيرين فان رع هو روح العالم وضميره أنه الباعث والحقيقة (معت) وهو يعني قولا لفظ الفاعل أو السبب Iogos عند الفيلسوف هراقليدس، الذى خلق العالم فالحقيقة الحقة ليست اذن العالم الذى خلق ولكنها الفاعل الذى نشأ عنه الخلق (١٢٠) كما كان اوزيريس النيل والماء الخلاق صانع الحياة واصل كل حي.

وأخيرا فان ذلك كله له صلة بالقمر الذى تخصبه الشمس التي تهب الناس العقل والذكاء نوس Nous المدبر فيلد القمر الارواح وكذلك مثرا بتضحيته الثور بسبب ولادة الارواح فى العام وكما تذكر البونداهيشن «Boundahishn» فان هذه الارواح تمر بالقمر لتتطهر (١٣٤/ملحوظة ٨٩) هذه هي آراء فلاسفة اليونان فى الشمس الديميورج أو الوسيط المتحرك وهي الخير و بنت الخير ومسيرة العالم بقوتها الدافعة التي لا تتوقف وهي الاساس وهي السبب الفعلي

logos وبهذا تهيمن على الارض والسماء فهي للعالم وفيه كل شيء كما كان يعتبرها القدماء في مصر وفي فارس والعالم القديم كله في عبادتهم الشمسية . واخيرا يوحد بوسايدونيوس الشمس بمثرا كما يقول بذلك ايضا الجغرافي الفيلسوف سترابون (١٣٩) اي (هيليوس الذي يسمونه مثرا) و يعتقد فيرميكوس ماتيرنوس Frimicus Maternus الفيلسوف أن هذا العنصر الناري الذي يعبده الفرس ينقسم الى قسمين مؤنث ومذكر ويجب ان نذكر ان هذه تقريبا هي وجهة النظر المصرية فمثلا العنصران الناريان النيران في السماء هما الكوكبان (الشمس والعنصر المذكر والقمر هو العنصر المؤنث) وعند الفرس كقوله يمثل مثرا العنصر المذكر بينما الوجه المؤنث اي القمر تمثله انثى ذات ثلاثة وجوه تلتف حولها ثعابين ضخمة (١٣٤ / ٩٠) وهذه هي اناهيتا قاعدة الانتاج في الثالوث الفارسي .

وهذه الطاقة أو القوة بمعنى dynamis الخلاقة ذات الثلاثة وجوه أي هيكات اليونانية ام الارواح في رأى افلاطون تمثل اوجه الروح الثلاثية (١٣٤/٩٠ ملحوظة ٢٣-٢٤) فالوجه الاول يمثل كالهة محاربة مسلحة بالمحن والذرد تقف على قمة قلعة العقل novs نوس تشحذ الهمه وتبعث الشجاعة والحمية أي الرغبة thymos والطموح أما الوجه الثاني فوجه مشاركتها في دولة الغابات والوحوش اى تمثيل تعدد الأفكار الوفيرة والنشاط الفعلي أنه تمثيل للعقل أو الذكاء والطموح والفضائل كالشجاعة ومقاومة الشر الخ .

وأخيرا الوجه الثالث الذي يمثل الشهوة والرغبة والاخصاب غريزة epithymetikon واللذة الجنسية أى أن هذه الوجوه تمثل الثلاث آلهات اثينا وارتميس وافروديت اليونانيات .

أما عند الفرس فالعقل في الراس والرغبة او الطموح للمعرفة في القلب والشهوة في الكبد (١٣٤/٩٣) كما يرى فيرميكوس ماتيرنوس Firmicus Maternus العالم والفيلسوف الروماني وهذا الثالوث الافلاطوني يطابق الى حد ما خطة جامبليكوس التقسيم لهذه الوجوه الثلاثة اى الاب والطاقة والعقل كما هو واضح ايضا في كلام وتعليق الفيلسوف بروكلوس Proclus الا أنه لا ينطبق تماما على خطة هذا التقسيم الثلاثي الافلاطوني اى أن ذلك لا ينطبق مع نفس

تقسيم اقسام أوجه الروح عند افلاطون .

• فخطة جامبليكوس هذه تتكون من الاب والطاقة الوسطى او القوة الوسطى ثم العقل :

(١) فمن الوجود الازلي الذى هو الاب كان اصل إهيكات اى ان الازل اصل نشأة هيكات.

(٢) ومن القوة الوسطى او الطاقة الوسطى تأتى الروحانية .

(٣) ومن العقل تنبعث الشجاعة والفضيلة (١٣٤/ ٩٥ ملحوظة ٩٣) .

هكذا كان تفرع اوجه الروح فى نظر افلاطون فأثينا العقل فى الرأس وارتميس تمثل اختلاف الافكار وتطورها فهى تسكن القلب ثم يرى افلاطون باجماع كل الفلاسفة على وجهة نظرة على ان الشهوة فى الكبد وهى وجه الروح الثالث (١٣٤/٩٣ ملحوظة ٢٧) اى وجه هيكات الثالث الذى تمثله افروديت وفى هذا يبدو التوازى بين العالم الصغير اى الميكروكوزموس والعالم الكبير اى المنطلق الماكروكوزموس كما نلاحظ ذلك ايضا فى القابال عند اليهود من توزيع السفيروت العشرة وتطبيقها على مواضع جسم الانسان المختلفة .

ولكن الفلاسفة قد اختلفوا على تمثيل هذه الوجوه الثلاثة للروح فى اعضاء جسم الانسان اى ان اثينا فى الرأس وارتميس فى القلب واما الشهوة واللذة فتتمثل باجماع الآراء فى الكبد وهذه الآلهات الثلاث بصفاتها التى تتصف بها اى اثينا وارتميس وافروديت تدخل بصفاتها المتعددة ورموزها المختلفة فى صفات ازيس الالهة المصرية وهى الشخصية التى لا حصر لاسمائها وصفاتها فقد جمعت فى قدراتها قدرات كل الآلهة اليونانية والرومانية وغيرها عند الشعوب القديمة الاخرى فتمثلن فيها جميعهن فى كل العصور حتى العصور المتأخرة وزيادة على ذلك فهى الالهة ذات الطبيعة كأرض مصر تتأثر بالعناصر الاربعة ومن هنا كانت سيطرتها على هذه العناصر كما فصلنا ذلك حسب ذكر المؤلفين القدامى ثم بعد ذلك فان نجمها فى السماء هو نجم صوثيس او «سيريوس» كما ذكرنا من قبل منزل المطر وهذه هى قاعدة الانتاج واما حورس فهو مثرا فى هذا المثلث الفارسى المكون من اهورامازدا ومثرا واناهيتا الذى

مثل عى الآثار فى عصر الملك البارثى Vorod فيرود فنجد اهورامازدا بنصب الملك على عرشه البارثى بحضور مثرا واناهينا فى لباس حربى كأثنيا (١٣٤/ ٩٩)

وقد شرح الفيلسوف Wikander فيكاندر ما يميز العبادة الفارسية عن العبادات الهندو يوروبية بقولة ان النار تعبد فى فارس لانها العنصر الوحيد الطاهر الذى لا يندنس باحتكاكه باى عنصر آخر ومن هنا تظهر الصلة بين النار الطاهرة و بين اناهيتا الإلهه Anahita الفارسية التى يعنى اسمها النقاء او الطهارة وهى العنصر النارى المؤنث الفارسى ذات الثلاثة اوجه أى هيكات اليونانية واما الثالوث النارسى اهورامزدا ومثرا واناهبنا فقد ساد فى العصر البارثى فكان هذا الثالوث معبرا تماما عن الثالوث المصرى الذى قال عنه اليونانيون انه احسن اشكال الطبيعة الالهية كما ذكرنا ثم ان الثالوث الفارسى قد مثل على النقود الفارسية كما مثل الثالوث المصرى (ثالوث الاسكندرية سرابيس (اوزيريس) ثم ازيس ثم هاربوكراتيس (حورس) على نقودالاسكندرية)اى النقود الرومانية التى ضربت فى الاسكندرية اثناء الثلاثة قرون الاولى الميلادية وهذا يعنى تغلب الفكر الفلسفى اليونانى فى العصور المتأخرة وتأثيره على الديانات القديمة قبله وتقريبها من بعضها .

وفى الثالوث النارسى نجد ان اناهيتا الوجه المؤنث فى هذا الثالوث تتمثل فيها وجوه الروح كما رآها افلاطون كالثلاثة وجوه لهيكات اليونانية فتكون اناهبتا مثل هبكات ام الارواح (١٣٤/ ١١٩) كما ذكرنا انها قاعدة الانتاج وانها العنصر المؤنث فى الثنائى النارى فهى تمثل قاعدة الانتاج فى ثالوث مصر فتمثل القمر فى الثنائى النارى المضىء فى السماء الشمس (المذكر) والقمر (المؤنث) عند الفرس وعند المصريين ايضا فهى ازيس المصرية (القمر) وقد راى افلاطون كما ذكرنا فى عناصر هذا الثالوث المصرى الاب أو اللوجوس المصرى ثم الام او (المرضع) ازيس اى قاعدة الانتاج ثم حورس الابن او الانتاج او الكوزموس وهو مثرا فى الثالوث النارسى ثم حورس الذى يوجد فى كل العبادات والتقاليد الدينية فى كل دين قديم فهو الابن او الخلق الكوزموس وفى اعتقادى فإن إناهيتا كقاعدة انتاج فى الثالوث الفارسى كان سببا فى انها قد تمثلت باوجه الروح فى الثالوث الفارسى اهورامازدا ومثرا واناهيتا كما يرى بحق افلاطون فى هذا التمثيل الثلاثى الوجه: العقل ثم المعرفة ثم

الحب واللذة والاخصاب فهي تتمثل كاتبنا بملابسها الحربية كما نجدها على الا ثار وخاصة النقود كذلك وجدت تمثل ارتميس إلهة الغابات والوحوش وهنا يذكر فيرمكوس ماتيرنوس Firmicus Maternus تعبير ملكة الوحوش وقد كان توحيد اناهيتا بارتميس سيدة الوحوش فى الادب والتصوير الشخصي ايكوتوجرائي (٩٩/١٣٤) أي تجسيد الشكل هو السائد فنجدها ممثلة و بيدها القوس وتحمل على ظهرها الكنانة على ظهور العملة الفارسية فى العصور المختلفة (١٦٧) كما تظهر ارتميس نفسها على نقود الاسكندرية دون ان تكون لها صلة . أناهيتااما وجهها الثالث اى بصورة افروديت وهي وجه الروح الذى يمثل الشهوة والاخصاب فامثلته كثيرة كما يوردها توركان (١٣٤/ ١٠٠) اذ يذكر تمثا لا لها بشكل افروديت ثم يقول أن الكوكب الزهراء يعرف عند الفرس باسم اناهيتا ورغم انها تمثل كرمز للقمر نجد أناهيتا على بعض الاواني الساسانية تمثل بهيئة ومميزات افروديت وهي عند الفيلسوف Frimicus ماتيرنوس Maternus التى تسيطر على اللذة والاخصاب و يذكرها بعض الفلاسفة والمؤرخين لصلة افروديت بالبذر التناسلى فلغويا ... يرى لانج العالم Lang إن تسمية افروديت نسبة الى الرغوة أو الزبد المنوى الذى هو بذور خلق الاحياء (١٣٤/ ١٠١ ملحوظة ٨٨).

ثم أن اول من اقام تمثالا لاناهيتا كافروديت هوارتر كسيركسيس الثانى كما يخبرنا بذلك كلمنت السكندرى.

أما المؤلف المؤرخ تريفر Trever فيقول بخصوص معابد اناهيتا انها الالهة التى تشخص الحب والخلق واللذة الجنسية وتجدد الحياة كما يذكر البعض بخصوص معابد أناهيتا وجود الدعارة المقدسة فى عبادة اناهيتا. كما ان اناهيتا افروديت مرتبطة اصلا فى الخرافة الخاصة بالعنصر الرطب اى المائى كالالهة ازيس المصرية تماما وفى بلاد ارمينيا كانوا يخصصون هناك بعض الاشهر للشمس و بعض ايام للقمر اى انه من المحتمل ان يكون ذلك التخصيص كان للالهين مثرا واناهيتا.

وفى فارس يجعلون فى تقاليدهم من الكوكبين النيرين (الشمس والقمر) ابوي ما ولد اهورا مازدا.

وكما يذكر ايضا بيديه (١٣٤/٩٨ ثم ١٠٦/٣) ان الملوك الساسانيين كانوا يسمون انفسهم اخوات الشمس والقمر حسب قول امبانوس أي مهيمنون «Solis Fratres et lunae» وكوموقراطيون.

وعند سترابون في ترتيب العبادات الفارسية السماوية يكون زيوس وهو اهورامازدا سيد السماء يأتي بعده الشمس التي يسمونها مثرا ثم بعد ذلك القمر ثم افروديت ثم النار ثم الارض (١٦٩) ثم الريح ثم الماء.

اى ان ترتيب العبادة في السماء التي يسودها زيوس اى الاله الاكبر اهورامازدا. يقدسون فيها الشمس التي هي عندهم مثرا ثم القمر وافروديت (وجهى اناهيتا ثم بعد ذلك يقدسون النار والارض ثم الهواء والماء وهذه هي عناصر تكوين الكون التي تتجمع كلها تحت سيطرة ازيس المصرية في الثالوث المصرى الازلى اما في الثالوث الفارسي فتأتي هذه العناصر في ترتيب العبادة كما يذكر سترابون وتشملها قدرة اناهيتا لسعة مساواتها بالآلهات الاخريات وقدراتها في التأويل اليوناني وتمثيلها الثلاثي الوجه لاثينا وارتميس وافروديت مما قد يبعدنا عن التقاليد الفارسية ويجعل من اناهيتا مجرد اختراع فلسفي افلاطوني حسب ما ورد في روث Wroth عالم العملات القديمة (٢٤٢) ثم غيره من علماء النقود فيما يخص شكل اناهيتا الثلاثية الوجه أي بثلاثة triformivultus اشكال الممثل على النقود الفارسية.

. كانت اناهيتا عند الفرس تتصف بالرطبة او المائية «aredui» ردوى والقوة أو sura وايضا والنقاء anahita فهى اصلا مخصبة الحيوان والزرع والانسان اى كل المجتمع الآرى تلك كانت النظرة الفلسفية الخالصة التي لم تتأثر بها التقاليد الفارسية كثيرا الا عندما تختلف وجهات النظر الفلسفية عند الفرس وعند غيرهم من الفلاسفة الباحثين في اصول اللاهوت القديم اما عندما تتدخل السياسة في تأويل هذه التقاليد الفارسية وما تمثله عند الفلاسفة اليونانيين والفلكيين منهم فالامر يسير في اتجاه آخر متغيرا تغيرا محسوسا فينحو بالتقاليد الى ناحية دينية سياسية اى ثيوقراطية تستمد وجودها من السماء اى الحق الالهى.

فبعد الاسكندر كما ستفصل ذلك حذا حذوه الملوك والاباطرة من خلفائه يونانيين ورومانيين الطموحون الى الحكم العالمي والحق الالهى اى في الكوزمركراتية اى الحق

الالهي كما كان عقلية الفراعنة وملوك فارس في الشرق ولذا نرى ان عند جوليان الامبراطور الروماني المرتد وهو فيلسوف وثني يعتبر مثرا الشمس ذاتها التي لا تهزم Sol invictus أي باعتبار مثرا رمزا لعبادة الشمس كالامبراطور نفسه الذى كان يعتبر نفسه تابعا للشمس بل حتى رفيقا لها اى باليونانية opados وبالاتينية comes اى زميل وهذه هي الكلمة التي تأتي دائما صفة للشموس من الاباطرة على ظهور عملاتهم الممثل عليها رمز الشمس التي لا تقهر من قبل جوليان انه كما فى نشيد الشمس Sol Roi يقول جوليان أن «للشمس فى نفسه [illegible]

اعمق واصدق [illegible]» (١١١/١٣٤) فصول Sol الذى لا يهزم له افضال على الامبراطور فقد انجاه من محنة مذبحة (سنة ٣٣٧ م) التي كادت ان تقضى عليه فانقذه هيليوس منها. فمثرا بالنسبة للامبراطور جوليان المرتد ليس الا شكلا جديدا او لفظا حديثا لهذا الاله الشمسي الذى يدين به و يقدسه بكل اخلاص تحت اسم سرابيس Sarapis أو بابوللون كما ينقول ديديموس (١٠٥/١٣٠) لقد كان جوليان يكن ويحفظ فضلا جميلا كبيرا لاله الشمس فظل مخلصا تابعا له ورفيقا بل كان ابنا له بارا حتى انحراف قسطنطين الاكبر الى المسيحية عندما انتصر على منافسه الامبراطور ماكسانس تحت اسوار روما فكان هذا النصر تاريخا لاستقرار المسيحية (٣١٢ م) ثم ظهر قانون ميلا بحرية المسيحيين الدينية وصار قسطنطين الاكبر الاول مسيحيا (٣٢٣ م) ثم اصبح حامي حمى المسيحية ولذا فقد ارتد الامبراطور جوليان الذى ترعرع فى احضان الوثنية ورفض المسيحية اذ يقول ان زيوس قد طلب من هيليوس ان يرعى جوليان و ينقذه و يشفيه من مرضه وكان ذلك المرض كما يقول توركان (١١١/١٣٠) هو المسيحية وان شفاءه (١١١/١٣٤ ملحوظة ٤٦) ودواءه كانت هذه الردة . .

١ لم يذكر جوليان فى نشيده مثرا بل كان هيليوس هو من ناداه فالاسمان عنده لهما مدلول واحد هو الشمس هيليوس الذى هو ملاذه والذي توسل اليه زيوس ان يرعاه و يسدد خطاه و يزيل عنه المرض.

فانظر كيف كانت نظرة هذا الحاكم الفيلسوف فى عقيدته بمثرا

(هيليوس) الذى هو اله النور وكيف كان أو إيمانه بالشمس كاله مخلص انقذه من الغموض المظلم وانار الطريق له فكان مثرا عنده اله العدل والحق. وهما فضيلتان مكفولتان فى الاخلاقيات المازدوية و بالنسبة لجوليان فان فضيله الفضائل جميعها هى العدل (١٣٤/ ١١٤ ملحوظة ٦١) فالحاكم عنده يتصف أول ما يتصف بفضيلة المساواة أى أن يساوى بين الجميع ثم بعد ذلك شيمة الطيبة ثم تكون الانسانية فى طبيعته فيكون انسانا بالنسبة لمن يستحق ذل (١٣٤/ ١١٤ ملحوظة ٦٢) فالحاكم بروح الاخوة يحقق العدالة الالهية بين الناس بالمعنى الصحيح للاخوة أى Confratenite فكانت انسانية جوليان على غرار الاحسان وهبة الاله للخير ولطفه بعبادة ورعايته للناس جميعا. فهو الذى يراقب كل شىء أى أنه هو الشمس وشمس العدالة (١٣٤/ ١١٤ ملحوظة ٦٠-٦٥).

أما الفضائل العسكرية والصفات الحربية من قوة تحمل وعفة وطهر وزهد وشجاعة واخلاص ونسك وايمان بالواجب. فكل هذه الصفات سوا الخصال الفاضلة كانت من لدن مثرا ومن حساب شيمه وفضائله واخلاقياته (١٣٤/ ١٥٥ ملحوظة ٦٦) فالامبراطور اراد أن يفكر و يعمل كجندى لربه مخلص وأنه حاكم ملتزم بمنصبه الذى وضعه الاله فيه.. أن هذا كله من اخلاقيات مثرا التى اتصف بها جوليان وحققها فى حياته.

فانظر كيف كان الحكم الالهى اى الثيوقراطية ونظرية الفرد المستبد الصالح فى اساسها نزاهة ونعمة وكيف أن أخلص الحاكم الالتزام بهذا المثل الاعلى يصبح خلفاء الشمس وظلها على الارض من فراعنة وبعدهم من ملوك وأباطرة اشبه ما يكونون بالاله عدلا ورحمة وانسانية بما وهبهم الاله من حق الهى فكانت تلك الخصال ايضا هى ما كان يريده الاسكندر الاكبر أن يتصف بها ويحققها أى حبه للبشر وإيمانه بالآلهة جميعا عند كل الشعوب التى حكمها ومن هنا كان نظره دائما متجها الى السماء ومثلها العليا شمس العدالة وحب الخير وتحقيق العدل بالمساواة بين الناس فبالعدل والانسانية كانت هيمنته على شعوب العالم.

فكان جوليان ينادي ربه «مولاي» وربه هو الشمس التي لا تقهر اى مثرا كما ورد في الكرونيا اى ولمية القياصرة و يظن تور كان انه اذا كان كرونوس في الثالوث الروحي والعقلي لجامبليكوس (القرن الرابع م) قد اخذ مكانه في النظرية الجوليانية لكان قد وضع بحيث يطابق اله جوليان الاول اى الاب ثم ريا Rhea الالهة الام اى القوة الدافعة dynamis أى المادة المتحركة تكون الشخصية الثانية ثم الشخصية الثالثة تكون زيوس العقل الابوى (١٣٤/١٢١ ملحوظة ١١٤).

فالشمس كما يقول نومينيوس هي الابن الحق لاله الخير وهذا الفيلسوف الافلاطوني المحدث الذى يعتبر الشمس ديميورجا وكذلك جوليان يستقيان ذلك عن افلاطون نفسه ولذا فقد اعتقد جوليان انه «ابن الشمس» وذو قرابة وصلة كبرى بمثرا الافلاطوني واما الآلهة القدامى اليونانية الشرقية فقد مثلها جوليان على نقوده - از يس وسرابيس ثم عجل ابيس وقد اكد كيمونت (١٧٠) اكد تقديس وعبادة جوليان لاز يس وسرابيس.

فكان الامبراطور هو نفسه الشمس (الملك) Sol Rex ذاته لشدة .. إيمانه بالخلق والاخلاقيات المثرو ية وهذا هو المثل المتأخر لسياسة الحكم الديني وهو الشاهد على نظرية الفرد المستبد الصالح التي اقامها الفراعنة وملوك الشرق ثم مشى على منهاجها الاسكندر الاكبر وقلده في ذلك واعتنق مذهبه السياسى خلفاؤه من ملوك اليونان والاباطرة الرومان حتى العصور الوسطى وقيام سلطة الكنيسة الدينية.

نفهم من قول بلوتارخوس فيما سبق عن الاله الخفى انه ليس هو الشمس بعينها فمثرا كما يراه الفيلسوف Posidonius الروماني وكما يعتبره جوليان هو المشابه للشمس فكونه الاله الثاني المتحرك أي الاله المتحرك في الوسط (١٣٤/١٢١) يكون هو المهيمن على العالم والمنظم لشريعة الحركة المسيطر hegemonikos عليها اى خالق كل شيء أو باعثها من جديد فكما يذكر بلوتارخوس عن المصريين اعتبارهم المحصولات الموسمية آلهة وفى ندبهم اياها وبكائهم عليها عند انتهاء موسمها يتوسلون طبعا الى الاله اعادتها لهم مرة أخرى فاذن لابد أن يكون هذا الاله هو الباعث الاول الخفى الذى يرجونه اذ يعيد خلق الاحياء سيرتها الاولى بوساطة الاله

القرين الشمس فهى الاله الظاهر أمامهم حتى لقد تشابه هذا الفكر مع وصف الاله المهيمن وعقل العالم المدبر بتسميته noῦs الفكر الالهى وما ورد فى نشيد الشمس عند جوليان من طلب لعون النور المهيمن (١٣٤ / ١٢١) .

هذا هو الاله الثانى فى مصر . الظاهر وخلفه الاله الخفى كالنور للمصريين الذين يطلبون عونه اى الديميورج عند افلاطون الذى يعيد الخلق و يغرس فى الخلق ما وضعه فيهم الاله الاول الخفى اى الاب المجهول .

اذن فوراء كل ديميورج الاله الخفى كما يعتقد المصريون وهم فى طلب عونه ممن يمثله . من رموز حيوانية فهم انما يتمثلون فيها وسطاء أو رموز آلهة قرينة أو مكررة اى ديميورج كل . يمثل قوة معينة من الاله الخفى ولكن كلها للخير كالشمس بنت الخير الحقيقية ذات الاب المجهول كالفرعون او كالامبراطور فيما بعد الذى يمثل الشمس بحمه الالهى فى الحكم المستمد من الشمس فى تمثال ابو الهول فكان ملاذا الناس يتقربون اليه و يعبدونه و يتوسلون اليه ان يفرج كربتهم ويهب الخير كابن للشمس .وديميورج لهم .

فهذه النظرة اذن انما تجعل من الآلهة المصرية آلهة مكررة او قرينة او وسيطة بين السماء والارض كمثرا وكهرمز وهذا نتيجة لعقيدة المصريين فى الاله الخفى أى آمون Amoun . او الخلفاء أو الذى لا يرى ولا يسمع وكقول الفلاسفة الأفلاطونيين بان الشمس مجهولة الاب اى كالفكرة الافلاطونية الحديثة التى تجعل من الشمس ديميورج وسيطا وهى ايضا فى التصور الافلاطونى تشبه مثراً هى مثرا نفسه اله الضوء الذى هو بالنسبة للعالم المنظور الحقيقة بعينها لعالم الفكر اى عالم الادراك والفهم فهو من الناحية القدسية الالهية . يمثل الاله والمخلوقات فى دنيا التوافق والانسجام الكونى كما يذكر توركان (١٣٤ / ١٢٢ ملحوظة ١٢٤) .

وهنا يتفق تماما بلوتارخوس فى ذكره ان مثرا هو روح العالم وهو الوسيط أى المتوسط بين السماء mesites وما تحتها بين العالم العلوى والارض بين النور والظلام و بين الخير والشر و بين العالم الحسى عند جوليان الامبراطور الفيلسوف وعند الرمزيين اى اصحاب الاسرار والطلاسم gnostiques الخبيثة . فان

هذا العالم الحسي هو دنيا الفساد والخطيئة و يذكر « Turean » توركان قول بروفيروس «Prophyros» أن عالم الروح مقدس الهي وأما الجسد فظلام وغموض أي دنياه كلها خطيئة (١٣٤ / ١٤٢ ملحوظة ١٢٧) وفى الانسان يقوم صراع بين الخير والشر ولكن الكون ايضا يعكس كمال هذا النموذج المتصارع أو هو يصور هذا النموذج كاملا فهيليوس يعطى العالم كله جانبا من جمال الادراك والفهم الحسن لهذا الكل من الخير والشر.

أن هيليوس هو مركز التجمع الذى يقرب هذه الابعاد فى هارمونية وتوافق يقضى على التنافر وعلى نحو ما كان يقول امبيدوكليس «Impedocles» يستبعده فى هرمونيت فهذه الوحدة بين الاله الاب الخفى و بين الاله الوسيط أو الديميورج أى الاله المكرر يسخر فيها هيليوس قوة وسلطان هذا الاله المكرر الوسيط ليكمل ويجمع و ينشر الحياة وأن يسموا بالجوهر أى كعمل الروح الكونية عند أفلوطينوس وكما يقوم به الاله الديميورج عند تيماينوس الذى يحفظ الكون متماسكا فى وجوده وكيانه غير متنافر فتشابه الشمس ومثرا عند فلاسفة اليونان يجعل من مثرا مهيمنا على الخلق جميعه.

ثم أن صحة ما ذهب اليه بلوتارخوس من قول الكهنة المصريين وعقيدتهم فى وجود اله خفى لا يرونه ولا يستمعونه وراء كل هذه الآلهة المكررة أو القريبة قد وضحت بوحدتها ومطابقتها هذه النظرة عند الفلاسفة اليونانيين بيثاجوريين والافلاطونيين ازادها وضوحا قول الفقيه اللغوى «Martianus Capalla» الرومانى مارتيانوس كابالا فى احدى الابتهالات لاله الشمس يطلق فيها على ملك الكواكب أو النجم الملك كل الاسماء التى نسمعها مصرية ويونانية: آمون (هكذا) «Hammon» كتبها وأوزيريس وسرابيس ابوللون أو فو بيوس «Phoebusl» أله الشمس ثم اتيس «Attis» ثم مثرا الذى دخل الفلسفة اليونانية كديميورج وهكذا يتضح أن الشمس اله ثان وسيط ولد من أب مجهول اى انه « ذو أصل خفى » كذلك كان آمون الحقيقى عند بلوتارخوس عن الكهنة المصريين يشير الى خفاء الاله الذى هو ملء السموات والارض لا يراه أحد ولا يسمعه وهو الذى يرى و يسمع. « ملف »

- قنينة ! [illegible]

عند المصريين اولا ثم الفرس واليونان فالكل مكرر والاصل أو الاله الاول :
أى الاب خفى لا يعرفه الناس ولا يدرك بالحواس الديميورج هو الوسيط بين
الاله الخفى فى العالم القدسى انه النور المعلق فى الهواء فوق هذا العالم
الحسى المادى أنه النور للعالم الظاهر ولكنه الحقيقة بالنسبة للعالم
المدرك أو هو الفرق بين النورانية والمادية بين الخير والنقاء والشر
والدنس وهو الروح الحية الخلاقة المتحركة والعقل المدبر أى عقل الكون
ومثرا ليس الا اسما للشمس التى تشد النجوم فى مشيرتها .كقول
كلوديانوس الا أن «Türcan» تورکانس يشك أن مثرا ذا الثلاثة
اوضاع اى لابس الثلاثة كابات والقبعات المخروطية كما يسميها بثلاث
«trois pileatio» قبعات ثلاثى مثرا الممثل على لوحات مثل فى
الوسط مثرا ذابح الثور بين مثرا «Cautes» أى رافع الشعلة
«Cautopates» اى الذى يخفض الشعلة ينطبق على ثلاثى الشمس عند
جوليان اى المدرك «Intelligible» أو العقلى «Intellectuel»
ثم الحسى «sensible» وفى اعتقادى أن هذا التردد لا مجال له هنا
فالفكرة المصرية عن بلوتارخوس فى هذا التمثيل واضحة بمعنى المدرك ثم
العقل الديميورج ثم الحسى المظلم تطابق تام مع لوحات مثرا الثلاثى اى
المثرايا فهو مثرا triplasiou Mithrou ذو الثلاث أوضع وهو فى هذا الوضع
الوسط بين النورانية الالهية وبين العالم المظلم اى الحسى وفى هذا الوضع
بين النور الالهى والظلمة المادية الحسية يكون الوسيطة مقلدا الخير
الى العقل المرشد الى الحقيقة ينير الابصار و بصيرة الناس بالحق
و يضىء عقولهم بالحقيقة فتكشف لهم سبل الخير من الضلال والشر
اى هو النور أو الوسيط بين الاثنين اى بين اهورامازدا واهرمان
فعند المصريين الشمس الظاهرة والخفية الاصل هى مثرا ايضا اله
الشمس القارى وكذلك كان مثرا ذاتها فى العصر اليونانى
الرومانى ثم أن فى اليوندا هيشن كتاب «Boundahishn» تفسير
لبعض اجزاء الافستا نجد أن عالم الوسط أو العالم المتوسط هو
الذى يطابق قول بلوتارخوس عن مملكة مثرا الوسيط وهذا هو المجال
الذى يحتل النور ومن هنا كما يقول «Turcan» أن الاله

عند الفرس «هو النور الذى يحمله الهواء فى الفضاء» كما يؤكد هيبولينوس.

ان دور مثرا ذابح الثور يماثل تماما دور ابيس الذى هوعند المصريين روح اوزيريس الحية والاثنان كما ذكرنا اى اوزيريس وابيس هما الضحيتان القربان اى كل منهما ندو عظيم للبشرية ولكن الفلكيون من الفلاسفة الاغالطة والبثاجوريين القدامى يؤلون ايضا مثل يورفيروس السكندرى (٢٣٣-٣٠٥) الذى يرى فى مثرا كما تمثله لوحات المثرايا ذات الحسر البارز ما نجده متمشيا فلكيا الى حد بعيد من التأويلات الفلكية لعجل ابيس واوزيريس وحورس وست واغلب الظن انهم كانوا جميعا دميورجيين أو آدميين صالحين خلدتهم اعمال الخير والمنافع التى أسدوها للناس ثم بعد حياتهم جعلوا من ارواحهم نجوما مخلدة فى السماء ترتبط بالدميورج الاكبر اى الشمس ذى الاب الخفى الغير معروف وهى مركز الحركة في مسيرة الافلاك السماوية والتى يرتبط بها العالم كله علوية فى السماء وسفلية على الارض بدوراتها الموسمية التى تأتى بتغيير الفصول والمحصولات الزراعية الغذائية وانى أول المصريون اختلاف ألوان ابيس من ابيض واسود باختلاف هذه المحصولات الزراعية المتنوعة والتى ترمز اليها الوان سيد الحيوانات المقدسة وملكها رمز القوة الخارقة الخلاقة والخصب النحل جنسيا وجسمانيا عملا فى الارض على حد قول المؤلفين القدامى على لسان الكهنة ومن عقائد المصريين التقليدية فانظر ايضا كيف نشأت فكرة حاكم واحد مونارخوس momanchos فى السماء والارض ثم كيف يفسر

بروفيروس Prophyros الفيلسوف الفلكى السكندرى تمثيل مثرا على احدى لوحاته فيقول ان وضع مثرا فى تكوين هذه اللوحة امام برج الكبش ووجهه متجها الى الشرق اى الى برج العذراء افروديت (فينوس) بهذا الموقف نجد ان الكونيبه Cautes أى مثرا رافع الشعلة يكون على يمين مثرا ذابح الثور وكما يذكر توركان ان مجموعه الابراج تبدأ دائما ببرج الكبش Nries الذى يمثل دائما على يمين مثرا أو أن يكون عى شماله وفى بعض اللوحات نجد ان مثرا يدخل فعلا دائرة الابراج وعلى لوحه حرقا (١٧٢/٥٨). وكما تذكر النصوص الخاصة بحجر الجنبات (١٧٢/ ٨٥) نذكر ان مثرا ذابح الثور على لوحة وور بروك Walbrook اللوحة الشهيرة فى وضع

منحرف.. قليلا حتى ليبدو انه يدير ظهره لبرج الكبش يعنى انه يبدو كما كان يتقدم مجموعة الابراج على خط الاعتدال الربيعي وكما يقول بزوفيروس كما يذكر لنا توركان . حسب نموذجه التخطيطي ان ذلك عندما ينحنى شريط الابراج الدائرى مع ميل سمت الشمس وحيث يكون مثلا متجها الى الشرق اى بعبارة اخرى مواجها لبرج العذراء على مستوى خط الاستواء بهذا الشكل يكون الكوتيه Coutes أى مثرا رافع الشعلة على يمين ذابح الثور (فى موقعه المفترض أمام برج الكبش) يرمز الى صعود وارتفاع الشمس الى نصف الكرة الاعلى فى القبة السماوية واذن يكون الكوتوباتية اى مثرا الذى ينزل الشعلة رمزا لهبوط الشمس فانظر كيف يرى فلاسفة الغرب فى هذه الديانة السماوية الفارسيّة وهى بنفس الوضع المصرى الدينى اخذت عنه وسارت على نحوه . اذن فذبح الثور المثروى يمثل الصلة بين مولد الربيع والبعث الجديد للدنيا وتجدد الحياة الجديدة فى فترة الاعتدال الربيعى فيتجدد العالم فى آخر الوقت اى فى آخر الشتاء اوفى الفلك يولد العالم و يبعث جديدا عندما تدخل الشمس برج الكبش كما ورد فى الذكر الماذدىن . وذلك مطابق لنظرة المصريين تماما المطابقة الى الضحية الكبرى اى أوزيريس ممثلا فى فصول زراعة القمح وابيس عندما يضحى به فى مواسم معينة وارتباط ذلك كله بدورة الشمس وما تتطور عنها الفصول الزراعية بمواسمها وفى تطورات القمر المحددة بها فترة حياة العجل المسموح له ان يعيشها ولا يتعداها حسب احكام الكهنة . فدور مثرا هو بعث الارواح . لتتناسخ ولتدخل فى دائرة وجود العالم الحيوى المتحرك وهذا هو دور الشمس عند قدماء المصريين فعقيدة المصريين فى وجود الاله الخفى Amoun آمون الذى لا يرى ولا يسمع كما ورد فى بلوتارخوس على لسان الكهنة المصريين جعل من الشمس عندهم الها ثانيا اى ديميورجا كمثرا الاله الثانى او الشمس فى الفكر اليونانى . ثم ان دور مثرا فى الفلك يتفق مع دوره كذابح الثور مما يدل على ان العالم كان موجودا قبل التضحية بالثور فالعالم خلق ليكون قطعة أو جزءا من . اهريمان (الشر) كما يذكر توركان ولذا فبعث الارواح لتتناسخ فى دائرة وجود العالم كان ضروريا لتشارك فى المعركة ضد العدو وهذا هو الصراع ضد الشر والمساهمة فى المحافظة على هارمونية العالم وترابطه فيجب اذن ان نمعن النظر فى انتباه شديد لفهم

ترلعتي العبادات القديمة واقدمها واولها العبادة المصرية فيما انطوت عليه من اسرار وفلسفة درسها فلاسفة اليونان فى مصر بو المعابد ودأبوا على دراسة وبحث تلك الفلسفة الدينية ية الشرقية القديمة التى دخلت فى عقيدتهم مع ما حملته اليهم تيارات الفكر الشرقى وخاصة من مصر فتأثرت أفكارهم بها وضمنوها فلسفتهم الغربية حتى اعترف بعض فلاسفة الغرب بان الديانات المتأخرة يونانية ورومانية ليست الا تكملة واستمرارا للديانة المصرية القديمة (١٢) فى فلسفتهم ونظرياتهم الباثاجورية والافلاطونية القديمة، والوسطى والحديثة وكان هذا الدأب على دراسة فلسفة الديانة المصرية خاصية فى أحضان الدراسات الفلسفية المتتالية حتى عصر الديانات السماوية سببا فى تغلغل هذه الأفكار والنظريات المصرية فيها.

ثور كريت

أما الثور فى كريت فكان شمسيا أى يتبع الشمس فى دائرتها كما كان فى مصر وقد ظهر على نقود هذه الجزيرة متحليا بأشعة الشمس بدلا من قرص الشمس فى مصر على رأسه فهو اذن معبود يرمز للخصوبة وليس لها للعاصفة المدمرة وأن ظن بعض العلماء أن له صلة بالزلزال الذى يقع فى منطقته جزيرة كريت وكان الحكام فى كريت يلقبون بلقب مينوس Minos كما يحمل الفراعنة فى مصر لقب فرعون وقد كان مينوس أى الحاكم وهوعماد عبادة الثور كالفرعون الها دينيا وحاكما دنيويا.

ولشدة تأصل الثور فى كريت نشأت عنه بعض القصص الخرافية الدينية المتعلقة به والتى كان منشئوها اليونان انفسهم تجارا أو مسافرين بالنسبة لما رأوه من تغلغل مناسك وطقوس عبادة الثور فى الجزيرة فكانت هذه الخرافات تتعلق مثلا بقصة يوروبا Europa الفتاة اليونانية التى اغراها الاله زيوس فاخذها عبر البحار وهو فى شكل الثور يحملها على ظهره وفى كريت أولدها مينوس (Minos) الاول ابن زيوس الذى اصبح فيما بعد عجل الجزيرة.

ثم ضمن هذه الخرافات قصة المينوتوروس أى ثور مينوس الذى ولدته باسيفاى Pasiphae أمه زوجة مينوس من عجل فتن الملكة وندلهت فى حبه كما تقول الخرافة فاختبأت داخل هيكل بقرة من الخشب صنعها رئيس الصناع بالجزيرة (دايدالوس) فأتى اليها العجل وأولدها المينوتوروس وقد وضع مينوس هذا العجل الادمى الرأس فى اللابيرانث أى المتاهة بمدينة كنوسوس وفى هذا البيرانث كان يقدم لهذا العجل اضاحى أو ضحايا آدمية من الاثينيين كل مدة معينة (ربما كل عشر سنين). ثم أنه نشأ عن صلة زوجة الحاكم باسيفاى بالعجل وجود طائفة من العاهرات تتصلن بعبادة العجل يسمون Diktriades لا يرضين أن يقربهن الا العجل دون الرجال وربما كان العجل هنا هم العابدون فى طقوسهم يتخفون فى هيئة العجول؟ ولذا فقد اجمع العلماء على أن عبادة الخصب بطقوسها ورقصاتها أهم

العبادات عند الكرتيين ومن الطبيعى ان يكونوا بموقع جز يرتهم وسطا بين مصر واليونان . قد تأثروا بعبادة الثور فى مصر فعلى مر الزمن حتى العصور المتأخرة كان الكريتيون يهتمون بعبادة از يس واوزر يس فى معابد اقيمت بجز يرتهم وفى العصر اليونانى كان معظم المختصين من كهنة رسميين وغير رسميين فى تفسير الاحلام هم الكر يستيون وقد أوردنا فيما سبق رجل كريتى يعلن عن نفسه انه مختص بتفسير الاحلام على لوحة وجدها الاستاذ مر يت فى سقارة و يقول النص المكتوب على هذه اللوحة انه يفسر الاحلام (هبة من الله وان هذا المفسر من كر يت) اى انه يستغل نسبته الى كر يت دليلا على قدرته الموهوبة له فى تفسير الاحلام وتحت هذا النص عجل ابيس امامه مذبح .

وقد صمم قصر مينوس كله او جزء منه فى مدينة كنوسوس على اساس الحركة الشمسية اليومية والسنو ية اذا كان مينوس والشمس يعبدان كثور ين فكان طابع قصر الملك دينيا لذا كان القصر المعبد هذا تصميا وهيكلا معقدا تماما لمشابهته مسار الشمس فى دورتها فى السماء فكانت له خبايا كبناء مقدس وترتيب خاص فكان هذا القصر الملكى هو ذلك الذى يعرف باللابيرانثوس السيء السمعة فى الخرافات (١٣٦/١١٧) وقد لاحظ العلماء ان تصميم القصر الكامل كان محيرا مر بكا بالنسبة للزوار من الاجانب ومن هنا ظهرت نواة فكرة تصور اللابيرانثوس وبما أن هذا القصر المقدس كان مركز عبادة الثور الرئيسى فكان الملك او ما ينوب عنه يتخفى فى شكل الثور اله كريت الاكبر و يقوم بالرقصات الطقسية فى هذا القصر المتاهة (اللابيرانثوس) وفى بعض الاحتفالات الخاصة بالثور يقوم الملك بالاجتماع بالملكة وهما فى شكل ثور و بقرة وكانوا ير بطون فى رقصاتهم بين الشمس والثور اما بالتوقيت الحركى للشمس فى الفصول الار بع تماما كما كان يفعل المصر يون فى الاحتفالات بعيد الحقل مع الثور الابيض اى ثور الاله مين Min المصرى المخصب (١٣٦/١١٨) .

وفى هذا الاحتفال تزاوج الفرعون مع الملكة وقد كان ذلك ايضا رمزا لخصو بة الارض والمخلوقات جميعا مرتبطا كل ذلك بموعد فصول تطور الشمس و يظهر ذلك بوضوح اثر مصر على عبادات البحر الابيض ولاسيا فى كر يت القر يبة من مصر

والمتصلة بها فكان الغرض من هذه العبادات والطقوس الشمسية فى كريت ان تثمر الارض وتخصب الحيوانات كما بينا فى فلسفة عبادة مثرا الثور وطقوسها المرتبطة بالحركة الشمسية.

ففى كريت ان تزى الرجل وتخفى كالثور بجلده وقرونه اصبح فى نظر الآخرين ثورا تماما كما كان ايضا عند اليونانيين القدامى ولذا فقد كانت الاقنعة جزءا هاما لازما فى الاداء المسرحى فى التياترو اليونانى القديم وكان ذلك ظاهرا ايضا فى تخفى الكورس الاول المسرحى فى الاركسترا بزى الجدى والحصان لفريق الانشاد فى تياترو ديونيسوس فى اثينا وفى غيره فى البلدان الاخرى فى تمثيل هذه الخرافات الدينية القديمة. ولذا فالتزاوج بين مينوس والملكة مرسميا كان فى كريت كما كان فى مصر فى احتفالات الربيع هذه رمزا لتجدد الحياة فى الجزيرة وارضها والناس والمخلوقات التى تعيش عليها كثور مثرا.

فانظر كيف كانت هذه الاحتفالات الطقسية ترتبط بالربيع او ... الاخصاب والخصوبة والازدهار والتجدد وقد ذكرنا فيما سبق كيف كان مثرا ذابح الثور يقوم بذبح الثور فى الاعتدال الربيعى فيخصب العالم كله و يدفع الارواح و يثيرها الى التناسخ والتكوين الخلقى فاذا هو بعث جديد من آخر ايام الشتاء وفى كريت نجد ذلك مجسما فى رمز الثور، فى مصر وكريت، وارتباط ذلك فى الديانات الشمسية بفصول تطور الشمس الزراعية ثم تجسيد البعث والتناسخ وتجدد الحياة للمخلوقات كلها انسانا وحيوانا كل هذا يرمز اليه بتزاوج مينوس اى الملك بالملكة كما يفعل الفرعون والملكة فى مصر فى عيد الحقول تزاوجا طقسيا مرسميا فى مصر كما يتزوج النيل الارض اى اوزيريس وايزيس فى موسم الفيضان فتخضر الارض وتنبت بعد ذلك ثمرات فيها حياة للانفس و بعث جديد وفى تزاوج مينوس والملكة فى كريت متخفيان بشكل ثور و بقرة فى طقوس عبادة الثور حيث تقوم الاحتفالات بمصارعة الثور فيما يشبه اسلوب مثرا فى مصارعة ثوره بما يتفق وحركة الشمس فى الابراج فى الربيع باحتفالات مصارعة الثور اى مراسم خصوبة الثور الطقسية التى تقام فى كل ربيع وهذا هو توقيت دخول الشمس برج الكبش فى الطقوس الفارسية التى يذبح فيه مثرا ثوره تماما.

فبهذه الطقوس الشمسية الشبيهة بالمثروبة الموسمية كل ربيع يقيم الكريتيون ايضا حلبة مصارعة الثور اى كوريدا Corrida كما يفسر ذلك كونراد (١٣٦/١١٩)، وقد صور الفن الكريتي كل هذه الصور الطقسية من اول اصطياد الثور ومصارعته ثم قتله تماما كما يحدث فى الطقوس المثروية الفارسية التى يذبح فيها مثرا ثوره اذ يبدأ مثرا بصيد الثور او سرقته «Klopé» من حظيرته ثم ركوبه حتى الكهف المثروى ثم مصارعته كما يصور لنا ذلك التمثال البديع المقام فى حديقة التويليرى «Tuilirie» بباريس البطل ثيسيوس الاثينى بأسلوب يونانى حى رائع عارى مجرد من ثيابه ولكن بتمثيل حركة ووضع مثرا الفارسى ذابح الثور وهذا يوضح ما كان لعبادة مثرا فى الغرب القديم من اثر ظاهر فى الامتزاج بالفن اليونانى اذ نلاحظ ان الثور هنا فى هذا التمثال يذبحه ثيسيوس باسلوب مثرا تماما المصور على لوحات مثرا الفارسية الرومانية بالمتحف المصرى.

قيد الفن الكريتي اليونانى اوجه هذا الصراع المقدس فى مصارعة الثور وهذا شاهد على تشابه الفكرة فى عبادة الثور فى مصر وفارس واليونان وكريت وفى روما واسبانيا اى فى حوض البحر المتوسط طقوس دينية واحدة اساسها قوة الثور وخصوبته وفى كريت وفارس نجد ان هذه المصارعة او التضحية بالثور تأتى فى الربيع فصل الخصوبة والازدهار وقد سجلت الاثار التى وجدت فى كريت وسجلت على التحف الاثرية كما نجده على سبيل المثال مصورا على كوبتين ذهبيتين من كريت وجدتا فى بلدة فى اليونان تسجلان صيد الثور فى البداية بربط شبكة من الحبال فى شجرتى زيتون ومطاردة المطاردين شبابا مع شابات للثيران نحو هذا الشرك فاذا وقعت الفريسة اقتادوها الى حلبة المصارعة تماما كما نجده مع الوضع المثروى فى اقتياد الثور الى مصيره وعلى كوب آخر وجدت فى غرفة العرش فى قصر مينوس بمدينة كنوسوس ثلاثة مناظر تمثل صيد الثور بوسيلة بقرة مستأنسة لاغراء الثور الوحشى فيقترب منها متوددا اليها فاذا اعتلاها ربطوا رجليه الخلفيتين فاذا به اسير كذلك زينت جدران القصر الملكى بهذه المناظر لاصطياد الثور فى فن رائع فائق الجمال تشكيلا والوانا مما كشف عنه اكبر الاثريين الاستاذ إيفانس (أرثر) الاثرى Evans (Arthur) العالم الذى قام بالكشف عن قصر مينوس فى كنوسوس عاصمة كريت كل ذلك

بتفصيل يفوق كل شبيه له فى بلدان عبادة الثور الاخرى -يمكن ان نرى من خلاله صورة تمثل الثور الوحشى فى اصطياده ومصارعته فى جميع انحاء العالم القديم فى كريت وفارس واسبانيا أما فى مصر فقد كان الثور وديعا اليفا عبادته تتوقف على لونه ورموزه وذبحه طقسيا يشترط فيه ان يكون لونه احمر لا شية فيه انه عجل مستأنس ذلول تربى على ارض خصبة وكان هو منذ الاستقرار الاول بعد الترحال عاملا فى الارض وخادما لها يخصبها كخصبه الجنسي بقوته وفضلاته ودمه كما هو الآن فى مصر فيما ذكرنا فان شرد واحد من قطعان الابقار فى الاحراش الواسعة فى شمال الدلتا مثل بلد كسيوس (بلدة سخا الآن) فلاشك ان ذلك كان نادرا فطبيعة ارض مصر تغاير البلدان الاخرى الجبلية التضاريس القليلة الماء والارض الزراعية.

كانت تقام اعياد مصارعة الثور فى كريت فى الربيع بجوار القصر الملكى المقدس فى كنوسوس ويحضرها العابدون للثور الاله اى الملك تكريما له وفى نفس الوقت تكريما لكل الثيران التى يتقمصها الملك وهكذا فهذه الاعياد الطقسية لعبادة الثور عند الكريتيين هى اعياد للربيع وترجمة لما كان يقوم به مثرا فى السماء وعلى الارض عندما يتمثل وهو يذبح الثور وارتباط ذلك بتطور الشمس ففى كريت الملك ثور كما كان الفرعون فى مصر والملكة والشخصيات البارزة والاقوياء من الناس ثيرانا اولاد ثيران فكل ذى قوة ثور فى حدود قدرته وكل ذى سلطان كان او عامل ثور كما كان مثرا ثور وفى كريت كانت الثيران صورة للملك مينوس فى خصاله من شدة وقوة اخصاب وفحولة وانتاج كالشمس فى مراحل تطورها فى السماء وتقليد ذلك فى مراحل صيد الثور وصراعة حتى نهايته المخصبة باعثة الحياة ومحيية الارض ومجددة الخلق بتناسخ الارواح فى فصل الربيع.

وقد كان فى عقيدة البدائيين أن سر قوة الثور وجبروته تتركز فى قرنيه فاتخذوا من قرن العجل رمزا لقوته وخصوبته ونشأ عن ذلك قرن البركة (القرن -Cornu والوفرة «copiae») وقد وجدت هذه القرون المقدسة فى الاماكن المقدسة وفى المقابر ولمفعولها السحرى للقوة والشجاعة كان المحاربون يلبسون فوق رؤوسهم خوذات عليها قرنى الثور ولانها رمز للثور كانت رمزا ايضا للوفرة والكثرة وتمثل وقد فاضت منها الفواكه والخيرات الزراعية وكان الاعتقاد أنه اذا وضع أى شىء بين قرنى الثور

يشتد و يقوى الى اقصى حد وفى حلبة المصارعة يقوم المصارعون الكريتيون بحركات مرسمية على قرون الثور كالاكروبات القصد منها ان تحل القوة السحرية الكامنة فى قرون الثور بملامستها لنفع البشر.

وكان لاصرار الكريتيين على الاتصاف بالفحولة يظهر فى العجول التى تمثل بعضو تناسلها منتصبا كأوزيريس Ithyphallic فى مصر وقد كانت اهم الاعمال الموسمية فى كريت هى ذبح الثور وهذا هو الطريق الذى يحصل منه العابدون على قوة العجل وحيويته التى تنطلق بالتضحية به.

و يورد كونراد نقطة هامة مميزة للتفرقة بين الاضحية الدينية الطقسية و بين الالعاب الرياضية فى حلبة المصارعة فيقول ان قتل الثور بأن يلوى المصارع رقبته فيقتله مباح للمصارع اما اطلاق الروح المقدسة المانا mana . فلا يأتى الا عن طريق الطقوس الدينية فى الالعاب اساس قوة العجل هى قرنيه اما قتل الجسم ففى مصر أقدم بلد قدس العجل وكان فيها سيد الحيوانات المقدسة فهو اعرق واقدم خادم للارض منذ عرف الانسان الاول الاستقرار وفى الشرق (الاناضول) وفى سر وعند الساميين والحيثيين اقطار الشرق الاوسط وفى فارس ايضا اذا مات الثور عاش الانسان فالاضحية سبيل للحياة الاخرى (الخشاب J.E.A.١٩٧٢) واذا انتهت بالموت كل تجسيدات الثور الاله تنبعث فى الدنيا حياة جديدة فكانت التضحية بالعجل فى كريت نعمة تعم الناس والارض فيها تنطلق الروح المقدسة المانا mana من العجل لحظة قتله فتنتفع الناس جميعا وهذا تصوير بديع لحلول الشمس فى برج الثور وحلول فصل الربيع وعلاوة على ذلك فان اكل لحم الثور نعمة وفضل ما بعده فضل لان هذا هو جسم الاله (١٣٦/١٢٤) وقد كان ذلك واضحا حتى عند يوريبيدس فى رواية (الكريتيون) يجرى القول على لسان الكورس من عبدة العجل و يصف تحولهم الدينى الى هذه العبادة و يوجهون هذه الشهادة الى مينوس قائلين (انهم قد رفعوا الى درجة القداسة لما ان شاركوا فى احتفالات ولائم اللحم النيء) (١٣٢ ص ١٢٤) وهذا يشبه تماما ما يحدث فى حفلات التعميد المثروية كما ذكرنا. يوضح ذلك كله ان الاضاحى والانخاب والولائم كانت تقام لمحاولة ان تندمج

جسديا قوة واخصاب العجل فى العابدين له وفى الارض وفى الحيوان بارض كريت وربما كانت التضحية بالعجل اثر باقيا من تقليد مرسمى لقتل الفرعون فى مصر قديما أو الضحية الكبرى ومينوس فى كريت وربما يكون ذلك محتملا فالعجل فى مصر وفى فارس وفى كريت يعتبر الضحية الكبرى كما كان اوزيريس ضحية كبرى وفدوا عظيما ينال منه الناس أمنا غذائيا وقد بقى للعالم من هذا التراث الدينى اثر فنى عظيم رائع كهذين الكأسين الذهبيتين اللذين وجدا فى بافيو Paphio مدينة باسبارطة و يعتبران من ارقى الصناعات المعدنية القديمة ثم ما وجد من مناظر محفورة على تابوت من كنوسوس تمثل عجلا قيدت قدماه وقد وضع على مذبح وذبح والدم يسيل من رقبته فى اناء سيتولا Setula على الارض فى حضور كاهنات يلعبن بالمزمار و يرقصن وهذه هى طقوس ذبح الثور الضحية المقدسة الكبرى على مذبح فى احتفال دينى تنطلق به روحه وتحيى الارض وتبعث الروح فى الحياة كما كان فى مصر ايضا اذ يحمل الثور جثة على ظهره فى طريقها الى حياة جديدة ثم كأس بديع يحمل منظر الثور كضحية كبرى يطعنه كاهن بخنجر فى رقبته فى مناسبة دينية بعيدا عن حلبة المصارعة ضحية مقدسة ثم رأس عجل على كأس الانخاب من حجر الستيانيت Steatite من كنوسوس ايضا وقد طعمت الرأس بحجر الكريستال واصداف وحجر الدم وعيونه من حجر الكريستال وقد عثر عليها مع كثير من قرابين من البلط ذات الحدين.

واما فى الفن الحديث فنظرة واحدة على تمثال ثيسيوس قاتل المينوتور القائم فى حديقة التوبليرى بباريس تعطينا فكرة عن تأصل التقليد المثروى فى الفن اليونانى والحديث عن مصارعة الثور فهذا المثال صورة صادقة للوحات المثرايا التى تمثل مثرا ذابح الثور الفارسى واختلاط عبادته فى اوروبا قديما بالفن اليونانى الممثل فى ثيسيوس Theseus فى صراعة وقتلة المينوتور وانعكاس ذلك على الفن الحديث المعاصر.

فان اردنا نموذجا قديما ترجمة الحاضر فى اسلوب مصارعة الثيران الحديث فى اسبانيا بطقوسها القديمة من العاب ورياضة وكفاءة ملؤها غرور الفتوة وشجاعة الاعتداد بالنفس عند المصارع فى منازلته للثور فى حلبة المصارعة ثم اباحة قتله اى

النهاية السعيدة للبشر والحيوانات والارض قديما كما كان تقليد مثرا فى فارس وتقاليد اليونان فى كريت ثم إلسماح بممارسة هذه التقاليد فى اوروبا قديما مع انتشار الديانة المصرية التى وحملت للعالم العربى القديم فكرة البعث بعد الموت وأهم معالم عناصر هذه الديانة واعرقها دينيا بمغزاها السياسى القديم رمزا الحق الالهى أى الثور ابيس وامتزاج كل هذه العبادات على ارض الغرب القديم وتقاربها واندماجها بتجمعها هناك بواسطة هؤلاء التجار البحريون القدامى من عبدة الثور ايضا وهم الفنيقيون الذين كان لهم فضل انشاء صلة تعارف بين عبدة الثور فى شرق وغرب حوض البحر الابيض المتوسط من مصريين وساميين و يونانيين واسبانيين. ذلك النموذج القديم الذى ظلت ممارسة طقوسة سارية بيننا حتى الآن هو ممارسة طقوس عبادة العجل فى كريت.

والواقع أن الثور لم يكن غريبا على اوروبا ولا أسبانيا خاصة فقد كانت الابقار هناك دائما فى مراعيها وجبالها واراضيها الزراعية بخيراتها ونفعها للناس و بألفتها المعروفة وحب الناس لها وشغفهم بمصارعتها حتى أن هيرمان (١٧٣) يذكر ما كان يوجه من لوم بسبب هواية عائلة آل بورجيا الاسبانية لتربية الثيران و باحتفالات مصارعتها لا لشىء الا لصلة هذه الثيران بالاصل الوثنى العريق فى عبادة ابيس خاصة الثور المصرى وكان المقصود باللوم هو بالذات البابا الاسكندر السادس آل بورجيا من عائلة بورجيا الاسبانية فى روما الذى أصر على هوايته هذه وهو الشخصية المسيحية الاولى فى منصبه الرفيع فكان اللوم الخوف من أن تشوب تصرفاته المسيحية ولو من بعيد شائبة وثنية تماما كما حرص مترجمو التوراة على حذف كلمة الثور التى تمت للوثنية قبل ذلك.

وأيضا فى عصرنا هذا وشبيه بالكوريدا فى اسبانيا نرى هذه المخاطرات والفروسية التى يقوم بها رعاة البقر فى امريكا Cow-boys الذين يمارسون هذه اللعبة. بما يشبه الالعاب التى كان يقوم بها الكريتيون فى حلبة مصارعة الثور من ركوب الثيران الوحشية التى لم تستأنس بعد والتى يعدونها ايضا للتنمية الحيوانية والغذاء كان هذا كله دلالات عما اخذ به الغرب فى العصر الرومانى من اساليب الديانات الشرقية واليونانية وقد كان أثر العبادات المصرية بارزا وخاصة فيما يتصل بعجل أبيس

المصرى الذى كان الاباطرة الرومان يتشبهون به اسوة بالفراعنة و يعتبرونه رمزا للحكم الالهى فكان ذلك واضحا فى عقول الناس وخاصة ذوى الثقافة منهم فانظر قول الشاعر فى فترة تنصيب اكسندر السادس آل بورجيا الاسبانى واقامة احتفالات مصارعة الشيران فى اثناء هذه الفترة يقول الشاعر عن هذه الاعياد انها احتفالات بظهور عجل ابيس جديد لا لتنصيب البابا (١٣٦/ ١٩٧٤) كما كانت تقام الاحتفالات والافراح عند ظهور عجيل جديد تنطبق عليه شروط وعلامات ابيس الاول بعد موته وانهاء مظاهر الحداد عليه وقد انتشرت فى روما اثناء الاحتفالات بتنصيب البابا شارات له تحمل صورة العجل كما كانت تحمل النقود الرومانية الرسمية فى العصر الوثنى صورا لابيس تخليدا لذكرى ظهور عجل جديد بدلا من الثور الذى نفق وايضا للاحتفال بذكرى هذه المناسبة وكان هذا القول الذى نطق به الشاعر تعبيرا عن الشعور العام المسيحى فى القرن الخامس عشر الميلادى امعانا فى معارضة هواية البابا والسماح باقامة مباريات مصارعة الثيران تكريما لمناسبة تنصيبه هو بابا فى روما وحتى فى الفن فقد سجلوا اعجابهم وحبهم وتقديسهم بعجل ابيس بان مثلوا مقصورة ابيس فى فن الركوكو بهيئة مذبح مما يدل على مصرية العجل وعبادته قديما فكانت هذه التقاليد القديمة تشكل عائقا لمزاولة مصارعة الشيران بعد المسيحية الا أن الاباطرة والبابوات والشعوب اقبلت على ذلك رغم معارضة المسيحية ثم انه فى وقت البابا اسكندر السادس كانت تلك التقاليد قد خلت من أى دلالة او سمة دينية ولكن هذا الشعور رغم ذلك يدل على تأصل عبادة العجل عندهم فى الوثنية قديما فانبعثت تلك الذكريات المخالفة للدين مع انتشار حلبات مصارعة العجل الا انها اصبحت بعد ذلك فى اسبانيا تقاليدا تجرى فى دماء الشعب فصارت احتفالات شعبية لا سلطان للحكام عليها دينيا وزاد فى انتشار الكور يدا Corrida de toros أى مصارعة الثيران فى المدرجات الغزو لقوطى لهذه الانحاء من الامبراطورية وهم قوم حربيون يفاخرون بالعاب القوة والشجاعة حتى انتشرت وامتدت مصارعة الثيران الى شمال افريقيا فى المغرب الاسلامى ايضا وهكذا تجردت مصارعة الثيران من هذه الوصمة الوثنية وأصبحت العابا شعبية كما حدث للتياترو

اليوناني من قبل و بعد المسيحية حضارة منتشرة عند الشعوب ملوكا وافرادا وقد امحت تماما فكرة الوثنية القديمة ونسى الناس ما كان من اصله وزالت مسحته الوثنية قبل المسيحية والاسلام رغم تشابه المصارعة قديما وحديثا وكان تمسك الاسبان بمصارعة الثيران كما يقول كونراد ناتجا عن نزعتهم الى رفض كل طغيان حتى اذا خالف الدين فكانت المصارعة بالنسبة لهم كما يقول كونراد (١٣٦/ ١٨٤) دراما رمزية ضد كل من يفرض عليهم امرا وقد اصبح الميتادور « Metador » مصارع الثور عندهم بطلا قوميا وهذا رأى صائب فقديما كما يرى دريوتون أن تمسك المصريين بعبادة الحيوان وابيس خاصة كان عملا قوميا ضد الفرس والاجانب وكان هذا ما يراه مؤيدو البابا اكسندر السادس فلا وثنية تتضمنها تلك الاحتفالات التى احياها فى روما لمناسبة جلوسه على كرسى البابوية فالثور بالنسبة للاسبانيين شىء عظيم كما كان عند الاقدمين رمزا اعظم للخصوبة فى الارض والفحولة المحافظة على النوع والتنمية الحيوانية فهو الانفع الاول لحياة الانسان ووجوده هو الذى جعل الناس الاول يتجهون بافكارهم الى وجود قوة اكبر من الجميع فالفرق واضح فقديما كان الثور الها يتمسح به الملوك واتخذوا من اسمه لقبا لهم يستمدون منه الحق الالهى فيفرضوا عبادته على الناس وحديثا كانت قوة الثور كما كان يعبد من اجلها قد زادت من اعجاب الانسان الحديث وتقديره لمن يصارعه و يتغلب عليه من الميتادور واعتباره بطلا قوميا لا الها وفى هذا لا وثنية ولا مساس بالمسيحية بل فروسية انبهر بها الشعب الاسبانى لا عقيدة رغم مظهرها الدينى الشائع قديما بل فروسية ضد حيوان مصيره ان يذبح يعد رمزا لقوة هائلة ما بعدها قوة.

ثم انه بعد اكتشاف العالم الجديد فى امريكا انتشرت فيها هذه المصارعة غير منتمية الى دين وثنى او اسطورة ما بل كانت شعبية خالصة كما انتشرت ايضا فى العالم الاسلامى بشمال افريقيا يقيمها الاغنياء فى افراحهم وفى الموالد والمناسبات العامة الرسمية وتغنوا بالثور فى اشعارهم الغنائية تماما كما كان فى اسبانيا يتغنون فيها بالثور وقوته وشجاعة المصارع فى افريقيا وفروسيته كبطل مغوار كما فى الحروب وفى نفس الوقت كان يدلل جميع الناس نساء ورجالا العجل الوديع وتطلق عليه الفتيات اسماء التدليل حتى كن يعتقدن ان روح القديسين قد حلت به (كروح القديس

مـاركـو) لمـا له من نفع و وداعة و بركة انتاجية فكر بدائى من شدة حبهم له كما كان القـدمـاء يرون فى الثور روح اوز ير يس الحية الذى هو النيل المخصب ولكن فرق بين الـفـكرتين كبير فهناك قـدمـاعبادة وهنا مجرد تدليل وتشبيه بر يئين و يطلق الاسبانيون على مـصـارعـة العجل (عيد العجل Festa toros) دليلا على انهـا احتفالات شعبية لا دينية (١٣٢/ص ١٦٦) الا ان معارضه هذا التقليد اى مـصارعة العجل ظلت قائمة حتى القرن الثامن الميلادى مما يدل على تأصل عبادة الثور ومـا تـركـتـه من تراث كافر فى افكار الناس عند الفينيقين والقرطاجيين وكلهم كانوا مـن عبدة الثور كما كان الكلتيون Celts ايضا الذين اشتهروا بخوذاتهم التى تحـمـل قـرون الـعـجل وقد وجدت فصائل كثيرة من العجول الوحشية فى اسبانيا القديمة وقد كان ذلك مدعاة لتقديس الاسبانيين للعجل اسوة بمن حولهم ايضا من عـبـدتـه ونتيجة لذلك ايضا ما يروى عن استعمال الثيران هناك كاستعمال الـفيلة عند الهـنـود ادوات حـرب فـعـالة فى القرن الثانى ق.م. هزم الاسبانيون الموالون للرومان الـقـائـد الـقـرطـاجـى هاملكار Hamilcar Berca بيركا (٢٣٧ ق.م.) بأن ساقوا ضده قطعان من الثيران الوحشية (١٦٣/١٣٦) ثم بعد ذلك بقليل اسـتـعـمـل ابنه هانيبال نفس الطر يقة ضد القائد الرومانى (فابيوس Fabius) فـهـزمـه ذ اطـلـقـت مـوخـرة جـيـش هـانـيـبـال وكانت مؤلفة من قوات اسبانية ثيرانا مـتـوحـشـة وقد ربطوا بين قرونها مشاعل زادت من توحشها فانهزمت القوات الرومانية وهـكـذا كـانـت الـثـيران بقوتها الخـارقـة وشجاعتها الغاضبة موضع اعجاب الاسبانيين وتـقـديـسـهـم فـهـى حامية لهم من اعدائهم منتصرة لقدرتها على تدمير الاعداء ودفعهم عنهم.

هـكـذا تجـد جـذور العبادة العجل وتقديسها لقوتها الحامية ونفعها العميم حتى فى الحـرب جـذور عـبـاذة تبدو متأصلة عند الاسبان فى العصر الرومانى بطقوس اضاحى الـكـثـور يـذا اى المـصـارعـة تـمـامـا كما عـنـد الكر يتيين فى سالف الوقت وعندما غير الـرومـان كـلـيـة حضارة الاسبان كانت الحضارات التى جلبوها معهم فيها الثور احد معالم تلك الحضارات وكان تقديسه قائم كما كان عند الاسبانيين على القوة والخصوبة لالـه الاسـبـان الاكبر الـثـور مـع طـقـوس عبادة مثرا وثورة الضحية الكبرى ومع ابيس

وسرابيس الذى اندمج فى الههم الاكبر جوبيتر.وقد أنشأوا له معبدا فى مدينة اوليسو Oleso على ساحل البحر الابيض فى قرطاجنة مما يدل على شيوع عبادة ابيس المصرى الرومانى فى اسبانيا وقد كان أهم معبودات الاسبانيين مع معبودات الرومان وهو جو بيتر -سيد الخلق|ومارس اله الحرب وربما كان دليل وجود هذين الالهين فى اسبانيا انهما كانا رمزين لالههم قبل الرومان وهو الاله العجل القديم|مما دعى احد المتحمسين المسيحيين فى وصفه مصارعة الثيران هناك انها «بهجة جوبيتر الجهنمى».

هذا هو الثور منذ ظهوره فى حياتنا فى مصر حتى وجوده بيننا الآن فى مصر والعالم اجمع انه اقوى واشجع من الاسد وانفع منه للبشر وكان رمزا للشمس فى مصر ورمز الحق الالهى عند الملوك من الفراعنة قبله وظل كذلك حتى العصر المتأخر اليونانى الرومانى فاتخذه الملوك والاباطرة رمزا لهم على حليهم من خواتم ملكية كما يفصل ذلك حفر للعجل غائر على قص خاتم مستطيل من العقيق ثمين فيما ذكره فيرماسيرن Ver-maseren (١٧٥) ضمن مجموعة تماثيل ابيس اليونانية الرومانية اذ يقف ابيس معتدا بنفسه بادى القوى والجبروت وقرناه يشبهان شكل القيثارة (الهارب) طويلان مثبتان على كرة صغيرة فوق رأسه تعلوها كرة كبيرة بين قرنيه تبدو انها كرة شمسية وفوقها ثالثة صغيرة ربما كانت تشير الى القمر الذى ينتسب اليه العجل فى ولادته فالقمر هو المخصب حتى اطلقوا عليه (ام العالم) فيما يخبرنا بلوتارخوس فهو اذن ينتمى الى الكوكبين النيرين اهم الكواكب فى السماء ويحمل على كل قرن حية واحدة للشمس والاخرى للقمر وأما الكرة الاولى تحت القرنين على رأس الثور فتشير الى الكرة الارضية وذلك كله يشير الى مجال الحكم العالمى بالحق الالهى، أى الكوزموكراطى أو الحاكم العالمى بأمر الله محكمة ثيوقراطى يشمل الكون اى الكوزموس كله ولذا نجده يحمل رمزى فرعون الحاكم على كتفه الايسر اى الهلب والمذبة: رمزى عصا الراعى وسيادة القانون وهذا يشير الى واجب الفرعون واساس حكمه لشعبه كما يحملها كل فرعون يمسكهما بيديه مستمسكا بهما حريصا عليهما رافعا اياهما شعاراً لحكمه على كتفيه وصدره انهما رمزا عدل الحكم الالهى،سيادة القانون والانسانية وعلى ظهر أبيس قرص الشمس المجنح رمزا الهيمنة والانتماء الى

الكوزموجونى وتحت القرص المجنح على ظهره يظهر حورس الشمس المتجددة دليل النماء والحاكم على عرش ابيه اوزيريس من بعده، تشكيل لايس يونانى رومانى ممثل لحق الامبراطور الالهى وهيمنته على الكوزموس بأكمله وظل الشمس على الارض كما كان الفراعنة على عدالة الشمس وشمس العدالة.

واذا ما رأى انسان أسدا حاول الهرب منه او قتله، خطره دائم وقائم مهما أحسنت اليه وفرصة النجاة منه غير محققة فاذا ما لاقاه فرد واستطاعت ساقاه حمله بما هو عليه من هلع قال: اين المفر؟ فلقاؤه مرعب مخوف وخطره داهم حتى ان المصريين مثلوه ضمن الحيوانات الضارة بالانسان على لوحاتهم الوقائية من شره مع العقرب والثعبان والتمساح والغزال أما الثور فمثلوه على لوحات شفائية يلوذ به الناس طلبا للشفاء والحماية حتى اذا ما رأى الانسان ثورا استبشر به خيرا كذلك الفص التميمة الذى يحمل الثور وفوقه دعاء (احنا) باليونانية فيما ذكرنا لا يتوقع منه شرا ولا يستشعر منه خوفا، بل يرى فيه خيرا ويحس منه معروفا وألفة وحنانا بالبشر بادى البشر باطمئنانه واستسلامه وهدوئه حتى اذا كان وحشيا استؤنس، لا أنه انبل من الاسد واسلم واطيب، حياته نفع وخير للناس و بركة وموته رزق لهم وخصوبة لارضهم، التضحية به خير للفقير والغنى وكل ما يتخلف عنه فوائد للناس ومنافع مادية كحياته اما الاسد فان قتلته فلا تفوز منه الا بدفع شر واقع وتظفر من ذلك بلقب شجاعة يستمد من اسمه ليس لك فضل بتحديك اياه فبالسهم او البندقية تستطيع ان تقتله من بعيد أو من كمين النساء كما يفعل الرجال سواء بسواء فلا منازلة ولا مواجهة الا من خيال الشعراء اما الثور فنازلته شجاعة والتفوق عليه فروسية و بطولة فان قتل فذاك مصيره لنفع العباد فلن يبقى ثور دون ان يذبح بيد انسان وتلك سنة الحياة فاين من الثور الاسد؟ او اى وحش ضار غيره؟ انه حيوان ذو قيمة وفضل فمن كثرت مواشيه قديما وحديثا فهو ذو مال وكان الثور اداة تبادل كالذهب بيننا الآن ومن أقوال اليونان السائرة (مشى الثور على لسانه) اشارة الى نقود الرشوة التى تسكت الخطيب عن الافصاح برأيه. وفى عصر التبادل بالنقود اطلق على خزائن الذهب (رأس المال) نسبة الى رأس الثور الذى كان اغلى من الذهب قيمة عند البدائيين قبل ان يعرف الناس من المعادن فضة او ذهبا انه (رأس المال الغذائى العتيد).

فما جدوى زيادة مليون اسد لنا ؟ إذن لا نتشر الخوف وامتلأنا ذعرا من مهاجمة هذه الكواسر للارواح من بشر وحيوان ولهرب الناس فرارا من خطر جوعها وجف الزرع بعد ان هجروا الارض . اما اذا زيد هذ العدد عندنا ثيرانا اذن لاسعدتنا هذه الثروة ولتعمنا بهذا الرخاء واستمتعنا بالوفرة واليسر وعشنا رغدا وذلت اعناق القصابين .

الـثـالوث الازلى مصرى مائة فى المائة ، نشأ اصلا في مصر من تأثير فلسفة البيئة المصر ية الـديـنـيـة التى طـورها فلاسفة اليونان وكملت تكو ينا كما فعلوا مع الديانة المصريـة الـقـديمـة كـلـهـا فاصبحت ديانتهم تكملة للديانة المصرية كما استمرت فى الـفـلـسـفـة المـسـيـحـيـة فمصر الفلاحين اقدم « بلد زراعى تعيش على الارض فى العالم كـانـت عناصر وجودها ثلا ثة الماء اى النيل اى اوز ير يس الاله المخصب ، ثم الارض الـسـوداء أى از يـس ، ثم الـشـيء الـذى لا غنى عنه والامل المرتقب والامنية المرتجاه الـذى يتحقق من هذين العنصرين الماء والارض . وتتعلق بها حياة الناس او موتهم الا وهـو الثـمـر اى الـنـتـاج النباتي او حورس هذا هو الثالوث الطبيعى الذى يكون وحدة واحدة متكاملة لا تنفصل ولا يغنى اى عنصر من عناصره الثلا ثة عن الاخر فوحدانيته سـرمـديـة لا تنحل ولا تتفرق ولا تتجزأ وهى حياة او موت بالنسبة للمصر يين تتمثل مجـتـمـعـة هـى الحـيـاة الابـديـة وهى البعث والتجدد وفيها سر الوجود فانفراطها هلاك للـنـاس وذلـك الـثـالـوث بـالـيـونـانـيـة أو «trias» قـد تـطـور عـنـد الـفـلاسـفـة الـبـيـتـاجـور يين والافالطة اليونانيين فى اليونان والاسكندر ية . وقد عرفه الـيـونـانيون بأن اروع اشكال الطبيعة الالهية ما كان مكونا من ثلاث : من العقل ومن المـادة ومما ينشأ عنهما اى الخلق او العالم (كوزموس) كما يـسـمـيه اليونانيون (١٧٦) ومن هـنـا نـشـأت فكرة مثلث الخلق عند البيتاجور يين المحدثين اى عنصر التذكير وعنصر الـتـأنـيـث ثم الخـلـق أو الـكـوزمـوس وهـو المـثـلـث القائم الزاو ية (فالعمود طوله ٣ (أوز ير يس) والقاعدة طولها ٤ (از يس) والوتر طوله ٥ (حورس) .

وكـأنمـا اراد بـلوتارخوس ايضا ان يستخلص اصل هذه النظر ية الخاصة بالثالوث المـقـدس عـن الـعـقـيـدة المـصـر ية اذ يقول « يبدو انهم اى المصر يين قد شبهوا الطبيعة الـكـونية خاصة بهذا المثلث الذى هو اروع المثلثات واكثرها تقديسا عندهم » (١٧٧) . والـواقـع ان مـا افـتـرضـه بـلـوتـارخـوس كان مصر يا صميما ورد فى اسانيد المصر يين الاسـطـور يـة فـيـذكـر بروجس (١٠٤) ان الـتـقـاليد فى مدينة تيبس كانت فيها عبادة

اوز ير يس فى ثالوث او مثلث مكون من.

(١) اوز ير يس بشكل عجل ابيس.

(٢) از يس البقرة المقدسة مغذية ابنها حورس (Horsecha حورسخا)

(٣) الطفل حورس او ابيس الصغير اى العجيل.

هذا هو المثلث الالهى الازلى سر وجود مصر الذى بنى عليه المثلث اليونانى. وقد ورد ايضا فى نصوص الواحات ان المفهوم فى تصور الناس جميعا ان از يس لم تكن وحدها بل ان زواجها من النيل فكرة مجازية متضمنة فى مفهوم الجميع وكما ورد فى كشوف المديريات فى مصر السفلى فى مدينة أموت «Amut» وهى حاضرة المديرية الثالثة (الليبية) ان از يس كانت تسمّى حتحور الذهبية (اى نوبيت) وحورس الطفل كان هو العجيل الذى ولدته از يس كما كان يمثل فى تصورات العصر اليونانى الرومانى وقبل ذلك على لوحات العصر الفرعونى بالمتحف المصرى فى تصه يره على لوحات وفصوص خواتم العصر الرومانى يذكر فيرماسير ين «Vermaseren» (ملاحظة ١٧١) الجزء الثانى ضمن مجموعته من تماثيل ابيس (فن خاتم) من الاونيكس نقش ء العجيل واقفا وقرص الشمس بين قرنيه وامامه از يس جالسة على عرش ترضعه اى العجيل (حورس) من ثديها (لوحة ٢٠٨ رقم ٥٧٨) وهو (حورس) الذى ولدته أمه از يس للعالم كما في نصوص حورس «Horus Texten» ولكن بصورة اخرى غير صورة از يس الآدمية التى ترضع العجيل فى العصر المتأخر اليونانى الرومانى.

فحسب هذه النصوص يصف بروجش صورة العجيل التى يقف بين ارجل امه المضيئة من فوقه و يعقب على ذلك فيقول (اى بعبارة اخرى شمس الصباح اليومية وفى سير الشمس فى دورتها السنوية التى تشرق من الشرق يكون هو الشمس المبكرة) أى شمس باكورة الصباح (ملاحظة ١٠٣) وكما اوردنا يكون هذا اساس التصور الدنيوى الحسى (الاب والام والابن) الثالوث الدنيوى وعلى غراره اى انعكاسا للثالوث او المثلث الالهى الذى وجد فى طيبة ايضا مكونا من آمون (ز يوس اليونانى) الاب ثم من موت Mut (هيرا اليونانية) ام ثم الابن خنسو (هرقل اليونانى) كقول بروجش ولكنه يعقب قائلا «أنه يجب الا يخامرنا سوء فهم من وجهة

نظر فكرة عدم تجزء او انفصال الوحدة الإلهية بين هؤلاء الاعضاء الذين يتكون منهم هذا المثلث» فقد استبعد بروجش كل فكرة او تصور فيما يتصل بتكوين هذا الثالوث الالهى كالبشر نهائيا الذى فيه تتمثل قوة الوحدانية الالهية واضحة فى الخرافة يظهر رع بانه رع موتيف «Ra-mutif» أى زوج أمه موت وموت هى ام ابيها واخت ابنها» تماما كما كان بالنسبة للالهة حتحور ودندرة فهى احيانا تكون «أم ابيها اله النور رع» وان الابن خنسو «والد ابيه» فالفصل فى التصوير بين الثالوث الالهى السماوى و بين المثلث البشرى الموازى له والذى هو انعكاس منه على الارض. وهو مانبه اليه بروجش اى هذا الثالوث الالهى كما قدسه وحده المصريون فى عبادتهم هو ما يشهد به بلوتارخوس انه المثلث المصرى السماوى. والاكثر تقديسا عند المصريين فيما اراد قوله من أن افلاطون قد اقتبسه لشخصيات الزواج عنده أى «gamelion paragramma» .

أذا أن المصريين حسب قول بروجش قد فصلوا بين المثلثين تماما فى التصور وكان استنباط افلاطون له فى سياسته (ملاحظة ١٧٧) فى امر التزاوج على غير ما تصوره المصريون بالنسبة لفصلهم مثلثهم الذى كانوا يقدسونه عن الثالوث الدنيوى كما قلنا.

الواقع ان ما افترضه بلوتارخوس كان صحيحا فهذا المثلث الذى ليس له مثيل فى اهميته والرائع التكوين والتناسب انما كان على اساس حياة المصريين منذ الازل وهو ايضا من وجهة نظر رمزيته اساس الكون ودعامة استقراره فاذا نظرنا الى هذا المثلث من وجهة نظر الكوزموجونية أى الكونية تجده يتكون من الاربعة عناصر الهامة المكونة للكون وهى الماء والارض والشمس (النار) ممثلة فى حورس وكذلك الهواء الذى يمثله حورس ايضا فى رمزه كصقر.

والعناصر المكونة لهذا المثلث لها عند افلاطون مسميات خاصة فازيس عنده هى عنصر التأنيث فى طبيعة هذا العالم و يسميها المادة والام والمرضع ومكان الخلق قاعدة الانتاج (١٧٨).

كما أن اوزيريس عنده هو العقل و يسميه العقل والنموذج وهو الاب (١٧٩).

أما ما ينتج عن كليها أى از يس واوز ير يس فيسميه الخلق اى حورس (١٨٠)

ثم ان المثلث الرائع او كما يسميه البيثاجوريون المحدثون مثلث الخلق يتمثلونه بشكل مثلث قائم الزاو ية طول العمود فيه ثلاث وحدات طولية: ثم طول القاعدة اربع وحدات طولية وطول الوتر خمس وحدات ثم ان هذا الوتر اذا ربع يكون مربعه مساويا لمربعي الضلعين الاخرين العمودي والقاعدة ومن الضروري ان يمثل الضلع العمودي العنصر المذكر والقاعدة العنصر المؤنث والوتر يمثل انتاجهما معا.

وعلى هذا طبعا يكون اوزيريس بمثابة الاصل اى انه هو الاب وان بازيس بمثابة العنصر المستقبل (الام) وحورس الانتاج المنجز.

ثم أن العدد (٣) هو العدد الفردى الأول (١٧٨) الكامل trias أو teleios والعدد (٤) هو مربع العدد (٢) أول عدد زوجي وان العدد (٥) جزء منه يمثل الاب اى (٣) والاخر الأم اى العدد (٢) اذ انه مجموع هذين العددين (٣) و (٢). (١٨٣).

ثم يفسر بلوتارخوس معنى العدد (٥) فيقول ان العدد (٥) معناه فى الاصل مشتق من فعل يعد باليونانية وذلك بالنسبة لعدد اصابع اليد الخمسة الوسيلة الاولى للعد عند البدائيين وان هذا المربع ايضا البالغ مساحته ٢٥ هوقدرسنى حياة عجل ابيس كما ذكرنا اى المدة التى حددها الكهنة ليعيشها العجل ولا يتخطاها وفى اعتقادى ان القول بان عدد (٢٥) اى (٥ × ٥) اى ما يساوى حجم مربع وتر مثلث الخلق من المحتمل جدا أن يكون مرتبطا بفترة حياة عجل ابيس وهو الذى تربطة بالقمر صلة قوية كما ذكرنا فيما سبق ويمكن ان يكون هذا الاجل محددا بخمس وعشرين سنة أى فترة تطور قمرى كما يرى الاستاذان هيرمان وكونراد فى تفسير العدد ٢٥ كمساحة مربع الوتر فى هذا المثلث.

ثم يقول بلوتارخوس ان وتر المثلث اذا ربع كانت مساحته بقدر عدد حروف الهجاء المصرى ويعارض هذا الاستاذ (هوبفنر Hopfner) ومعه ايضا (اتو Otto) بسبب ان عدد حروف الكلام كما ذكرها الاستاذ جاردنر اربعة وعشرين حرفا واحسب ان مربع الوتر هذا اى الكون (كوزموس) ربما كان مساويا لعدد حروف الهجاء فى عصر بلوتارخوس كما أخبره الكهنة المصريون بذلك او ربما قصد بلوتارخوس ان المربع يسع حروف الهجاء الذى تتكون منه لغة الخلق فى مربع

الخلق هذا باضافة علامة اخرى كعنخ مثلا تشير للحياة ان صح هذا الرأى فتكون دلالة على الخلق الكونى كله كما نجد مثلا لذلك فى تأويل لنظرية الخلق فى اسرار القابال (القابلا) اى التعاليم اليهودية وفيها تعتبر حروف الكلام وعددها اثنين وعشرين حرفاً مع العشرة اعداد (١-١٠) اى السفيروت بمجموعها معا تبلغ ٣٢ حرفاً وعددا التى فسر بها معنى الاثنى وثلاثين طريقا خفيا التى ذكرت فى كتاب قضايا الخلق Yetzirah واصل الكون فيما ذكرت من ان «الله الخالد رب الشعوب اله اسرائيل الاعظم .....قد خط اسمه وخلق عالمه عن طريق اثنين وثلاثين طريقا خفيا» اذ يعتبر اليهود ان شريعتهم وتاريخهم كانوا من كلمات الله باعتبار ان هذا الذكر لا يعدو حروف الهجاء والسفيروت العشرة اى (٣٢) ففسرت هذه الشعاب الخفية الاثنتان وثلاثون شعبة انها حروف للهجاء مع الاعداد (١٨٤).

كما ذكر فى كتاب الصهيونية العالمية ان اليهود كتبوا تاريخهم بيدهم و يكادون يكونون الوحيدين فى ذلك «وضعوه فى اطاره الانسانى حسب هواهم بل وضعوه فى اطار المقدسات والغيبيات وجعلوه كله وحيا من السماء نازلا بارادة الله و بالفاظ فه بحيث يعلو فوقه الجدل والنقاش» ونرى ان ذلك كان على غرار ما كان يجرى فى مصر فيما ورد فى الكتابة المقدسة المصرية وهى التى كان المصريون يعتبرونها لغة الخلق اى اللغة المقدسة.

ثم يذكر ايبشتين ان هذه الشعاب فى علم الكونيات قد فسرت بحروف الكلام الاثنى وعشرين مع العشرة السفيروت اى الكائنات غير المادية اى الشكل الذى تشكل المادة وتجسدها و يذكر ان مصادر هذا قد وجدت فى مراجع مختلفة من زرادشت وعن الكلدانيين (١٨٤/٢٨٨) وان نواة تعاليم كتاب يتزيراه أو Yetzirah قامت على أساس قول ورد فى كتاب بعنوان ملحمات الآباء أو ما قام به الاسلاف، Epics of the Fathers ان الخلق قد تم بعشرة من النطق الالهى وهذه المنطوقات العشرة قد فهمت فى سفر اليتزيراه بانها تتضمن حروف الهجاء العبرية التى فى تكوينها قد اوجدت اللغة العبرية القديمة لغة الخلق وان الاعداد اى السفيروت قد أمدت كل التكوينات بالعدد الى ما لا نهاية.

هكذا يفسر بوضوح بلوتارخوس معنى الاعداد فى مثلث الخلق واهميتها بالنسبة

للفلسفات اليونانية التى عالجت نظرية الثالوث مما قد يكون لما ذكر من عدد حروف الكلام له مثيل عند اليهود فى معنى عدد حروف الهجاء او لغتهم ومع الاعداد مرتبطة ببعضها كانت الادوات التى خلق الله بها العالم بمظاهرة و بكل تكوينات وجوده المختلفة التى لا حصر لها وهذا ما أحسبه قول الكهنة لبلوتارخوس من ان مربع الكون فى مثلث الخلق يسع كل حروف الهجاء الهيروغليفى وذلك يعنى خلق العالم فاذا كان ذلك هو ما قصد الى قوله الكهنة فاولى ان تكون اللغة المقدسة (الهيروغليفية) هى اللغة التى توصف بانها لغة الخلق فهى اللغة المقدسة والاصل السامى الذى نطق به آمون فى ثامونه او تاسوعه فتكون من تكوين حروفها لغة مقدسة اجمع العالم كله قديما وحديثا على اعتبارها وتسميتها باللغة المقدسة او النحت المقدس (باليونانية أى (جلسيفى أو glyphe) أى نبحبت ثم (هايرو أو hiero) أى مقدس اى الكتابة المقدسة وفيها الهيراتيكية (المقدسة) وفرع منها يسمى الديموتيقية اى لغة العامة او الدارجة فهذه هى اللغة المقدسة لغة المعابد والطقوس والدين وليست للغة العبرية او غيرها من لغات العالم فاللغة المصرية هى اقدم لغة وهى المقدسة باعتراف الجميع فان نظر اليهود نظرة تقديس للغتهم فذلك لانهم يقدسون كتابهم الذى نزل باللغة العبرية التى كانت أمها وأصلها اللغة المصرية القديمة فمشوا على نفس الدرب المصرى فى وصف لغتهم بالتقديس وأيضا دينهم العنصرى فوصفوا لغتهم بلغة الخلق وهى اللغة الفرع لا الاصل وليست هى لغة الخلق بل هى لغة التوراة كما كانت العربية لغة القرآن وهما دينان سماويان تعترف بهما وليسا قاصرتين على شعب واحد بل للناس اجمعين فكانت تسمية اليهود تقليدا ساذجا للغة المصرية القديمة المقدسة (الهيروغليفية) التى ارادوا وهم الاقزام ان يتطاولوا و ينافسوا لغة كانت لهم قمة وسيدة للغات السامية كلها استغفر الله فليس للخلق لغة يعلمها انسان فعلمها عند الله اما لغة الكتب المقدسة فهى اليهودية للتوراة وللانجيل والعربية للقرآن.

فمنذ الوجود ومصر تؤمن بهذا الثالوث الاول الاقدس الماء والارض المخصبة والانتاج أو النبات وقد أحبه المصريون باعضائه الآلهة اوزيريس وازيس وحورس وآمنوا بهم فى وحدتهم و وحدانيتهم فيه وعبدوهم فيه ثالوثا ارضيا ماديا معهم ثم رفعوه بتصورهم الأرضى مصداقا لما وصفته النصوص الهيروغليفية الخاصة بالمادة الازلية فيما

ذكرنا من قبل على لسان بروجش عن هذه المادة الازلية اقدم كل الآلهة وتعتبر الام الازلية فى شكل البقرة حتحور اذ يقول عنها «زوجة و بنت اله النور-رع-ثم هى أم ابيها و بنت ابنها الذى هو زوج امه» فهذا اذن ثالوث تصورى قائم على فكرة تصور الفلاح المصرى لثالوثه الارضى لا يمكن ان تنفصل عناصره المكونة من رع ثور السماء مشمسها وحتحور الهة السماء ممثلة المادة الازلية وحورس العجيل وشمس الصباح فالكل واحد والواحد يشمل الكل فلا انفصال بين افراده حلقة لا يعرف اولها من منتهاها من ثلاثة هم الواحد والكل دائمو الحياة والتجدد كثالوث الارض بمواعيد النيل المرتبطة بحركة الشمس فى السماء وحدانيتها هى الحياة السرمدية والتجدد الابدى لا أول لها ولا نهاية فى الفلك هذا هو الثالوث المقدس عند بلوتارخوس والذى اخذ عنه الفلاسفة اليونان نظر يتهم ثم أليس هذا التزاوج الفلكى السماوى الذى يصور المحافظة على الوحدة المجسمة للوحدانية الالهية الخلاقة للعالم لهذه الآلهة العلية فى سمائها والمرتبطة برع ثور السماء اى الشمس الاله القرين الوسيط عقل العالم المدبر والعقل الابوى للاله الخفى الذى لا يرى ولا يسمع وهو وراء كل الآلهة فهذا ثالوث يمثل الوحدانية والوحدة التى كان لها صدى دنيويا فى عائلات الحكام على الارض وكيف كان الزواج بالاخت والبنت صدى فيه أثر من هذه الصورة الشمسية السماوية للمحافظة على وحدة العائلة الفرعونية فى الارض صورة الملك الاله على الارض واندماج الاسرة الفرعونية فيه للمحافظة على الدم الملكى الالهى تصور دنيوى كما هو حادث دينيا بين الآلهة فى هذا الثالوث المكون من الاب والام والابن امتد صداه الى سياسة الحكم الدنيوى كما ذكرنا على اساس وحدة الدم الملكى فى الاسرة الحاكمة ونظرية الحكم فى مصر.

ثم كان له صدى فلسفى يكمل ما كان قائما فى الثالوث الازلى المصرى اذ يذكر بلوتارخوس ان افلاطون قد استنبط هذا الثالوث فى تكوين الزواج عنده وكان ذلك على غير ما فرضه التقليد المصرى بالفصل ..بين التصور الدنيوى والتصور الالهى لهذا الثالوث فى مصر كان ايضا تصور فكلى قائم على فكرة تصور الفلاح المصرى لثالوثه الازلى ذى الوحدانية التى لا يمكن فصل اعضائها عن بعضهم البعض والا هلكت الارض ومن عليها فوحدانيتها هى سر حياته و بقائه كما لا يمكن فصل عناصر الثالوث السماوى الشمسى فى توقيته اليومى والسنوى وانضباط سير الحياة الزراعية.

انها حلقة فكرية مصرية متصلة بين الفلسفات القديمة والحديثة فى الفكر الانسانى كله روحيا ودنيويا سارية معنا فى دنيانا حتى الآن.

وفى هذا الثالوث الارضى ايضا يدخل كل مخصب يدور فى فلك اعضائه او ينتسب اليهم بخدمة الزراعة والتنمية فى الحيوان والمحصول ورفعوهم جميعا نجوما وكواكب فى السماء تدور فى دائرة المخصب المهيمن الاعظم وهو الشمس فكل مخصب بعين على الانتاج والوفرة قد اتخذ رمزا للثالوث واعضائه واصبح الملك وهو الثور الكبير رأسا للثالوث ولكل بانثيون ومجمع الهى ثامونا او تاسوعا فى اى مكان فى مصر فهو اوزيريس ميتا وحورس حيا تجمعت فيه كل فضائلهم وقدراتهم فاصبح الاله الملك والملك الاله.

وقد كفر المصريون بكل من يعارض هذا الثالوث ويحول دون قطوفهم خيراته فهذا الثالوث منبع حياتهم وامنهم الغذائى وخيرهم ورخائهم و يسرهم فمن تدخل بشر فى عمله او حال دون اتمامه كان يريد لهم الهلاك فلا ماء مخصب ولا ارض خصبة فلا زراعة ولا محصول وهو عدوهم وعدو آلهتهم وقد كان وعاظهم وحكماؤهم احرص على تحذيرهم فى وصيتهم للناس بالتقوى واقامة شعائر العبادة والولاء لهؤلاء الآلهة الخيرين حتى لا يتخلوا عنهم و يرضون عليهم و يفيضون عليهم بالحياة والرغد والخير العميم والرزق الواسع.

ثم يأتى الملك فيوحد الناس والارض فى حكمه و يتخذ من الثالوث الها و ينتسب اليه بفضائله وعدله وانسانيته و يعبد رموزه و يندمج فيها فيصير ثورا كبيرا اى ابيس وروح اوزيريس الحية وزوجته ازيس و يتخذ من الثالوث آباء وأبناء فيعبدهم الناس فى شخصه و يصبح ممثلا للآلهة على عرش مصر كحورس العظيم.

ثالوث الخلق عند الفرس

وفيما سبق ذكرنا ثالوثا فارسيا على غرار الثالوث المصرى الازلى مكونا من أهورامزدا ومثرا واناهينا كقاعدة انتاج وهى العنصر المؤنث فى العنصر النارى الثنائى الفارسى المضيء فى السماء أى القمر وقد مثلت اناهيتا قاعدة الانتاج فى هذا المثلث الفارسى بثلاثة أوجه كالالهة اليونانية المثلثة الوجه triplice أو triformi vultus أى الالهة هيكات Hecate اليونانية التى تعرف بأم الارواح كذلك مثلت اناهيتا الالهة الفارسية فى المثلث الفارسى وقد فسر ذلك الفلاسفة الافالطة كما فسر افلاطون الثلاثة اوجه فى الالهة اليونانية هيكات بانها اوجه الروح وهى الاوجه التى تمثلها الآلهات اليونانيات الثلاث اثينا للعقل فى الرأس ثم الرغبة والطموح فى القلب تمثلها ارتيمس الهة الغابات والوحوش والصيد ثم افروديت الهة الشهوة ولذة الاخصاب الجنسى وموضعها من جسم الانسان الكبد كما ذكرنا .

فاذا ما قارنا اناهينا الفارسية بقاعدة الانتاج فى المثلث الازلى المصرى وجدناها مطابقة الى حد بعيد لازيس فى ثالوثها المصرى الازلى مع اوزيريس وحورس أى مثرا الفارسى وقد حملت النقود الفارسية تمثيلا لهذا الثالوث الذى كان ملوك فارس يستمدون منه الحق الالهى اذ مثل اهورامزدا وهويتوج الملك فورود الفارسى Vorad (القرن الاول ق.م.) وهوجالس على العرش بحضور اناهينا ومثرا فى هذه الصورة كما ذكرنا من قبل (١٣٤/١٠٠) كما أن نجمة اناهينا فى السماء هى افروديت أو فينوس Venus أى الزهراء كما كانت نجمة ازيس فى السماء هى سيريوس اى صوثيس الشعرى اليمانية) وكما كانت اناهينا هى القمر كما ذكرنا فان ازيس فى مصر كانت القمر المنتج المخصب ايضا .

أما هذه الآلهات الثلاث اليونانيات التى تمثل عند الفلاسفة الافالطة اوجه الروح فتدخل جميعها ضمن قدرات الالهة ازيس المصرية ذات الاسماء التى لا تعدس وهى تتضمن فى قدراتها كل قوى الآلهات اليونانيات والرومانيات فى كل العصور ،

التي مرت بمصر وتمثلها جميعا الالهة المصرية ازيس الام المرضع كقاعدة الخلق فى الثالوث المصرى وقد سار على هذا الدرب ثالوث اهورامزدا ومثرا واناهيتا فى العصر البارثى ومثل على النقود الفارسية كما مثل ثالوث الاسكندرية الرومانى من سرابيس (اوزيريس) وازيس وهاربوكراتس على النقود الرومانية التى تسمى نقود الاسكندرية التى كانت تضرب ما بين القرن الاول والثالث الميلادى فى الاسكندرية كعملة خاصة بمصر دون بقية الاقاليم الامبراطورية .

ونحن لا نعرف مدى تأثير هذا الثالوث المصرى الاول على مثلثات الخلق فى العالم القديم كله ولكن تغلب النظرية الفلسفية اليونانية على كل الديانات القديمة قبلها فى الشرق جعل هذه الديانات فى العصور المتأخرة شبه موحدة عن طريق هذه الفلسفة أى الاكليكتسموس التى قربت بين الديانات ورموزها اى السنكريتيز syncretisme التضارب الذى نشأ عن نظرية الفلاسفة الاكليكتيكيين أى Ekleklikoi من القرن الثالث ق. الذين يوحدون أو يوافقون أو يقاربون بين الديانات والرموز المختلفة وكما ثبت فقد كان هذا التقارب على اساس مثلث الخلق المصرى الاول .

ثم انظر كيف بقى هذا الثالوث بفكرته المصرية الازلية الوحدانية التى لا انفصام لها لكل ما اضفته عليه الفلسفة اليونانية من تأثيرات الفكر الغربى وتوحيده بالتقارب «ي syncretisme» مع الثالوث الفارسى فى تفسيراتها وما اعدته لها فى شروحها لصفات اعضاء هذا الثالوث من تأويلات حتى نصل الى القرن الرابع الميلادى حين نصل تطور التثليث عند جامبليكوس الفيلسوف الافلاطونى المحدث فى الاسكندرية فيطبق هذا المثلث على ثالوث آلهة العقل والفكر أى الثالوث الروحى اذ يتخذ فيه من كرونوس او خرونوس Chronos ساتورن الذى يتمثل فى (الايون Aîon الابد) برأس الاسد والذى يتوحد مع زيرفان آكارانا (Akarana Zervan) الفارسى وقد رأى فيه الاستاذ» «Chr. Lacombrade» (ملاحظة ١٣٠/١١٧-٨٧) لاكومبراد وصاحب احدث ترجمة لخطب جوليان المرتد (كرونوس ساتورن أى Krnos Saturn) أى الوقت الازلى اللانهائى - اتخذ جامبليكوس من كرونوس هذا الها أول أى (الاب Pater (الاصل) فى الثالوث (أو الابدية) فهو

اللوجوس «Logos» أى السبب ثم شخصية الثالوث الثانية Rhea الام وهى القوة «dynamis» الروحية المرشدة ثم الاله زيوس الابن ثالث هذا الثالوث الفكرى وهو الذى يمثل العقل الأبوى Patrikos noi المدبر للكون).

هكذا انصرل الى ظهور مبدأ روحانى نكرى فى التثليث كان له اثره فى الحياة الدينية بعد ذلك حتى الآن (ملاحظة ١٣٤/١١٧ ثم ١١٨ ملحوظة ٩٠).

التجمع الثالث لليهود
أو
العودة بعد الخروج
بقيادة الكاهن الاعظم

هونيا Honya أو Onias باليونانية

« يقول اشعيا ١٩/١٨-١٩ » فى ذلك اليوم يكون فى ارض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان وتحلف لرب الجنود. يقال لاحداها مدينة الشمس فى ذلك اليوم يكون **مذبح للرب وسط ارض مصر وعمود للرب عند تخمها » .**

وقد ذكر جوز يفوس المؤرخ اليهودى هذه النبوة و يؤكد اسنادها للنبى اشعيا فيقول « لان هذا حقا ما تنبأ به النبى اشعيا » ([١٣٩]) وربما يكون قوله هذا ناشئا من قول اليهود المعارضين ومن كان ضد اليهود من الرومان بمصر ممن كانوا جميعا يقاومون و يعارضون انشاء معبد مقدس جديد فى مصر كما اراد أونياس الرابع رئيس الكهنة من أن هذه النبوة دست تأييدا لطلب ورغبة اونياس نفسه لاقامة معبده الجديد بمصر.

اما هذا التجمع اليهودى الثالث بعد ابراهيم وموسى فكان فى عهد الكاهن الاعظم سليل عائلة رؤساء الكهنة فى بيت المقدس من بيت آل أونياس Oniad والواقع أن Bevan بيفان ([١٤٠]) فى كلامه عن اليهود فى مصر فى عهد بطليموس السادس « محب امه بطليموس Philometor » والملكة كليوباترا الثانيه كان ليهود فى عهد هذين الالهين محبى امهما Thoi Philometores يتمتعون بعطف البلاط المصرى وهذه سياسة للدولة قامت على مناهضة ملوك مقدونيا فى سوريا بعد وقوع فلسطين تحت سيطرة سوريا وضياعها من مصر.

فعندما خرج ملك سوريا انتيوخوس ابيفانوس على نظام توارث عائلة اونياس لمنصب رئاسة الكهنة فى القدس وحرمهم من تولى هذا المنصب عين فيه من اليهود من

كان على ولاء له من طائفة اليهود الهيلانيين فبعد موت اونياس الثانى (هونيا بالعبرية) عين الملك رئيسا للكهنة بعده أخاه أونياس الثالث اذ أن ابن اونياس الثانى آنذاك كان طفلا كما يقول جوزيفوس المؤرخ اليونانى اليهودى ثم يقتل انتيوخوس عمه أونياس الثالث الذى كان رئيسا للكهنة بعد عشر سنوات من شغله هذا المنصب وقد كان لاونياس الثالث هذا اسم آخر يونانى مينيلاوس «Menelaus» كما كانت العادة بالنسبة لليهود الموالين للمقدونيين فى سوريا من اتخاذهم مع أسمائهم اليهودية أسماء يونانية فبعد أن قتله انيتوخوس ملك سوريا اسند منصب رئيس الكهنة الى الكيموس «Alkimios» رغم أن هذا اليهودى من غير عائلة اونياس صاحبة الحق الاول فى منصب رئيس الكهنة الاولى.

هرب اونياس الرابع الصغير الى مصر والتجأ الى بطليموس السادس وكليوباترا الثانية واصبح قائدا لجيوش الملك ثم بعد ذلك بسنين عين قائدا لجيوش الملكة كليوباترا الثانية زوجة الملك الراحل. وقد طلب اونياس الرابع هذا من بطليموس السادس (محب امه) أن يخصص له ولمن معه جزءا من ارض مصر شرق فرع دمياط أى فى اقليم جوش القديم مستوطن اليهود القديم فى عهد الهكسوس وقد سمى هذا الجزء فيما بعد بارض اونياس أو الاونيون «Oneion» وقد سمح بطليموس السادس لاونياس الرابع ببناء معبد لليهود فى مدينة كان بها معبد مهجور متهدم للالهة (بوباستيس الهة الحقول) «Boubastis Agrias» وكانت هذه المدينة تسمى ليونتوبوليس «Leontopolis» أى (تل اليهودية) الآن.

بنى اونياس فى ليونتوبوليس معبدا مماثلا تماما لمعبد سليمان بالقدس وكان غرضه من ذلك كما سنرى أن يوحد ويجمع يهود مصر حول هذا المعبد المقدس الجديد فى مدينة بيت مقدس جديدة ايضا وقد كان للطوائف اليهودية فى مصر معابد متعددة يتعصبون لها وقد خالف يهود الاسكندرية اونياس على بناء معبد جديد وكان منهم من يعتقد أن معبد بيت المقدس معبد مقدس لا يجوز أن يكون له مثيل وكان معهم فى ذلك طائفة اخرى من السامريين الذين بنوا معبدا فوق جبل جاريزاين وقد اعترفوا بأن

اجدادهم بنوا ذلك المعبد بسبب الجفاف الذى اصابهم مضافا الى ذلك انهم كانوا يعتقدون فى بعض الخرافات القديمة فاعتادوا أن ينتظروا اليوم الذى يسميه اليهود السبت ثم اقاموا معبدا ولكن دون ان يسموه فوق جبل جار يزاين Garizeim وايضا يسمى جاريزيم وكانوا يقدمون فيه القرابين المناسبة وتعصبوا لمعبدهم هذا ضد الاخرين المستمسكين بمعبد بيت المقدس ولكن يهود الاسكندرية لم يوافقوهم على ذلك واحتجوا بان « بيت المقدس هو اقدم واشهر معبد فى المعمورة كلها » وعند السكندريين من اليهود كان من اسباب خوفهم ان يقوم أحد بتهديم هذا (١٤١) المعبد الفلسطينى اما عن رأيهم فى معبد جار يزاين فان احدا من اليهود لا يشعر بوجوده كل يغنى على ليلاه اذ يختلف سكان الاسكندرية فيما بينهم فالسامريون منهم يتعصبون لمعبدهم على جبل جار يزاين والسكندريون اليهود تعصبوا لمعبد بيت المقدس ولكنهم يجتمعون مختلفين كل عند رأيه فى مواجهة مطمع اونياس بناء معبد بدلا من معبد القدس، السامريون تعصبا لمعبدهم والاخرون يصرون على الا يكون لمعبد المقدس بديلا ولا قرينا وقد كان ذلك حال كل الجاليات المهددة [illegible] مصر من اختلافات طائفية وتعصب كل طائفة لمعبدها الذى اقاموه كما سنرى.

استغل اونياس الرابع المنافسة والعداء السياسى بين المقدونيين مصر وفى سوريا فبنى معبده على غرار معبد القدس بدقة بالغة الا أن هذا الذى اقيم فى مصر كان اصغر واقل مساحة من المعبد الاصلى فى فلسطين وقد سمح محب امه بذلك بعد اشتراطات وتوجيهات لمراعاة الدقة فى تطبيق الشريعة اليهودية وتحميل كل المسئولية لاونياس فى عدم اتباع حدودها او الخروج عليها .

والواقع ان اليهود لم يتفقوا فيما بينهم فأراد اونياس بطموحه ان يؤلف بينهم و يقوم فيهم كموسى فى اول الامر بان ينشىء معبدا لهم يلتفون حوله و يتحدون و يتماسكون ضد الانتهاكات التى ارتكبها المقدونيون من حكام سوريا فى بيت المقدس القديم من محاولاتهم صبغ اليهود بالصبغة الهيلانية وتحويلهم عن ديانتهم ولذا فقد انشأ اونياس معبده فى ليونتوبوليس على ان يكون مطابقا تمام المطابقة لمعبد بيت المقدس ومعترفا به من يهود مصر جميعا وقد شجعته نبوءة لبنى اشعيا عاش قبله بستمائة سنة كما ذكرنا فى مطلع هذا الفصل و يعلق جوزيفوس تعصبا لعنصريته على هذه النبوءة بقوله

انه من المؤكد ان سينشأ معبد في مصر للرب الاعظم على يد رجل يهودي مؤيدا بذلك رغبة اونياس في إقامته المعبد غطاء شرعيا لاقامة معبده فانظر تكملة هذه النبوة في اشعيا الآية (٧١) الاصحاح ١٩ «فيعرف الرب في مصر و يعرف المصريون الرب في ذلك اليوم» ليقنع كل اليهود بذلك ثم ليقنع ايضا بطليموس ليوافق وهو غير يهودي على طلبه وكما سنذكر فان اثبات بترى F. Petrie وجود اثر هذا المعبد الذي كشف عنه في تل اليهودية في ١٩٠٦ دليل صادق على صدق هذه النبوة ونجاح اونياس في مسعاه لاقامة المعبد.

ولكن اونياس لم يسلم من معارضة مخالفيه من يهود الاسكندرية وسخريتهم منه وعلى وجه الخصوص معارضة أبيون Apion الروماني ابرز ممثلي الغالبية المضادة والمناهضة للسامية في الاسكندرية فعلى عادة السكندريين على طول العصور كانوا يسخرون من الحكام والعظماء بالنكات اللاذعة فاتخذوا من مشابهة اسم اونياس في اليونانية وقرية من لفظ ονος (اونوس) اى الحمار واتخذوا من هذه التسمية مادة للسخرية منه واسموه بالحمار (انظر جوزيفوس الثاني الفقرة الخامسة) وكانت تلك عادة أهل الاسكندرية التي جرت عليهم غضب الحكام الرومان من الاباطرة القساة مثل كراكللا وامثاله وقد عانوا من جراء ذلك آلاما ومذابح وقسوة شديدة اليمة.

وأما بيفان (Bevan) فيقول بان اليونانيين قد حرفوا اسم الرجل Onias اونياس على اساس صلة غامضة بالحمار ονος اونوس الذي حسب ظن سائد او عقيدة عامة ان اليهود قد عبدوه اى عبدوا الحمار وربما يكون لقول صلة بانتماء اليهود اصلا الى الاله ست Seth اله الشر عند المصريين والذي ربط المصريين اليهود به كابناء له عندما اريد لليهود تكون لهم صلة بالتقاليد المصرية كما اسلفنا القول واعتبرنا ان هذا الربط بين اليهود وست كان بمثابة «قرار باعلان مقاومة العنصرية» وكان الحمار حيوان ينتمي الى ست ولذا كان اونياس في نظر السكندريين يهوديا ومعادين للسامية حمارا.

نجح اونياس في ان يقيم معبده في قدس جديدة مصرية في بلد ليونتوبوليس بمنطقة عين شمس وكان بها معبدا مهدما للالهة (بوباستيس الهة القطط) وقد ورد

اسمها فى نبؤة اشعيا ضمن الخمس مدن التى ستتكلم لغة كنعان من مدن يسكنها اليهود فى هذه المنطقة جوشن سابقا وقد كانت مدينة بوباستيس الحقول أو ليونتوبوليس مليئة بالاشجار والحيوانات المقدسة بجانب معبدها المتهدم الذى ازالة اونياس بامر الملك و بنى مكانه معبدا كما يقول جوزيفوس ـفكان تصميمة صورة طبق الاصل من معبد القدس ولكن اقل منه مساحة واصغر منه (١٤٢) ثم عين له ايضا لاو بين أو كهنة من جنسيته أى من اليهود.

أى أن اونياس قد انشأ معبدا جديدا، لمعبد اورشليم لانه اولا رأى فلسطين وقد أذلها ودمرها ملوك سوريا من المقدونيين وقد ذاق هو نفسه مرارة ذلك سابقا وقد كان طموحا كبير الاطماع فاشبع شبع طموحه وكسب لنفسه شهرة واسعة وعزا دائما شامخا كما يشهد بذدلك جوزيفوس (١٤٣).

كان ذلك الاضطهاد المقدونى فى فلسطين لمحاولة أن يضعوا اليهود بالمسحة الهيلانية مع الدين اليهودى والقدس ايضا وتحويلهم عن ديانتهم. وقد كانت هذه السياسة سببا فى نشأة حزب من اليهود هيلانى فكان لهؤلاء الرؤساء من كهنة اورشليم من هذا الحزب اسماء اخرى يونانية بجانب اسمائهم السامية اسوة بالهيلانيين كما ورد فى جوزيفوس فيما سبق و يزيد على ذلك قوله أن بعضا من هؤلاء الروساء كان يغرى القسوم بالتخلى على اليهودية ومن بين هؤلاء رئيس الكهنة السابق اونياس الثالث الذى كان يسمى ايضا بالاسم اليونانى (Menelaus منيلاوس) وكان من أجل احتفاظة بالسلطة لنفسه برغم قومه على معصية شريعتهم (١٤٤).

استأذن هونيا بطليموس محب امه وكليوباترا بعد أن اتى الى مصر ومعه ناس كثيرون من اليهود من فلسطين الذين يصفهم جوزيفوس بالارثوذكس استاذنهما أن يبنى معبده فأذن له الملك ولكن بعد ان أحتاط فى اذنه له أن يكون المعبد حسب الشريعة الموسوية وحمل هونيا مسئولية أى خطأ أو مخالفة دينية من جراء عمله ثم يسدى اليه النصح ويحذره من أن مدينة ليونتوبوليس مدينة وثنية مليئة بالحيوانات المقدسة بالنسبة للمصريين حتى لا يتعرض هونيا لما تعرض له فيما سبق بعض اليهود وغيرهم من مضايقات عنيفة قاتلة من المصريين وهكذا كانت محافظة بطليموس فى مصر على اليهودية وتشدده فى مراعاة شريعة موسى فى بناء المعبد على خط مستقيم ضد

ما يقوم به ملوك سوريا المقدونيين فى فلسطين من تحويل اليهود الى الهيلانية فاراد البلاط المصرى اغتنام هذه الفرصة لان يحافظ على اليهودية سليمة دون ان يحيد اى انسان قيد انملة عن شريعة موسى او ان تشوبها شائبة من بدع حتى من اليهود انفسهم، ينافسون بذلك المقدونيين فى فلسطين اظهارا لما يقترفون من أخطاء وكسبا لليهود موحدين ضدهم.

ثم اذن الملك هونيا بازالة المعبد القديم هناك ثم نبه هونيا بان هذه المدينة مكان وثنى اى انه لا يناسب اقامة معبد فيه ولكنه سمح له بعد ذلك باقامة المعبد وكان ذلك خاصة استنادا الى نبوة اشعيا مشترطا ان يكون هذا المعبد وفق شريعة موسى (١٤٥).

وقد كان الملك وهو الوثني وليس يهوديا فى رده على طلب هونيا حريصا على الا يغضب رب اليهود محافظة منه على عدم إغضاب بقية القوم فى مصر وحرصا على اتحادهم جميعا لصالح مصر ضمن سياسة البلاط المناهضة لملوك الشام اصحاب السلطة فى فلسطين التى فقدها الملك فيقول لهونيا فى رده «حتى لا نظهر كمن يغضب الاله». (١٤٦).

فكان حرص البلاط السكندرى فى اخلاء مسئوليته من اى خطأ يقع من هونيا حتى لا يسمح لاى حساسية تغضب اليهود الموالين للملك ويحرج سياسة البلاط الذى يريدهم متحدين ويخاف ان ينفرط تجمعهم فيتفرقوا متنافرين فيمكن اغراء بعضهم بالانحياز الى بيت المقدس الفلسطينى فالملك وحاشيته والمصريون يعرفون سهولة تلونهم وعدم تجانسهم واختلاف مذاهبهم الشديد اذ انهم قد اتوا الى مصر من جهات عديدة كما حدث فى فلسطين الحديثة فى عصرنا وما نراه فيهم من خلاف بينهم فى العقائد الخاصة والشئون الاجتماعية ورغم كل ذلك فقد سخر السكندريون من اونياس يهودا و يونانيون ورومانيون معادون للسامية وعلى رأسهم (أبيون Apion) أقوى وابرز ممثلي جماعة مناهضة السامية وقد خصه بالذكر جوزيفوس انه سخر من هونيا فى حين انه يجب ان يشكره ثم اطلق كل السكندريين على هونيا اسم الحمار وقد كره المصريون العبرانيين قبل اليهودية فكانوا يسخرون منهم و يهزؤن بهم فكانوا يطلقون عليهم ايضا فيما مضى لقب الحمار بعد ان نسبوهم فى تقاليدهم واساطيرهم

الاولى الى ست اله الشر و الحمار من حيوانات اله الشر هذا وكان ذلك منهم اعلانا بعاداتهم للعنصرية ومقاومتها قديما ولكن رغم ذلك اقام هونيا معبده ومذبحه فى مصر اللذين يشبهان معبد بيت المقدس تماما الا فى الحجم والمساحة فقد كان اصغر وأقل مساحة من معبد القدس فى فلسطين (١٤٧) ولم يكن ذلك قول جوز يفوس فقط بل اثبت ذلك وصدق عليه الإستاذ بترى Petrie فى اكتشافاته فى ليونتوبوليس كما سيأتى بدقة تامة فى مطابقة هذه الاوصاف وهذا اصدق دليل على صحة رواية جوز يفوس.

ان هذا لدليل واضح على ما كان يتمتع به اليهود فى مصر من مكانة وتسامح وكانوا هم ايضا متعاطفين مع الميلاتيين وكان للهيلانية فيهم اثر كبير فكانوا مرنين فى معاملتهم مع المصريين واسعى الافق فى معايشتهم لهم حتى لنجد يهود آسوان وكانوا جالية يهودية كبيرة مصرية ،(حارة يهود) ، « Uuivrie egytienne » كبيرة لها وزنها ، اى حارة يهود مصرية فى الصعيد لهم فيها معبدهم وشريعتهم نافذة فيما بينهم فكانوا يحلفون (بيهوا « Jahva » المهم) ولكن فى معاملاتهم مع المصريين يحلفون بالالهة (ساتى « Sati » المعبودة المصرية ، الهة الشلالات المحلية ودليل على هذا التعاطف ايضا ما قام به الكاتب اليهودى (فيلو « Philo » من محاولة الربط بين الفكر اليهودى والفكر اليونانى كما يذكر بترى Petrie وعلى العكس من ذلك يستمر اضطهاد اليهود الذى بدأه انتيوحوس الاكبر خليفة الاسكندر فى فلسطين فى محاولاته ان يجعلهم يتجهون الى الحضارة الهيلانية وان يصطبغوا بها وما قام به من اغواء عنيف لتغييرهم فكان ذلك سببا فى سخطهم عليه ولعنوا الاسكندر الاكبر معه ووصفوه بابليس فهو الذى اتى بانتيوخوس من بعده !؟ما فى مصر فبعد ان أقام هونيا المعبد وعين اللاويين من اليهود طلب من الملك ان يعينه رئيسا اعظم للكهنة كما ذكر جوز يفوس فاكتمل معبد القدس المصرى و بأذن الملك بدأت ممارسة العبادة فيه وتم اجتماع الجالية الجديدة بارض جوشن مرة اخرى بعد عودة اليهود اليها بشكل يخالف تجمعهم الاول ويخالف ايضا نعزالهم الثانى بقيادة موسى فى هذه المنطقة فكانت الصحراء الشرقية دائما [illegible] تجمع دينى . فى [illegible] المرة كان التجمع بقيادة

هونيا لقاء دينيا متنبأ به فى التوراة على لسان اشعيا النبى وهددة مدنه بخمس مدن «ستتكلم لغة كنعان واحداها يقال لها مدينة الشمس» وقد اسماها اليهود مدينة «معسكر اليهود» اى قلعة لهم جديدة فى مصر ولكنها لم تكن ارض ميعاد، و بنى فيها هونيا المعبد والمذبح ثم قلعة او حصنا للاله الاكبر كما ورد فى نبوءة اشعيا وثبت فعلا وجوده فى ليونتوبوليس عن طريق كشف بترى عنه فى (تل اليهودية) وقد ظل المعبد قائما يعمل حتى عهد الامبراطور تيتوس Tithus الرومانى فى القرن الاول الميلادى فتوقف بعد ان اغلقه.

اثار تشجيع نبوءة اشعيا الكاهن الاعظم هونيا لبناء المعبد شكوك المؤرخين فى ان هذه النبوءة مدسوسة لصالح هونيا ولكن ذلك اغراق فى الشك فى كلام جوز يفوس الذى كان هو بدوره يحس هذه الشكوك فى مجتمع عصره فاكدها كما ذكرنا فى مطلع هذا الكلام مع ان الآثار التى اكتشفت فى تل اليهودية تؤيد صدق هذا المؤرخ فى هذا الصدد ولكن نبوءة اشعيا قد شجعت ايضا البلاط السكندرى فى نفس الوقت فقد وجد فيها مبررا خاصة بالنسبة لجميع طوائف اليهود بمصر الذين يصدقون هذه النبوءة وجد فيها البلاط الملكى مبررا للموافقة على طلب هونيا وكان ذلك اقتناعا من البلاط باجماع اليهود على الرغبة فى تنفيذ هذه النبوءة التى وردت فى كتابهم المقدس وكانت ايضا اهم ما ساقه هونيا من حجج لتجميع اليهود حول هذا المعبد خاصة الذى يعبدون فيه ربهم على طريقة وعادة آبائهم كما يقول جوزيفوس ثم يقول هونيا حاثا الملك على الموافقة على طلبه ان اليهود بذلك سيزدادون تشددا ضد انتيوخوس (١٤٨) الذى نهب ودنس معبد بيت المقدس وانهم سيكونون اقرب اليك بصداقتهم وسيجتمع منهم نفر كبير جدا عندك فى مصر حول المعبد لتسامحك الدينى. (١٤٩).

وقد كانت موافقة البلاط السكندرى لهونيا مبنية على اساس هذه السياسة التى شرحها لنا هونيا فى كلامه للملك بهدف انضمام اكبر عدد ممكن من يهود فلسطين لمصر بل هو بسماحه لهونيا باقامة المعبد انما اراد ان يجتذب اليهود من فلسطين الى مصر لمناهضة ملوك سوريا المسيطرين على فلسطين ثم كانت موافقة الملك على تعيين هونيا كطلبه رئيسا للكهنة فى معبد القدس المصرى متمشية مع سياسة مصر ان تكسب زعيما دينيا يهوديا ذا نفوذ سياسى كبير.

وفعلا كان لهذا الاقتراح اثره الايجابى خاصة فيما تصوره هونيا فقد تجمع اليهود واحتشدوا فى هذه المنطقة وانتشروا فى منطقة جوشن شرق فرع دمياط بمدنها التى تكلمت لغة كنعان واولها مدينة ليونتو بوليس بيت المقدس المصرى والمدن الاخرى التى تنبأ بها اشعيا الذى عاش قبل ستمائة عام قبل هونيا او تزيد كما ذكرنا وكانت مدينة الشمس التى من المحتمل ان تكون قد سميت باسم المنطقة كلها اى منطقة الشمس كلها كانت هذه المدينة لمناسبة وجود معبد القدس الجديد والقلعة والمذبح هى التى اطلق عليها اليهود الارثوزوكس مدينة المعسكر. هذه المدينة وما جاورها فى منطقة جوشن كانت اكبر «حارة يهود» فى التاريخ اسست فى مصر.

لقد كان لهذا المعبد الجديد فى مدينة القدس الجديدة بمصر ميزتان ارادهما له رئيس الكهنة اونياس **اولاهما** مطابقته التامة لمعبد القدس فى فلسطين الذى بناه سليمان ولكن المعبد المصرى كان اقل من الفلسطينى حجما ومساحة كما قال جوزيفوس ثم انه لذلك يكون هو المعبد الذى اقيم على شريعة موسى وهذا كان شرط بطليموس الاساسى لبنائه وكما أثبتت ذلك حفائر بترى فى تل اليهودية كما سنرى.

ثانيا: بناء هذا المعبد الجديد بتصريح خاص من بطليموس يتضمن توجيهاته المتشددة وتحذيره من مغبة ما قد يترتب على بنائه على غير الشريعة من آثار خلافات اليهود فيما بينهم فكان ذلك شبه اعتراف من الملك بهم و يعطى لهونيا الشرعية السياسية فى وجود معترف به وكذلك كان تعيين الملك هونيا رئيسا للكهنة فى ذلك المعبد.

كذلك وجد البلاط فى نبوءة اشعيا مقنعا لليهود بضرورة تنفيذها والالتفاف حول المعبد الذى تنبأت به ولهذا كان شرط الملك بوجوب ان يكون المعبد على شريعة موسى فانظر اى شرعية واية حماية اكتسبها هذا الكاهن الاعظم بدهائه وتدبيره! ثم هو لا يفوته ان ينوه للملك بالناحية السياسية المترتبة على اقامة المعبد فيستحثه على الموافقة على طلبه هذا مشيرا الى أن اليهود المقيمين فى مصر اذا ما تآلفوا فى وفاق حول هذا المعبد يخدمون مصالح الملك (١٥٠).

وقد كان هونيا بطموحه يصبو الى ذلك فيجمع اليهود جميعا فى انحاء مصر تحت رياسته ،وقد كانوا كثيرين غير من صحبوه فى رحلته من فلسطين الى مصر فى أحياء

مدنها الكبيرة اى حاراتهم اليهودية وكانوا يتوافدون على مصر كما يقول الاستاذ الكبير جوجيه من اقدم العصور وقد كان انتشارهم فيها ابتداء من العصر الصائى كما ذكر فى كتاب تثنية الاشتراع « Deuteronome » وقد هاجر منهم عدد كبير بعد ان استولى بختنصر « Nabuchodnoser » . اى نابوخوذنوصر على القدس فى ٥٩٦ ق.م. وكما تذكر البرديات الارامية من فيلا أى جزيرة الاصدقا «Phile» كانت هناك جالية حربية يهودية وكان لها معبد ليهوا معبود اليهود « Jehva » وكان يحترمه قمبيز وكذلك كانت فى الاقصر جالية من جنود يهود كانوا تابعين لاحد حكام الاسكندر وطيبة ثم فى الفيوم ايضا وكذلك اكتشفت فى مدائن الابراهيمية القديمة فى الاسكندرية مقابر يهودية من عهد البطالمة الاول و يقول هونيا فى طلبه الذى قدمه للملك لبناء معبده كما يخبرنا جوزيفوس ، ان جميع هذه الجاليات لم تكن معظم معابدها مقامة وفق الشريعة اليهودية كما يجب ان تكون عليه ولذا فهم متنافرون غير متفقين (١٥١) .

وقد صدق هونيا فى مقارنته انشقاق اليهود على بعضهم بسبب تعدد معابدهم غير الشرعية بما قد لاحظه بين المصريين كذلك فكثرة المعابد للمصريين واختلاف آرائهم حول العبادة واشكالها قد جعلهم غير متفقين (١٥٢) اصاب هونيا فى خطته هذه اذ قد اجمع كل المؤرخين اليونانيين الذين زاروا مصر من قبله ومن بعده من هيرودوتوس الى ديودوروس على ذلك فكما يقول بلوتارخوس فيما ذكرنا ان كل مديرية فى مصر كانت تقدس حيوانا وتتعصب له وقد وصل الامر فيما بينهم بسبب ذلك الى حد التورط فى الاقتتال وانزل بعضهم ببعض اضرارا كبيرة (١٥٣) ثم يذكر ذلك ايضا سترابون ثم يأتى ديودوروس و يفسر ذلك الاختلاف فى العبادات فيقول ان احد الملوك اشتهر بالذكاء فقسم البلاد الى اقسام وامر كل جزء ان يقدسوا حيوانا خاصا بهم وان يمسكوا عن عن بعض الاطعمة المعينة وكان القصد من ذلك ان كل مجموعة تعبد ما عندها .... الخ و بذلك «لا يمكن لسكان مصر جميعهم ان يجتمعوا على رأى» (١٥٤) ظاهر مهما كان هذا الرأى أن اجمع كل المؤرخين على اختلاف المصريين فيما بينهم بسبب العبادات .

لذلك كان يريد هونيا اعتبار معبده صورة طبق الاصل من معبد القدس

الـفـلـسـطـينية قاصدا بذلك ان يترك اليهود معابدهم الخاصة لكل جالية منهم فى مصر ويحجون الى معبد يلتقون و يلتئون و يأتلفون حوله فى مدينة ليونتو بوليس فى مديرية الشمس (١٥٥) فاعتبار معبده هو الاصل على الشرعية دعوة لتجمع اليهود فى مصر حوله فى قدسة الجديدة حتى لا ينظرون الى قدس فلسطين الذى دنسته الهيلانية وكان ذلك ردا على سياسة المقدونيين من حكام سوريا ازاء بيت المقدس ورؤساء الكهنة فيه من حزب اليهود الهيلانيين وقد كانت هذه السياسة موافقة لسياسة البلاط السكندرى مما جعل رد الملك على طلب هونيا يوصيه فيه ان يكون معبده وفق الشريعة اليهودية كما ذكرنا ثم يذكر جوزيفوس ان الملك فى رده على هونيا قد حمله مسئولية اى خطأ او مخالفة لقانون الشريعة و يعلن ان (كل خطأ يقع على رأس هونيا) (١٥٦).

والواقع فعلا ان بطليموس كان شديد الاهتمام بان يكون تجمع اليهود على حدود مصر الشرقية بمثابة وجود فلسطين كلها فى قبضته فلسطين اورثوذوكسية لا فلسطين الهيلانية الثائرة المنشقة احزابها على بعضها البعض فالواقع ان التنازع على فلسطين بين ملوك مقدونيا فى مصر جنوبا وسوريا شمالا قد خلق موقف اليهود الجديد فى جوشن اى ارض هونيا وهو الذى اوحى الى مصر بسياسة تشجيع تجمع اليهود والمضطهدين فى فلسطين على يدى انتيوخوس ابيفانيس «Antiochos Epiphanes» فقد قبل البلاط السكندرى العمل بسياسة جميع العناصر المناهضة الثائرة الغاضبة من اليهود الارثوذوكس من محاولة ملوك سوريا فرض الهيلانية عليهم وتحويلهم عن دينهم ومطاردة المتشددين من الارثوذوكس المستمسكين بشريعتهم والرافضين الخروج عليها وقد ادت سياسة هؤلاء الملوك السوريين الى قيام حزب من اليهود الهيلانيين وآخر من اليهود الارثوذوكس وقد تهافت حزب الهيلانيين منهم على السلطة فى القدس وقد انضم اليه رؤساء الكهنة الهيلانيين ايضا وفى ١٧٥ ق.م. قدم (Jeshua)

يشو أخ هونيا الثالث وكان اسمه الهيلانى مينيلاوس Menelaus انظر جوزيفوس ١٢، ٢٣٧ ولويب ملاحظة (١٤٤) للحصول على منصب رئيس الكهنة رشوة بلغت ثلثمائة تالنت من الفضة ومعها ثمانين تالنت اخرى جزية وتبرع بمبلغ مائة وخمسين تالنت لانشا جمنازيون للشباب اليهود وقد اهمل بشكل واضح المعبد محتقرا اياه ولم يقدم اضاحى وانصرف الكهنة الى كل ما يهتم به الهيلانيون من اعياد والعاب هيلانية وارسلت القرابين فى اعياد

العاب هرقل الخمسية فى مدينة صور فيما ذكره بترى (أنظر ٣١ ص ٩٧) ولكن مينلاوس يخدع اخاه يشوا الذى بعثه بالجزية الى انتيوخوس فأزاد عليها ٣٠٠ تالنت وحصل على منصب رئيس الكهنة ثم استولى على اوانى المعبد الذهبية وكنوزه وقدم جزءا منها رشوة ثم باع الجزء الآخر ثم ذبح أخا له كان صاحب الحق فى ولاية رياسة الكهنة قبل اخيه يشوا فقامت على أثر ذلك حرب اهلية مروعة بين الاخوين اليهوديين يشوا ومينلاوس تمكن انتيوخوس من اخمادها بعد مذبحة رهيبة فى القدس واوقف استباحة المدينة واخذ منها ١٨٠٠ تالنت كما يقول بترى (٣١ ص ٩٨).

وبعد ذلك تحول المقدس الى معبد لزيوس اوليمبيوس واحتفل اليهود الهيلانيون المتوجون باكاليل الغار باعياد الديونيسيا واصبحوا يأكلون اللحم على غير قواعد الدين وكان كل من يتمسك من اليهود بعادات (السبت Sabbath) وعادة الطهارة جزؤاه الاعدام.

تلك كانت رزايا الهيلانية فيهم ومعاناتهم منها فى فلسطين انشقاق حتى بين حزب الهيلانيين اليهودى الواحد بسبب السلطة وشقاق بين هذا الحزب المنشق على نفسه و بين حزب اليهود الارثوذوكس وزاد فى فرقة هؤلاء الفرقاء وفى تدهور الموقف كله فى القدس الاطماع السياسية الخارجية، بينما كان فى مصر تشجيع لتجمعات اليهود الارثودكس بقيادة هونيا الرابع وتسامح وعطف دينى لم يعرفه اليهود وحرص على وحدتهم ومراعاة وحفاظ على اليهودية الحقة وحرص البلاط السكندرى عليهم من التنازع حتى أدى كل ذلك الى قيام دولة هونيا فى جوشن أن جاز أن نسمى هذا التجمع حول القدس الجديد فى ليونتوبوليس بمنطقة عين شمس فكان هونيا كما اراد أن يكون ذلك اليهودى الذى سخرته الاقدار كموسى لتجمع دينى يهودى جديد كما ورد فى نبوؤة اشعيا وكما يوردها جوزيفوس تلك النبوؤة التى شجعت هونيا على تصميمه على اقامة معبد فى مدينة مقدس مصرية جديدة ومذبحا جديدا وقلعة فى مدينة ليونتوبوليس والكل مماثل تماما بدقة لبيت المقدس الاول فى فلسطين و يكون هونيا كما يقدمه لنا جوزيفوس تعصبا وزيادة فى تحيزه (الرجل اليهودى الذى على يديه بنى معبد تل اليهودية) حسب نبوؤة اشعيا كما ذكرنا.

هذا هو اليهودى الذى خلف موسى فى جمع اليهود من جديد فى مصر على ارض غير

القدس الفلسطينية وعلى بقعة من الارض المصرية التى جمع عليها موسى اليهود برسالته قبل الخروج من مصر و يشير جوزيفوس الى تلك الاختلافات الدينية بين اليهود فى الاسكندرية التى حدثت بين فرقهم المتنابذة ممن يعتقدون أن بيت المقدس هو الوحيد الذى بنى على شريعة موسى ولا يجوز استبداله بغيره و بين السامر بين الذين يتمسكون بمعبدهم المقام على جبل جاريزاين Garizein والذى باعترافهم أن آباءهم بسبب الجفاف الذى كان يصيبهم ولاعتقادهم فى بعض الخرافات القديمة اعتادوا أن يحافظوا على اليوم الذى يسمى عند اليهود السبت Sabbath ثم اقاموا معبدا فوق جبل جاريزاين دون أن يسموه وكان ذلك فى عهد الاسكندر و يقدمون فيها الاضاحى المناسبة (١٥٧).

فعلى ذلك يكون معبد هونيا بمطابقته التامة لمعبد اورشليم هو الوحيد الذى بنى على شريعة موسى كما يؤكد بعض اليهود فى قول جوزيفوس (١٥٨) رغم أن بعض الحاخامات يعتبرون معبد هونيا هذا غير كامل الشرعية (ملاحظة ١٣٦ ص ٢٩٩).

وكما يقول الاستاذ بترى الذى قام بالكشف عن هذا المعبد فى حفائره بتل اليهودية أن آثار هذا المعبد وجدت فوق تل صناعى مرتفع حوالى ٦٠ قدما كما ذكرت النصوص وان رجوع اليهود لاجئين الى مصر مرة أخرى بسبب اضطهاد انتيوخوس ايبيفانيس لهم فى فلسطين ظاهرة آثاره فى تل اليهودية أى مدينة ليونتو بوليس القديمة التى تبعد عن القاهرة بنحو عشرين ميلا الى الشمال وان وجود هذا التل فى تل اليهودية يتفق اثريا فى كل التفاصيل مع موقع معبد بيت المقدس وأن بلدة تل اليهودية هى حقيقة مدينة ليونتو بوليس (١٥٩).

أما مطابقة الابحاث الاثرية والحفائر التى قام بها فى القدس فلندرس بترى Flinders Petric مع اورشليم فبينت صحة ما ورد فى جوزيفوس عن مطابقة معبد هونيا بالقدس الجديدة لمعبد سليمان فى بيت المقدس بفلسطين كما ذكرنا فكان اول ما ظهر فى حفائر بترى بتل اليهودية هو التل الذى قام عليه المعبد تماما كما هو الوضع فى قدس فلسطين والتل الصخرى الطبيعى الذى اقيم فوقه المعبد ولكن مع فارق واحد أن المعبد فى القدس تله من الصخر كما ذكر ذلك سترابون فيما سبق ذكره فى حين أن التل الذى وجد فى مدينة اونياس او القدس الجديدة كان تلا اصطناعيا من الرمال و يقول بترى انه لذلك كان من اللازم ان تكسى جوانب هذا التل الاصطناعى الرملى

بجدران من الاحجار الضخمة حتى يمكن بناء المعبد الجديد عليه ليكون مطابقا تماما للوضع فى اورشليم فيكون صورة طبق الاصل منه كما فعل موسى كقول سترابون وقد وجد بترى هذه الجدران الحجرية على جوانب التل الرملى فى تل اليهودية وكانت بنفس الارتفاع الذى ذكره جوزيفوس اى ٦٠ قدما وقد تراءى له عند زيارته للموقع فى زمانه بشكل برج وكان الوضع كله مخالفا لشكل معبد القدس (١٦٠).

كان هذا هو الوضع الذى وجد عليه المعبد فى مدينة اونياس فالتل ليس برجا وانما اقتضت طبيعة ارض التلين المختلفة فى القدس على ارض فلسطين الصخرية وفى ليونتوبوليس على رمال الصحراء الشرقية فى مصر فكما يرى الاستاذ بترى انه يجب أن تحاط جوانب التل فى مصر بهذه الجدران ذات الأحجار الضخمة البيضاء فيتماسك التل ولا تنهار رماله عند اقامة المعبد عليه فبدا التل للناظر وكأنه برج مرتفع كما خيل لجوزيفوس وهذا رأى شيخ الاثريين كما ظهر له فى الحفائر بتل اليهودية لا كما بدا لجوزيفوس ولا كما ظن لو يب أن هذا الجزء من كتاب تواريخ جوزيفوس انما هو تذييل صحح فيه المؤرخ وصفه لمعبد اونياس فالواقع أنه لم يدرك حقيقة الوضع الذى كان عليه معبد أونياس فقد قام على ارض ليونتوبوليس الصحراوية باقليم الاونيون أو ارض اونياس أو جوشن القديمة منطقة تجمع اليهود المتزمتين المتشددين اى الارثوذكس وكان هو البديل لمعبد القدس بعد أن صار معبدا لزيوس أو ليمبيوس.

ولكن قيام هذا المعبد كان مدعاة للأسف عند بعض اليهود المخلصين لمعبد سليمان فى فلسطين وخاصة فى نجاح منافسة معبد اونياس لمعبد سليمان وطبعا كان هذا دليل واضح على أن اليهود وجدوا فيه حصنا حمى اليهودية من المارقين عليها فى فلسطين. وقد اراد الملك وهو ليس يهوديا بالطبع ارضاء اليهود الارثوذكس فى مصر المناهضين للحزب اليهودى الهيلانى فى فلسطين من انصار البيت المالك فى سوريا فكانت احتياطات البلاط السكندرى ونصائحه وحرصه على أن يلقى على عاتق اونياس نفسه مغبة كل خطأ أو مخالفة للشريعة كما ذكرنا عن جوزيفوس وأن يقيم اونياس معبده على شريعة موسى وكان ذلك من البلاط المصرى براعة سياسية لجذب كل المنشقين من اليهود على سوريا وسياستها الى جانب مصر وكان اونياس من جهته بعد ما آل معبد المقدس اليه من سوء حال مصمما على أن يجدده فى مصر باقامته

معبده متشجعا بنبؤة اشعيا مما يعطيه تعضيدا دينيا فى نظر اليهود وكان الملك ايضا حريصا على هذا فكان لكليهما ما أراد والتف حول هذا المعبد الذى وصفه Bouché leclerq بوشيه لوكليرك ([١٦١]) بانه معبد منشق schismatique أو شيزماتيك التفت حوله تلك الجالية اليهودية الارثوذكسية الكبيرة فى جوشن القديمة أى ارض اونياس الحديثة الموالية لمصر تحت رياسة رئيس الكهنة الأكبر أونياس الرابع وكما ذكرنا كانت هذه الجالية اكبر حارة يهود حتى انهم لكثرتهم امكنهم أن يوقفوا باحتشادهم على حدود مصر الشرقية امكنهم ايقاف القوات التى اتت لمساعدة قيصر فيما بعد فى زحفها اليه فى الاسكندرية وقد كان ولاء هونيا لبطليموس محب امه شديدا وخدماته كبيرة للملك والملكة بعده حتى أن الملك أسند الى هؤلاء اليهود مناصب خطيرة فى الدولة وهونيا بالذات أسند اليه قيادة الجيوش البطليمة مما يدل على تأكد بطليموس من اخلاصه له وما اكتسبه اونياس من ثقة الملك والملكة معا وكان من هذه السياسة أن ضمن الملك وقوف جانب كبير من يهود فلسطين الى جانبه ضد اونتيوخوس رغم اغتصابه فلسطين من مصر فكانت سياسة البلاط المصرى ذات اثر فعال فاصبحت مسيطرة على فلسطين وجعلتها شوكة فى جانب خصومهم فى سوريا واصبح يهود الاونيون حامية على حدود مصر الشرقية ضد سوريا .

ليت الملك قد تركهم جميعا فدخلوا فى الهيلانية وحال بينم و بين ان ينعزلوا بانفسهم مرة اخرى اذن لكانوا قد استؤنسوا وتحضروا وزال عنهم انطواؤهم وما غرسة فى نفوسهم من عقد ولما توجسوا الشر من غيرهم ولما تحنزوا دائما ضد الاخرين ولما تعصبوا لانفسهم ضد سائر البشر والاديان حتى اصبح شعارهم الآن اينما حلوا انهم «يهود قبل كل شيء» فتوحشوا ونفروا من الناس اجمعين فسخر منهم العالم واصبحوا اينما وجدوا منعزلين كما عزلوا انفسهم فى ارض اونياس اكبر حارة يهود فى التاريخ .

هكذا اثيرت المسألة اليهودية مرة ثانية فى مصر وتجددت مشاكلها بشكل آخر بعد موسى بطل الخروج فى الاول ولكن كان للسامية فى المرتين الاولى والثانية وجهان ففى عهد موسى بطل الخروج كان يطلب النجاة لقومه ,ودينه من نير فرعون الذى تمسك بمنعهم من الخروج من ارض مصر ولكن موسى حاول ونجح فى الخروج بل بالهرب بقومه ودينه طالبا النجاة والامان خارج مصر بعيدا عنها .

وفى المرة الثانية كان بطلها هونيا أو اونياس الرابع فهو بطل العودة الى مصر والتجمع اليهودى الثانى فيها بلجوئه اليها مستغيثا ببطليموس فيلوميتور مستنجدا ومستجيرا ليحميه وقومه و يهوديته، أن يغيثه من عبث العابثين بدينة وذل عسفهم واغراء المارقين من اليهودية بالتحول عن شريعتهم فتغيثه مصر متسامحة كريمة وتحميه ودينه وشعبه وتيسر له المكان لاستقرارهم باستيطانهم فى جزء من ارضها واقامة معبد جديد وانشاء قدس جديدة فى مدينة من مدنها وتوفر لهم عبادة آمنة مطمئنة وحرية اقامة شعائرهم وطقوسهم على طريقة آبائهم الاولين وقد اعترف بذلك مؤرخهم بما يؤكده كتابهم المقدس كما ورد فى نبوءة اشعيا (٢١/١٩) «فيعرف الرب فى مصر و يعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم و يقدمون ذبيحة وتقّدمة و ينذرون للرب نذرا و يوفون به» فلا خوف ولا اضطهاد ولا قهر بل بعث جديد لهم ومحافظة على يهوديتهم وما يعتقدون.

ولكن لما حان وقت اختبار ولائهم واستمساكهم بالوفاء للعائلة التى آوتهم وآمنتهم مما يخافون تبين أن الوفاء والولاء أوهى واضعف ما عندهم ففيما بعد عندما كان قيصر يحارب فى الاسكندرية بعد مطاردته خصمه بومبى وكانت قوات له مساعدة من اليهود فى طريقها الى الاسكندرية لشد ازره تمكنت هذه الجالية فى ارض اونياس كما كانت تسمى تمكن هؤلاء المقيمون بارض اونياس او هونيا أن يقفوا فى وجهها ويمنعوها (١٦٢) فالى هذا الجهد يمكن أن نتصور مقدار هذا الحشد من السكان تيروس القائد اليهودى الذى كان على رأس جنود النجدة لقيصر فى هذه اللحظة امكنه أن يغرى هؤلاء اليهود الاونيين على حدود مصر الشرقية لينضموا اليه بما ذكرهم به من صلة القرابة والدم بين كل اليهود عامة (١٦٣) أى أن انتيباتيروس قد أثار فيهم عنصريتهم التى نشأوا عليها واتخذوا اليهودية لها سلاحا عنصريا فهى فيهم موضع الخطر والتقلب والتلون والخيانة القاتلة.

انقلب الاونيون اليهود الى جانب القوات العسكرية اليهودية التى اتت لنجدة قيصر لاسيما عندما أراهم انتباتيروس خطاب رئيس الكهنة فى المقدس الفلسطينى أى الكاهن الاعظم Hyrkannos هيركانوس وفيه يحث اليهود مخاطبا العنصرية فيهم أن يكونوا جميعا على صداقة لقيصر وأن يستقبلوا قواته بالكرم .

ويمدونها بكل احتياجاتها (١٦٤).

هكذا اضاعت فيهم العنصرية والسياسة قيم الصداقة والاعتراف بالجميل لعائلة البطالمة وما كان لها من فضل عليهم واستجابوا لمن كانوا يخشون على دينهم منهم المارقين من اليهودية من اليهود الهيلانيين فى فلسطين الذين عانوا من ملوك مقدونيا السوريين على عكس الاونيين الذى حظوا بصداقة وكرم البطالمة فى مصر وهم الاقوياء الذين يمكن ان يكونوا محايدين ولكنهم بتلك العنصرية القبلية القائمة على قرابة الدم واليهودية مهما كان اختلافهم لم تؤثر فيهم اية صداقة او فضل عليهم يأتى من غير يهودى فاخضعتهم السياسة واذعنوا لعنصريتهم فاطاعوا رغبات انتيباتيروس ورئيس الكهنة (١٦٥) كذلك انضم اسوة بهم جاليات يهودية قرب منفيس الى القائد اليهودى الآخر ميثريداتس اذ انهم لما ان سمعوا ان الاونيين قد انضموا الى قيصر دعوا بدورهم ميثريداتس فأتاهم وضمهم اليه (١٦٦).

هكذا كان الاونيون إسبق المستعدين على مصر بجحودهم افضالها عليهم وخانوا العائلة التى آوتهم وجمعتهم وحمتهم بدينهم من اعدائهم واعدائه بدلا من ان يكون غيرهم من اليهود الذين لم يحظوا بمثل ما ناله الاونيون من كرم ومودة وعطف وامتياز ورغم ما غمرتهم به مصر من خيراتها بوجودهم بارضها وحمايتها كان فريق اونياس او هونيا البادئين بل وسار على حذوهم فى النكران والتنكر اليهود الاخرون فخانوا بلدا اكلوا عيشه واستظلوا بحمايته ودانوا له بحياتهم فقابل كل يهود مصر من اونيين وغير اونيين السماحة والكرم بالكفر والعدوان فسرعان ما انقلبوا الى عدو فى ارض يعيشون بين اهلها و يد لعدوان العادين عليها فكان طبعهم غلابا وتعصبهم لعنصريتهم اقوى وانانيتهم ومصلحتهم اشد واكبر من ان يثبتوا على عهد او ان يعترفوا بجميل فانضم الجميع الى القائد اليهودى وعسكره من اليهود وسعوا معه لنصرة المعتدين من ابناء روما البلدة الهيلانية الصغيرة الناشئة الطموحة الحاقدة على الاسكندرية ام الدنيا واكبر مدن العالم اذ ذاك وحاملة مشعل الحضارة بعد اثينا الخالدة ام القرى وقد كان فضلها على اليهود عظيما لا ينكره الا اليهود انفسهم.

سبق أن ذكرنا ما رواه جوزيفوس عن وصفه لمعبد اونياس ومذبحه والحصن فى ليونتوبوليس وما ورد بمناسبة ذلك فى نبؤة اشعيا التى شهدت بصحتها ودقتها الحفائر التى قام بها الاستاذ بترى ملاحظة (١٥٥) من كشفه فى حفائر تل اليهودية أى مدينة ليونتوبوليس القديمة عن بقايا معبد اونياس (هونيا) اذ أن هذا العالم الكبير قد اتبع فى تنقيبه رواية جوزيفوس التى كما يقول شيخ الاثريين كانت مطابقة تماما لما ظهر من آثار فى تلك المنطقة و يقرر أن كل التفاصيل الاثرية تتطابق بدقة مع ما اورده جوزيفوس فى كلامه ختى قوله بان هذا المعبد يشبه برجا من حجارة ضخمة كما ذكرنا فى ملاحظة (١٦٠) فكان رد الاثار على ذلك ما يرى الاستاذ بترى أن ليس هناك صعوبة ولا تناقض اذا قرئت هذه الفقرة من جوزيفوس امام الاثر نفسه كما ذكرنا فالذى يقف امام المعبد يجده مطابقا تماما لمعبد سليمان ولكن ما رآه جوزيفوس برجا كان اساسه طبيعة مصر صحراء ورمال من بلدة تل اليهودية (ليونتوبوليس) وصخر فى فلسطين كما يقول سترابون و بيترى وقد كان ارتفاع جدران التل بعد الكشف عنها فى الحفائر ٥٩ قدما (انظر ملاحظة ١٥٩ لوحة ٢٤) التى تبين الكشل العام الذى ظهر عليه المعبد فى الحفائر وكان هذا هو الشكل الذى شاهده بترى بعد كشفه فى حفائره تل مرتفع محاط بجدران من الحجارة الضخمة اقيم عليه المعبد والحصن لا كما ظن لو يب Loeb فيما سبق ذكره.

وقد تضيف المكتشفات دليلا آخر على وجود اليهود بهذه المنطقة فى ليونتوبوليس اذ قد عثر بترى على شقفه من الحجر هامة سجلت عليها بعض حسابات تسليم الطوب للبنائين وسجل عليها اسمان يهوديان هما شاباني وابراهام بالعبرية كانا يعملان فى تسليم الطوب (انظر ملاحظة ١٥٩ لوحة ٢١ وصفحة ٢٠) ثم يخبرنا بترى بظاهرة فريدة فى هذه الحفائر عندما تعمق فى الحفر فى هذا التل الرملى المغطى بالأحجار الكبيرة وجد فى عمقه فى مستوى الارض التى اقيم عليها التل عددا كبيرا من افران عيد الفصح صففت فى خطوط ومجموعات ومبنية من الطوب الاحمر سعة الواحد منها قدمان وارتفاعاها قدمان ونصف القدم و يضيق الفرن كلما ارتفع نحو الفوهة وكأنه

خليه نحل مفتوحة من اعلا (٣١ ص ١٠٥) ووجد بهذه الافران رماد وقود الخشب وقد اوقدت هذه الافران كلها حتى احمر الجزء الذى يحيط بها على سطح الارض تحت الافران وحولها وقد وجدت فوق الرماد بداخل الافران بعض عظام ارجل الخراف وقد طابق هذا كله مراسم احتفال بعيد الفصح تماما ففوق هذه الافران يشوون الخراف (٣/١٢ سفر الخروج) ثم أن هذه الافران تدل على أنها قد استعملت جميعها لفترة معينة ولم تكن للاستعمال العادى للطبخ فقد وجدت كلها على مستوى سفح التل الرملى بحيث تدفن جميعا فى وقت واحد عند تكديس رمال التل عليها. و يفسر بترى ذلك بانه عندما تأسس هذا المقدس الجديد دعى اونياس الى اجتماع ضخم من رؤساء القبائل والعائلات اليهودية فى مصر فحضروا الى هذا المكان من كل انحاء مصر التى انتشروا فيها (ملاحظة ١١٥ ص ٢٢) وعلى ارض مدينة الشمس اى القدس الجديدة تراصت الافران مجموعات لكل قبيلة فى خطوط تماما كما يجرى فى عيد الفصح (الخروج ٣/١٢) وما بعده) و بد غروب الشمس مباشرة توقد الافران و يعلوم اللهب من الاف الافران هذه وتذبح الخراف ايضا بعد الغروب مباشرة وتشوى على نيران الافران فى هذا الاحتفال المهيب و بعد الانتهاء من الاكل يقوم الجميع فيهيلون الرمال على الافران الموقدة فيخمد اللهب وهكذا كانوا يبدأون تأسيس المدينة الجديدة بان يميتوا نيران الاضاحى (١٥٩ ص ١٠١) وفى هذا معنى عميق كما يقول بترى ومغزى بالغ الاهمية رغم أن هذا العمل بيس على صواب تام ولا حلالا صرفا اذ كانت العادة عند الكنعانيين أن يضحوا بولد (أنظر فؤاد حسانين ملاحظة ٢٠) يضعونه تحت اساس مايبنون اما فى العصر اليهودى فقد تغير هذا الامر فقد استعيض عن التضحية بآدمى بالتضحية بالنار فقد عثر فى فلسطين فى اساس أحد المبانى على مصباح كان مضاء وغطى بإناء وهكذا تطور الامر «فاخماد النار واماتتها اصبح عوضا عن قتل واخماد انفاس آدمى» فالروح نارية.

والواقع أن الاستاذ مونتيه P.Montet قد كشف عن مثل هذه الضحايا الآدمية فى حفائره بتانيس أو صان الحجر (انظر ملاحظة ٢٩ ص ٩٨-٩٩) اذ وجد قدرين من الفخار كتابوتين يحتويان كل على هيكل عظمى واحد منهما تحت الأبنية والاخر داخلها فى خارج تانيس ايضا وجدت الضحايا الادمية فى وادى التلاميلات «Toumilat» وهو مكان لخط القوافل

من فلسطين الى مصر وكذلك يقرر الاثريون أن مثل هذه الضحايا الآدمية وجدت فى كنعان وفى مجدو وفى جزر جيزر Gezer ثم يقول مونتيه أنه رغم احتجاج الانبياء اليهود من أهل هذه البلدان فان الاسرائيليين المرابطين فى فلسطين كانوا يذبحون الاطفال و يضعون رفاتهم فى اساسات المبانى وعن تانيس يقول أن الضحايا الآدمية قد اخذها المصريون عن الاسرائيليين بعد حرب الكفرة وانتصار آمون عندما اقام بسوسينس Psousenes المعبد الذى وجدت كل طوبة منه مختومة باسمه (انظر ملاحظة ٢٩ ص ٩٨-١٠١) وهذه العادة كانت قاصرة على الاماكن التى يتردد عليها الساميون الاسرائيليون فقط دون اى اثرا لها فى اماكن اخرى بمصر ثم انظر ايضا (فؤاد حسنين فيما سبق ملاحظة ٢٠).

فوجود هذه الافران تحت التل الرملى فى تلك اليهودية بهذا العدد الهائل وعلى اوسع نطاق اى بمدينة ليونتوبوليس تحت رمال التل الاصطناعى لاقامة المعبد عليه كان مصداقا ايضا لنبؤة اشعيا «يعرف الرب فى مصر و يعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم و يقدمون ذبيحة وتقدمة و ينذرون للرب نذرا و يوفون به» (٣/١٩).

يـم يكتشف بترى ايضا ركاما ضخما من عظام الاضاحى اليومية بالمعبد ملقى خارج المدينة فى الشمال ثم قبل ذلك وجد نافيل Naville شواهد مقابر يهودية على الطريق من مدينة اونياس الى احد الاماكن فى الصحراء.

فكثرة هذه الافران يثبت تمام و بوضوح ما قصدة اونياس حسب ما ذكرناه سالفا عن جوزيفوس الى ما كان يريده من تجميع اليهود حول هذا المعبد فجعل من رؤساء القبائل والعائلات اليهودية المستوطين فى مصر كلما ذكر بترى شركاء فى اقامة المقدس المصرى الجديد فكانوا كلهم مجتمعين ومجمعين على هذا أى اقامة قدس ومعبد ومذبح مع قلعة لله الابكر منفذين بذلك نبؤة اشعيا.

فكل الدلائل الاثرية من وجود المعبد فوق التل الرملى المصطنع باحجار جدرانه الشاهقة بما وجد تحته من آلاف الافران للاضاحى تشير الى حشد يهودى ضخم فى يوم تأسيس قدس جديدة كان يعتبر **عيد الفصح للعودة الى مصر والرجوع اليها** بعد الخروج من اورشليم هربا من نيرانتيوخوس كما كان **عيد الفصح للخروج من مصر.**

ثم أن الكشف عن تحصين قوى لهذه البلدة يخالف كل تحصين وجد فى مصر

ووجود مدينة كاملة على مستوى هضبة مرتفعة صمم مكان المقدس فيه بنفس نسب معبد سليمان فى القدس الفلسطينية امامه صالة داخلية وخارجها صالة خارجية وكان اليهود يشتركون فى بنائه بتقديم الطوب مهمنهم القديمة فى عهد الفراعنة التى كانوا يجيدونها وكانت هى سبب شقائهم كما ثبت من العثور على شقفة الحجر كما ذكرنا والتى تحمل اسمين يهوديين لشخصين يعملان فى ذلك مع وجود آلاف من افران الاضاحى فى اساس التل لانشاء المعبد فوقه ثم ركام العظام المحروقة للاضاحى اليومية خارج مدينة ليونتو بوليس ثم وجود شواهد المقابر اليهودية ثم ما وجد خارج المدينة من آثار تشير فى دلالة ثابتة الى وجود القدس الجديدة وانشائها فى مدينة الشمس اوليونتو بوليس المصرية يشير كل هذا الى انها كانت مدينة مقدسة صورة صادقة شكلا وسمة لمدينة القدس فى فلسطين.

هكذا كانت العودة الى مصر بقيادة اونياس رئيس الكهنة الصالح الإرثوذاكسي بعد موسى الذى قاد الخروج من مصر قبله وكان كلا الخروج والرجوع من مصر وأليها والمقدس الجديد المصرى حماية لليهود واليهودية!!.

لوحة رقم (١)، (٢): لوحة الوحدانية

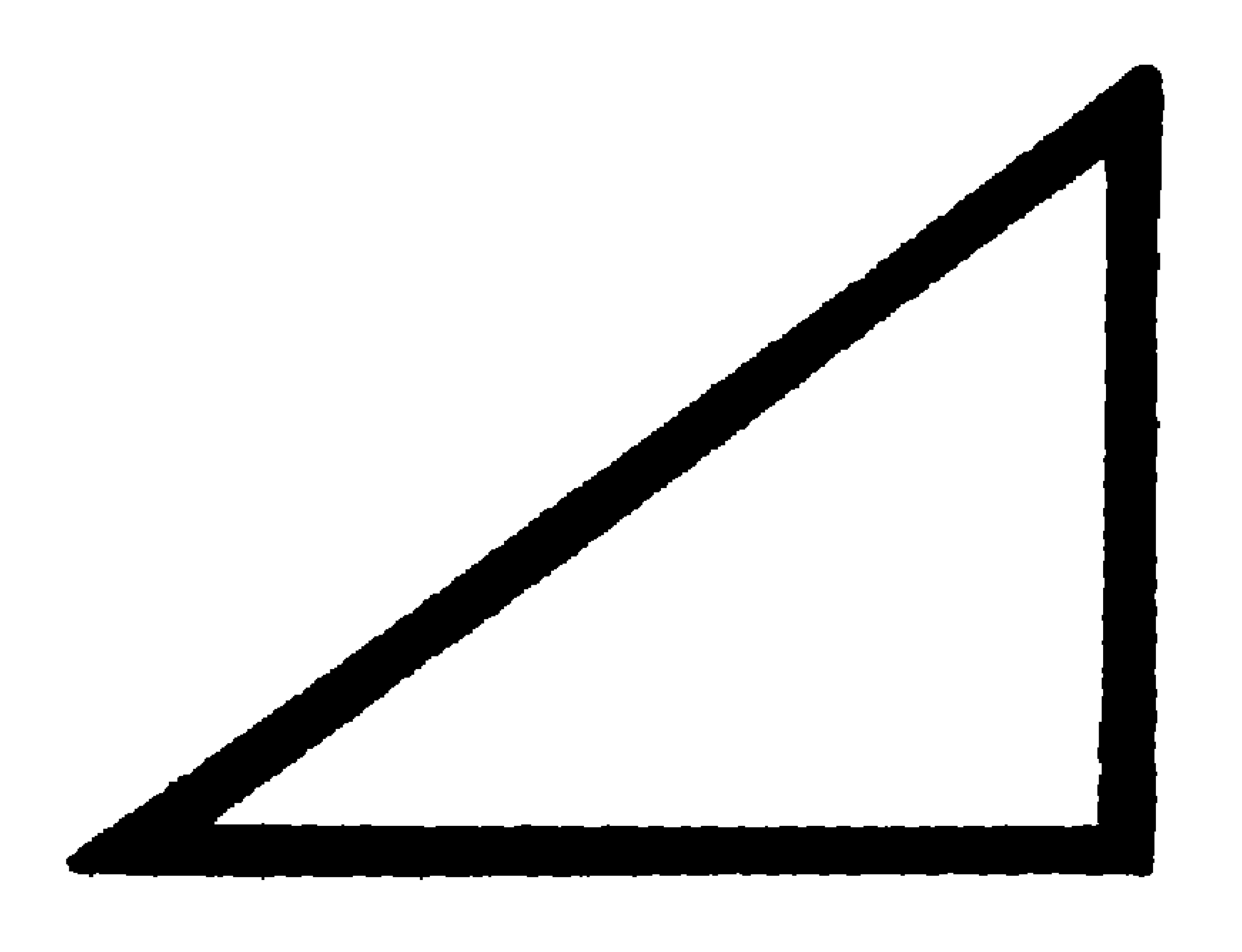


لوحة (٣)

قطعة نقود من البللون (فضة غير نقية) من مجموعة النقود الرومانية المسماة نقود الاسكندرية (مكان ضربها) وهى النقود الخاصة بمصر دون بقية الاقاليم الرومانية واستمر ضرب هذه النقود طوال الثلاثة قرون الأولى الميلادية.

على ظهرها: مثل الإله سرابيس الأحد (Heis) وقد توحدت فيه كل الآلهة الاخرى وجمعت الصورة كل رموز هذه الآلهة ـ فعلى رأسه الموديوس (Modius) مكيال للقمح رمز خصوبة الارض كاوزيريس ثم على رأسه ايضا قرن الكبش رمز الإله آمون والتاج المشع لزيوس إله الشمس اى هيليوس Helios وخلف ظهره آثار لقرن البركة Cornucopial رمز النيل وامامه الحربة ذات الثلاث شعب Trident كإله البحر Poseidon بوسيدون اليونانى أو Neptune نبتون الرومانى وعلى ساق الحربة التف ثعبان رمز الإله اسكلبيوس Asklepios إله الشفاء ـ وتاريخ هذه القطعة من عهد الامبراطور هادريان فى القرن الثالث م.

وهذا تمثيل ايضا كالوحدانية التى ذكرها سترابون على لسان موسى ان الله يشملنا جميعا ويشمل السماء الذى نسميه الكون ويشمل الارض والبحار.



لوحه (٤)
مثلث الخلق

مثلث قائم الزاوية:

العمود-طوله ٣ سم وهو أول عدد فردى فى الاعداد بعد العدد (١) وقد وصفه بلوتارخوس (بالكامل) وهو المذكر وهنا يرمز الى اوزيريس اى الاصل.

القاعدة-طولها ٤ سم العدد الذى يساوى مربع العدد (٢) اول عدد زوجى فى الاعداد وهو المؤنث و يرمز هنا الى إزيس قاعدة الانتاج أو المادة المستقبلة.

الوتر-طوله ٥ سم أى حورس أوهاربوكراتس ابن اوزيريس وازيس وطوله مكون من (٣) اى الاب اوزيريس ثم (٢) المؤنث اى الام ازيس.

وحسب نظرية بيتاجوراس (فيثاغورث) فالمربع القائم على وتر المثلث القائم الزاوية يساوى المربعين القائمين على الضلعين الأخرين وهذا يعنى أن الكل فى واحد والواحد يشمل الكل (إنظر بلوتارخوس ازيس وازيريس 56،344).

أى الثالوث الذى لا يمكن فصل اعضائه عن بعضها فوحدتهم لا تنفصم.



لوحة (٥)

قطعة نقود من مجموعة نقود الاسكندرية من عهد الامبراطور هادريان (القرن الثالث م)؛ على ظهرها: شكل يمثل ثالوث الاسكندرية السماوى، ازيس وسرابيس (اوزيريس) وبينهما الأبن هورس أو هاربوكراتيس والكل على ظهر نسر طائر يمثل السماء (برونز).

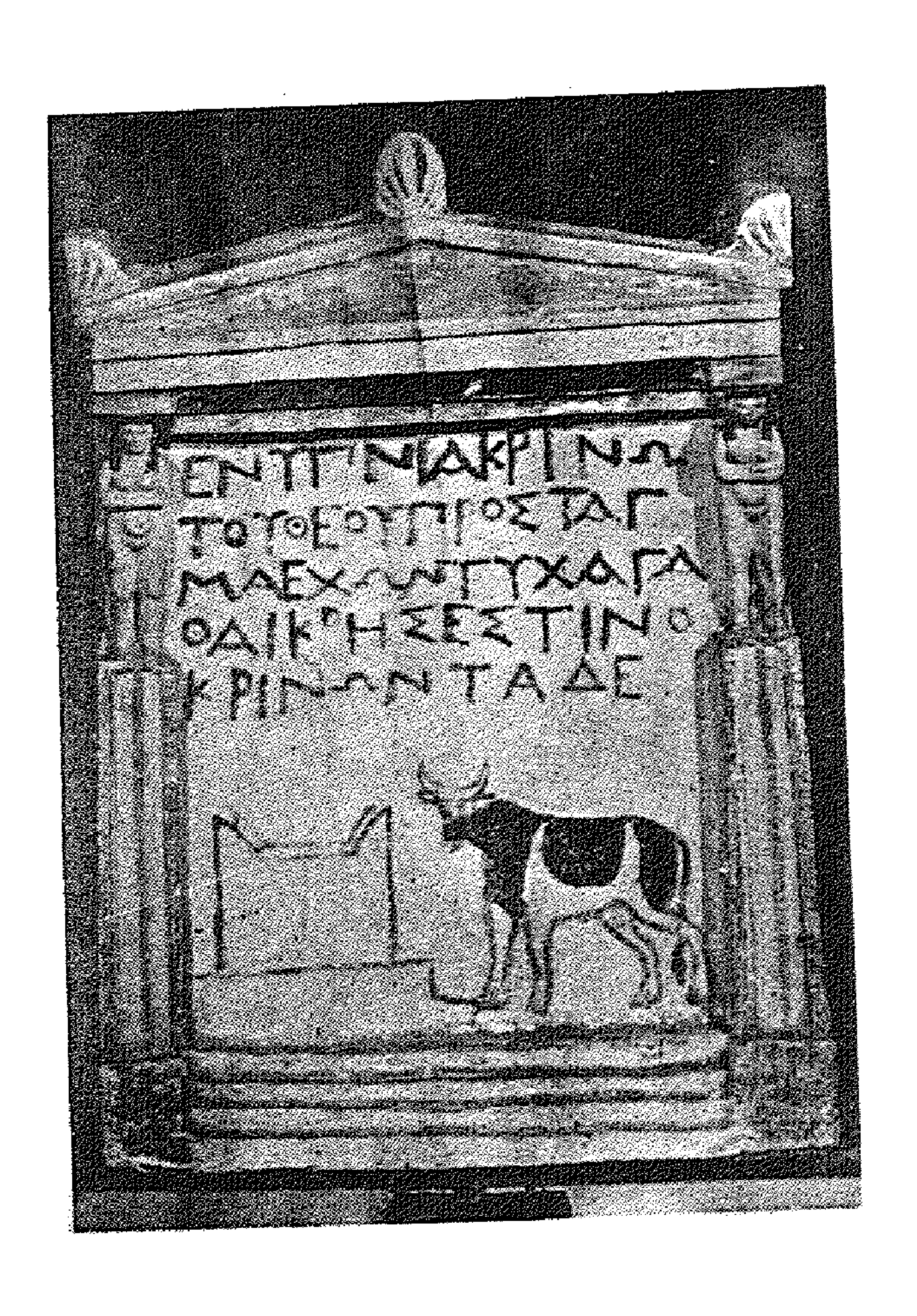


لوحة (٦)

-١-

(١) فص خاتم من حجر الشيست Schiste مستطيل (١٠×٨ مم) منقوش عليه بالحفر الغائر عجل ابيس الإله وعلى جانبه الهلال علامة انتسابه للقمر وفوق رأسه نقشت كلمة يونانية Phylaxai ومعناها احفظنا أو احمنا.

العصر اليوناني الروماني-المتحف المصري.



لوحة (٦)

لوحة جنائزية من الحجر الجيرى اكتشفها الاستاذ مريت Mariette فى الباستوفوريون Pastophorioi بسقارة لأحد الكهنة من مفسرى الاحلام من غير سلك الكهنوت الرسمى بالمعبد، رسم عليها عجل ابيس الإله بالوانه التقليدية الاسود والابيض واقف وامامه مذبح فوقه نص يونانى :

«افسر الاحلام هبة من الله حظا سعيدا، ومفسر الاحلام هذا رجل من كريت».

وكل عناصر هذه اللوحة مصرية فعلى تاجى العمودين الإلهتان المصريتان ازيس ونفتيس وقد أرّخ الأستاذ مريت هذه اللوحة فى العصر البطلمى (القرن الثانى ق. م.).

المتحف المصرى



لوحة (٧)

هذا الثور أحد العجول المقدسة .كابيس وقد تقمصته روح الإله مونثيس Monthis الذى كان حاميا لملوك الاسرة الحادية عشرة واتحد بعد ذلك بآمون اله الشمس وقد تقمص الإله مونثيس هذا العجل المقدس الذى سمي فى العصر المتأخر بوكيس Buckis فى مدينة هيرمونثيس Hermonthis (أرمنت) وقد حفر على لوحة من الحجر الجيرى حفرا بارزا وغطى جسمه كله بالذهب وخلفيته زرقاء بلون السماء وفوقه الصقر (هورس) رمز السماء و يقدم له الحاكم فى معبده لوحة عليها ثلاث ريش (معت) رمز العدل والحقيقة فهو الاله الحق العادل الذى يهب الحاكم نعمة العدل والحق يعيش بها حياته ـبرج الثور(الشمس فى برج الثور) .



لوحة (٨)

عجل ابيس الإله بالمتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية وتدل صورته بوضوح على أنه ملك الحيوانات كما كان يعتبره المصريون وغيرهم من الرعاة والفلاحين وبين قرنيه قرص الشمس وعليه الحية.

من عهد الامبراطور هادريان (القرن الثالث) متحف الاسكندرية.



لوحة (٩)

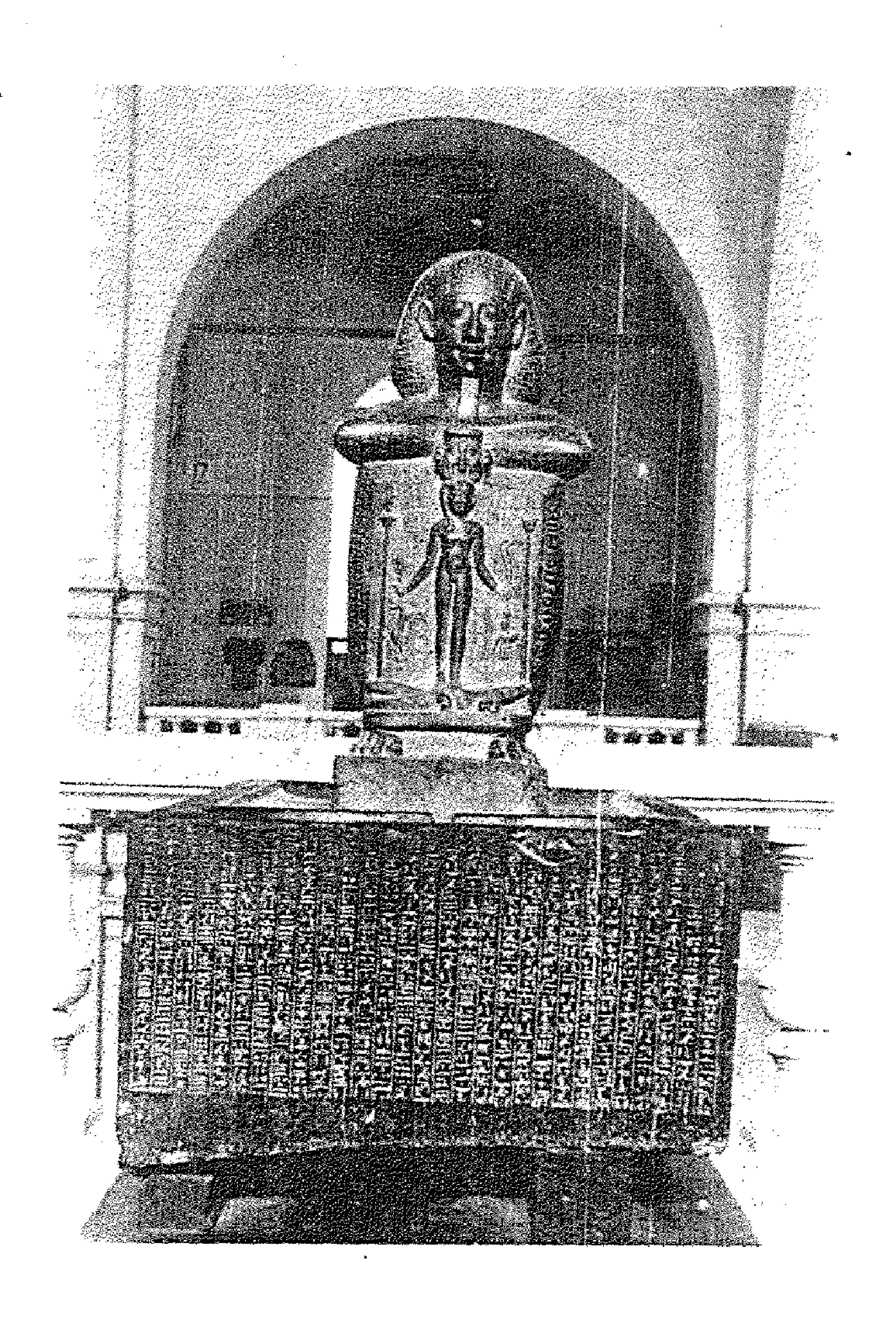
الإله مثرا الفارسي يصرع الثور ويذبحه بسكين في يده ويتعلق برقبة الثور كلب مثرا إله الرعاة ثم تحت العجل ثعبان يمثل الارض التي ترتوى من دم الثور فتخصب وتخضر.

ومثرا على رأسه الكاب ينظر الى السماء يستلهم الأمر بذبح الثور من إله الشمس - تمثيل فلكي يرمز إلى الربيع حسب الابراج الشمسية فتخضر الارض وتزدهر الدنيا وتدب الحياة فيها بتضحية العجل - المتحف المصرى.



لوحة (١٠)

الإله مثرا الفارسى بنفس التكوين فى صورة (٩ المقابلة) ولكن رأس مثرا مهشمة إلا أنه واضح تماما كيف يصرع الإله الثور وكيف يمسك بفمه ليذبحه وركبته فوق ظهر الثور وهو يقاوم الإله والكلب متعلق برقبة العجل والثعبان واضحان تماما ـ المتحف المصرى.



لوحة (١١)

لوحة شفائية تمثل الكاهن جدحر Zed Her جالسا القرفصاء وبين رجليه لوحة عليها حفر بارز للإله حورس الطبيب ممسكا بيديه ثعبانين وعقارب واسد وغزال وواقف على تماسيح وفوق رأسه صورة للإله بس (Bes) والتمثال كله يحمل كتابات هيروغليفية سحرية من تعاويذ وبعض الرسوم الرمزية وفى الاسفل على القاعدة حوض صغير تتجمع فيه المياه التى ترش على التمثال فتكتسب قوة سحرية شفائية من الكتابات والتعاويذ والرسوم التى سكبت عليها مع الحيوانات المؤذية المنقوشة كلها على التمثال، يشرب منها كل من لدغه عقرب او ثعبان او عضه تمساح أو فزع من اسد قابله أو غزال جرحه فيشفى و يقف مفعول السم فى جسده وهذا هو أصل طاسة الخضة الآن عندنا.

عهد الاسكندر الاكبر وقد وجدت فى اتريبس (بنها) ـ المتحف المصرى.

SECTION A-B

A

CASTLE

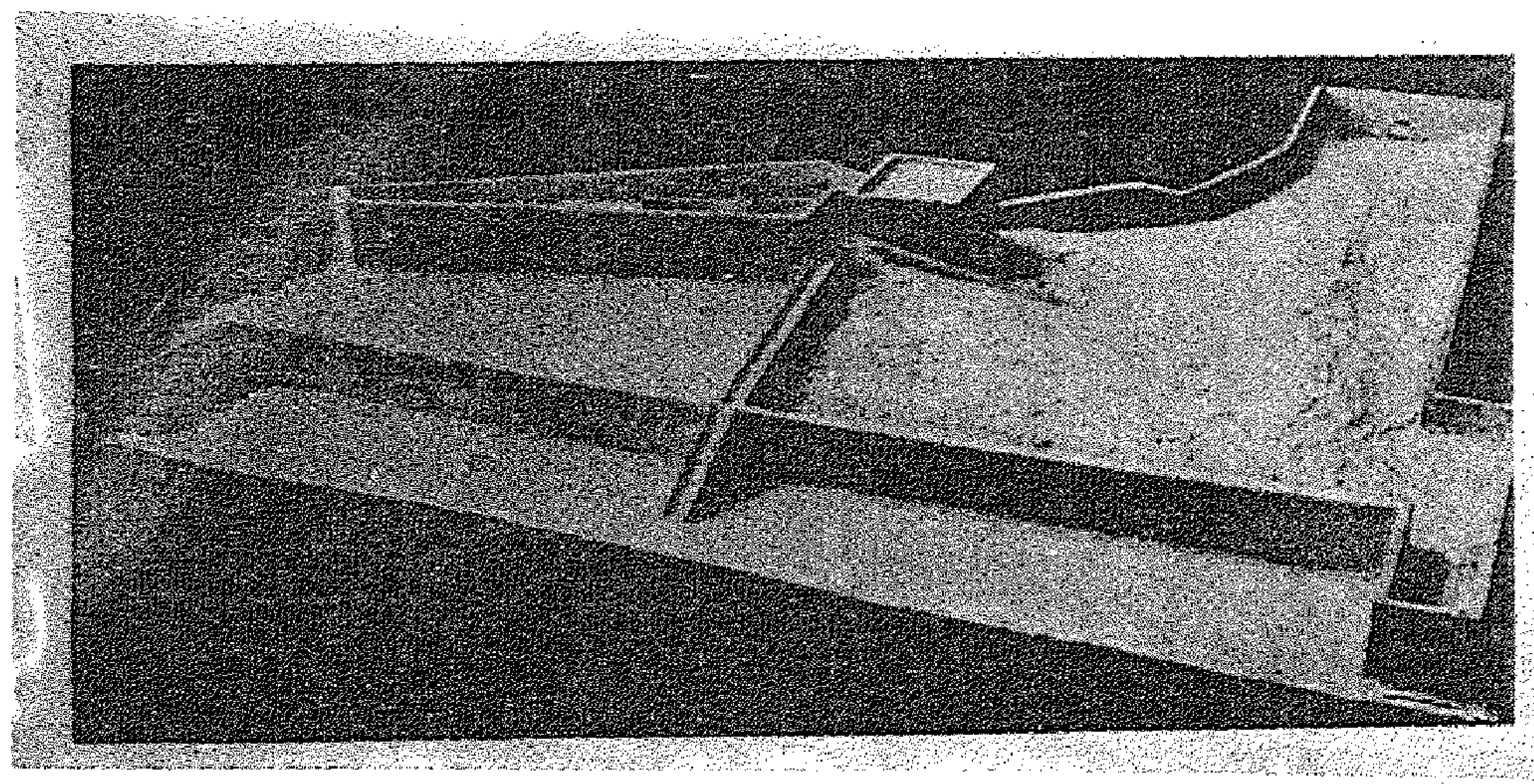
OUTER COURT

INNER COURT

TEMPLE

RECENT FORT TOWN

B



لوحة (١٢)

تصميم ورسم نشرهما الاستاذ فلندرز بترى F. Petrie يبينان شكل المعبد اليهودى الذى بناه الكاهن الاعظم هونيا اليهودى فى مدينة الشمس بالصحراء الشرقية أو بيت المقدس الجديد فى عهد بطليموس السادس ـ القرن الثانى ق.م.


المراجـــــــع

المـراجـع

(١) سترابون — Strabon XVI, 2, 37.

(٢) سترابون — Strabon XVI, 2, 37.

εκ τῶν τυραννίδων, τὰ ληστήρια.

(٣) تشيرنى — Cerny (Jaroslav): The Greek Etymology of the name Moses- Annales du Service des Antiquites de l'Egypte, t XLI p.349-354.

(٤) فيلو — Philo, De Vita Moyses. I, 17

(٥) جوزيفوس — Josephus, Jewish Antiquities,II,228.

ثم يرد معنى المقطع الثانى من اسم موسى بمعنى (الذى انقذ من الماء كما يقول المصريون) فى قاموس اللغة اليونانية لاستفانون Stephanon P. Lexikon:

Uses – هم المنقذون من الماء كما يسمونهم المصريون

(٦) جوزيفوس: Jos., Contra Apionem, 1,286.

(٧) كلمنت السكندرى — Clement of Alexandria, Strom 1, 23

(٨) سترابون — Str. 16, 2, 35.:

Μωσῆς γὰρ τις Τῶν Αἰγυπτίων ἱερέων ἔχων τι μέρος τῆ κάτῳ καλοῦμενης χώρας.

كان موسى احد كهنة المصريين على جزء فى الارض السفلى (مصر السفلى) كما يسميها المصريون.

(٩) سترابون — Strabon, 16, 2, 35.

(١٠) سترابون — Str. 16, 2, 35.

(١١) سترابون — Str. 16, 2, 35.

أن يعبدوا الله بدون صورة — Τιμάν ἔδους χωρίς.

(١٢) د. عبد المحسن الخشاب — Dr. El-Khachab, Τὰ Σαραπεῖα. a Sakha et au Fayum - ou les bains therapeutiques- Supplet. des A.S.A.E. No.25.

(١٣) دكتور عبد المحسن الخشاب- الشياترو القديم.

(١٤) سترابون — Str 16, 2. 35:

ἐγκοιμᾶσθαι δέ καὶ αὐτοὺς ὑπερ ἑαυτῶν καὶ ὑπὲρ τῶν ἄλλων ἄλλους

τούς εὐονείρους.

(١٥) سترابون — Str. 16, 2, 36.

(١٦) سترابون — Str 16, 2, 36

(١٧) سترابون — Str 16, 2. —37

(١٨) نفس المرجع — Str (idid)

(١٩)- Mac Dormet Violet, The Cult of Seer in the Middle East

A Contribution to Current Research on the Hallucinations drawn

from Coptic and other Texts (1971) p 11, f

(٢٠) الدكتور فؤاد حسنين على : اسرائيل عبر التاريخ - فى البدء.

(٢١) حوريفوس — Jos Jewish Antiquities, II, 236:

وكان اليهود يعلقون عليه آمالا كبيرة بالنسبة للمستقبل

Ἑβραίοις ἐπὶ αὐτῷ παρῆν ἐλπὶς περὶ ὅλων.

ὑποψίας δ' εἶχον Αἰγύπτιοι. بينما كان المصريون ينظرون الى نشأته نظرة شك :

وهذا تصوير يمثل الواقع الذى يشعر به المسئولون فى مصر من تبنى العائلة المالكة لموسى العبرانى.

(٢٢) ميام — Mayam, sur l'origine de Goschen - Rev d'Hist.

et de Philosophie Relig (1955) p 58

(٢٣) حوريفوس — Jos Jewish Ant II, 241

(٢٤) دريوتون — Drioton, Aperiou - Rev d'Hist et Philosophie

Relig (1955) p 47

(٢٥) فيلو — Philo, Moses I, 10

(٢٦) فيلو — كان موسى معتبرا ابنا لبنت الملك و يأملون ان يكون هو الخليفة لجده فى الحكم فكانوا ينادونه بالملك الجديد.

Philo, Moses I, 32

Philo Moses I, 41

(٢٧) فيلو — Philo Mos

καὶ ἦν εὐαγὲς τὸν ἐπ' ὀλέθρῳ ζῶντα ἀνθρώπων ἀπολλύσθαι.

وكان عدلا أن يحطم من عاش على تحطيم ارواح الناس.

(٢٨) فيلو — Philo Moses I 38.

(٢٩) بلوتارخوس Plut 31 — 363 C

بعد نجاته من المعركة أصبح أبا لهيروسوليموس و يودايوس:

γεννῆσαι παῖδας Ἱεροσόλυμον καὶ Ἰουδαῖον.

ومن هنا فالقائلون بأن ست نجى من المعركة وخلف ولديه هيروسوليموس و يودايوس ارادوا بوضوح أن يدخلوا المسألة اليهودية الى الخرافة المصرية.

κατάδηλοι τά Ἰουδαϊκα παρέλκοντες εἰς τόν μῦθον.

(٣٠) بلوتارخوس Plut. ibid

(٣١) بلوتارخوس Plut, 50,3.

(٣٢) فيلو Philo, Moses 1, 175

(٣٣) P Montet, L'Egypte et la Bible - Cahier d' Archeologie Biblique No 11 - Ptah Hotep, vers 48 - 50, p 114 Amonemope (XXXIV, 9 - 14) p 116

ثم أنظر أيضا: P Montet. Le Fruit defendu. (Kemi, XI, pp 109 et 856).

كما ذكر فانسنت في كتابه **(Vincent (Al.); La Religion Judeo araméens d'Elephantine)** حسب ما ورد في بردي ستراسبورج (٢٧) **(Pap. de Strasbourg (27)** الذي يذكر هدم المعبد اليهودي في ٤١٠ ق.م. وقد اعتمد عليه مونتيه في كتابه (ملاحظة ٣٣ ص ١٠١) إذ يقول أن سكان الشلالات قد هدموا معبد ياهو Yahô بسبب التوراة التي اعتملت في نفوس المصريين ضد الغرس وبسبب أقوى من ذلك هو ذبح خروف عيد الفصح في مناطق كان فيها الاله خنوم هو المعبود المسيطر عليها و يذكر ما ورد في الخروج (٨/٢٢-٢٣) أن موسى كان على علم بكل المتناقضات الموجودة بين الديانة اليهودية والديانة المصرية. و يقول فانسنت Vincent ان تدخل يَهْوا في خروج اليهود من مصر ونجاتهم من المصريين كان سببا في احتفال اليهود بعيد خروجهم (الفصح Pâque) ففي بنود بردي ستراسبورج (٢٧) من سنة ٤١٠-٤١١ ق.م. يعدد هذا البردي الحوادث كما وقعت في بنوده ففي بند (٦) يروى أن معبد الاله ياهو Yahô الموجود في المدينة الحصينة جب (Jeb) قد ازيل و بعد ذلك يقول ... ويدرناج Widernag حاكم المدينة ارسل خطابا إلى ابنه قائد حامية اسوان يخبره بذلك وفي المادة (٧) يقول البردي ان كهنة خنوم اتفقوا مع و يدرناج على ذلك وفي بند (٨) يقول ثم بعد ذلك قاد ابنه ... المصريين الذين كانوا في مدينة جب مع بعض الجنود أتوا الى جب بأسلحتهم وفي رقم (٩) يقول البردي انهم صعدوا الى المعبد وأزالوه من أساسه وفي رقم (١٣) يقول أن «إخواننا» بنوا هذا المعبد في قلعة جب ولما أن اتى قمبيز الى مصر و يكمل البردي القول في (١٤) ان بعد وصول قمبيز ظل المعبد قائما وكل المعابد في مصر هدمت إلا هذا المعبد فلم تمتد اليه يد أي شخص بسوء.

ثم يقول فانسنت ص ٣٧٢ ان يهوا كان اله السماء ورب الجنود ولكن المعبد كان مقر يهوا الإله القومي **Le dieu national** وقد كان هدم هذا المعبد سببا في حزن الطائفة. وحتى لاعادة بنائه لم ... وفي ص ٣٧١ ... كان يحظى باحترام قمبيز

وظل قائما وذلك لأن قمبيز تذكر فضل يهوا الذى فى ارض بين النهرين وكان إلها يشبه اهورا مزدا ثم ان اليهود كانوا مساعديه فى مقاومة المصريين ثم انهم فى الفنتين كانوا قوة لصد الاثيوبيين وقد وافق قمبيز اعترافا بوفائهم له هذا أن يعطيهم بعض المزايا ولم يكن عند اليهود أفضل من الامتيازات الدينية فكان آنذاك غير ممكن ان تقدم على مذابحهم اضاحي الهولوكاوست (holocaustes) وكما ورد فى سفر الخروج (Ex. 8/ 216) أن موسى كان على علم بكل المتناقضات بين الديانة اليهودية والمصرية **وهو ما ظل حقيقة دائما**. ويذكر فانسنت أنه فى انحاء كثيرة فى مصر كان الكبش والجدى مقدسين ولذلك لم يكن للمصريين أن يضحوا بهما وقد زاد الأمر حرجا ان الفنتين كلها كانت تحت سيطرة عبادة خنوم ثم هذا المعبد هو الذى كان موضع احترام قمبيز بينما قد هدم كل المعابد المصرية ثم ايضا الحرية الكاملة! للعبادة بالنسبة لليهود (ص ٣٧٣) ثم فى بند (٣٨) من بردى ستراسبورج (٢٧) (يذكر أن خنوم كان ضدنا (قول اليهود) منذ أن اتى هنانيش Henanish)رسول اسرائيلى اتى من عند ملك الفرس ومعه أمر بتضحية الخروف:(٤١٢-٤١١ ق. م.) وهذا الذكر كان من عند كهنة خنوم الاله الكبش يلاحظ المؤلف الا تفسير لذلك القول إلا بسبب التعصب الدينى Fanatisme religieux وان الذى زاد فى اثارة كهنة خنوم الدينية ايضا ان وجود الحامية الاجنبية قد اثار فى نفوسهم النعرة الوطنية اذن فالمؤلف يشير ايضا الى ان بجانب هذا التنافر الدينى بين اليهود والمصريين ثورة كامنة فى النفوس وطنية سياسية حركتها الديانات كما اشار الى ذلك مونيته (ص ١٠١ ملاحظة ٣٣) وفى ص ٣٧٩ يقول فانسنت ان ذروة الخلاف والمشكلة كان بسبب ذبح الحامية اليهودية الارامية judeo arameens الخروف الذى كان كهنة خنوم يعتقدون أن روح خنوم قد تجسدت فيه ثم فى ص ٢٥٧ يقول فانسنت معلقا على ذلك بقوله «ان ليس هناك شيء سبب هذا كله غير ذبح خروف عيد الفصح «l' agneau pascal» فكان ذلك اثباتا لما ورد فى بلوتارخوس (انظر ملاحظة ١٥٣).

(٣٤) فيلو — Philo, Moses I, 174

(٣٥) فلندرز بيترى — Petrie (Flinders), Egypt and Israel p.118-119.

(٣٦) بلوتارخوس — Plut. 32 — 363.D
Plut-. 33 — 363 F.

(٣٧) ديوجين لايرتيوس — Diogenes Laertius, Lives and Opinions - Eminent Philosophers, XIII,.35.

(٣٨) بلوتارخوس — Plut 75 — 381B.
ثم فى ذكره ليوربيدس: أنظر — Plut 75 Z 381 BEur. Tro. 887-8.

(٣٩) بلينيوس — Plinii, Naturalis Historia,XXXVII, 89.

(٤٠) بلوتارخوس — Plut, 10 — 355.- 74 — 381.

(٤١) بلوتارخوس . Plut. 74 — 380 F. 67 — 378.

(٤٢) بلوتارخوس . Plut. 76 — 382.

(٤٣) ايرمان Erman (Adolph), La Religion des Egyptiens p. 192 -193.

(٤٤) جريفيث ثم جاردنر J.E.A., XII p. 228 Griffith; and Gardiner, Egyptian Grammer p. 197.

(٤٥) داراسي Annales de Serv. des Ant. de l''Egypte 1918 t. XVIII-Daressy, Inscrip. Tentyrites p. 189.

(٤٦) ديفوت E. Devaut, Les maximes de Ptah-Hermitage (No. 1116 A Pap. - Trad . et commantaire par Scharf 1936 - Die Literatur der Aegypter p. 294 - 302 (N.51).
Drioton (E), La Religion Egyptienne, l'Histoire des Religions

(٤٧) سترابون Strabon, XVII, I, 46.

(٤٨) بلوتارخوس في جريفيث Griffith - Plut. 19 — 358 D.

(٤٩) بادج Budge, (Wallis) The Gods of the Egyptians p 350

(٥٠) ديودوروس Diodorus I, 88, 4 - 5_1,90,2.3.

(٥١) جيرود وادجار O. Gueraud, SPhinx composites au Mus. du Caire, J. No. 37538 A. S.A.E. 1935 p.6 sq., Edgar,Greek Sculpture No 25754 p, 59 and pl. XXVIII.
ثم أنظر فرانسوادوماس في (MEFR) ((1977-2) ص ٤٣٦ «الملك إله معدود بين التاسوع» نص محفور في معبد سيتي الاول الاسرة (١٩) قرب مناجم ذهب الريديسية بوادي ميا Mia

(٥٢) بيردريزيه Perdrizet, La terre-cuites grecque d'Egypte p. 80.

(٥٣) تيرنر Eric Turner, "My Lord Apis"- Recherches de Papyrologies II, p. 118:
παρά τῷ κυρίῳ Ἄπιδι.

(٥٤) الخشاب EL -Khashab, Ὁ ΚΑΡΑΚΑΛΛΟΣ ΚΟΣΜΟΚΡΑΤΩΡ. (J.E.A. t 47 1961)

(٥٥) أن لفظ آمون تعني حسب رأى مانيتون الخفاء كما يقول بلوتارخوس Plut9 — 354 D
ثم يقول ومن هنا كانوا يعتقدون أن τὸ κεκρυμμένον — — καὶ τὴν κρύψιν.
الإله الاول الأعظم الذى هو في كل مكان διὸ τὸν πρῶτον θεόν ὃν παντὶ ....
آمون الذى ينادونه كالخفي الذى لا يرى....

(٥٦) سترابون	Strabon XVII, I, 40
(٥٧) ديودوروس	Diod I, 87, 2.
(٥٨) ديودوروس	Diod I, 87, 2.
(٥٩) ديودوروس	Diod I, 87, 2.
(٦٠) ديودوروس	Diod I, 87, 2.
(٦١) ديودوروس	Diod I, 87, 3
(٦٢) ديودوروس	Diod I, 87, 7
(٦٣) ديودوروس	Diod I, 87, 7
(٦٤) ديودوروس	Diod I, 89, 2.
(٦٥) بلوتارخوس	Plut. 75 — 38 B
(٦٦) بلوتارخوس	Plut 75 — 381 B
(٦٧) بروجش هاينريش تم دوماس ف	Brugsch (Heinrich), Religion und Mythologie der Alten Aegypter, p. 315 Cf Bibliotheca Orientalis - Jahrgang XXIV No 5/6 Sept 1967-Otto (Eberhard), Gott und Mensch nach den ägyptischen Tempelschriften der griech - römischen Zeit — Abhandlungen der Heidelberger Akademie der Wissenschaften, Phil-hist klasse Par F. Daumas (1967)
(٦٨) بلوتارخوس	Plut 21 — 359 D
(٦٩) بلوتارخوس	Plut. 21 — 359 D
(٧٠) بلوتارخوس	Plut. 21 — 359 D
(٧١) بلوتارخوس	Plut 70 — 379
(٧٢) بلوتارخوس	Plut. 70 — 379
(٧٣) بلوتارخوس	Plut 70 — 379 B
(٧٤) بلوتارخوس	Plut 31 — 362
(٧٥) بلوتارخوس	Plut 22 — 359 B.
(٧٦)	Plut. 31 — 363 B:

οὕτως ἀκριβῆ ποιούμενοι παρατήρησιν ὥστε κἂν μιάν ἔχῃ τρίχα μέλαιναν, ἢ λευκήν ἄθυτον ἡγεῖσθαι, θύσιμον γὰρ οὐ φίλον εἶναι θεοῖς.

معنى: يقومون بالفحص الدقيق حتى اذا وجدوا فيه (العجل) ولو شعرة بيضاء أو سوداء كان في نظره لا يصلح للضحية فالتضحية لا تكون بما تحب الآلهة.

Diod. I, 88, 4 - 5.

(٧٧) ديودوروس

τούς δέ πυρρούς βοῦς συγχωρηθῆναι θύσιν θία τὸ δοκεῖν τοιοῦτον τῷ χρώματι γενόνεναι, Τυφῶνα τόν ἐπιβουλεύσαντα μὲν Ὀσίριδι, τυχόντα δὲ τιμωρίας ὑπὸ τῆς Ἴσιδος διά τὸν τἀνδρός φόνον.

ديودوروس: فالثيران الحمراء يمكن التضحية بها فالمعتقد أن ذلك اللون هو لون ست الذى تآمر ضد اوزيريس فعاقبته ازيس لقتل زوجها.

Herodotus II, 38.

(٧٨) هيرودوتوس

τρίχα ἣν καὶ μίαν ἴδηται ἐπεοῦσαν μέλαιναν οὐ καθαρὸν εἶναι νομίζει.

فاذا رأوا حتى ولو كانت به شعرة سوداء واحدة حكموا عليه انه غير نقى.

Herod. II, 38:

(٧٩) هيرودوتوس

δίζηται δέ ἐπὶ τούτῳ τεταγμένας τῷ τις ἱερέων καὶ ὀρθοῦ ἑστεῶτος τοῦ κτήνεος ὑπτίου . . . . .

لفحص ذلك عين احد الكهنة لهذا العمل فكان يوقف العجل ثم يلقيه على ظهره (يبحث عن شية)ثم يخرج لسان الحيوان فاذا كان نقيا يذبحه.

ἀσήμαντον δὲ θύσαντι θάνατος ἡ ζημίη ἐπικεέται.

ثم انه يقول بان عقوبة الموت هو جزاء من يذبح عجلا لا يحمل علامة الا دن بذبحه
انظر بقية العلامات الخاصة بالعجل فى هيرودوتوس ٣-٢٨ ثم ملاحظة (١١١).

Plut. 31 — 363 B:

(٨٠) بلوتارخوس

τόν δέ μέλλονται θύεσθαι βοῦν οἱ σφραγισταὶ λεγόμενοι τῶν ἱερέων κατεσημαίνοντο, τῆς σφραγίδος ὡς ἱστορεῖ Κάστωρ, γλυφὴν μέν ἐχούσης ἄνθρωπον εἰς γόνυ καθεικότα ταῖς χερσίν ὀπίσω περίηγμέναις, ἔχοντα κατὰ τῆς σφαγῆς ξίφος ἐγκείμενον.

والعجل الذى سيقدم ضحية يعلم بواسطة من يسمون بين الكهنة بالختامين وكما يقرر كاستور يحمل هذا الخاتم نقشا لرجل يجلس على ركبتيه و يداه مر بوطتان خلف ظهره وغائر فى رقبته سيف).

Plut. 31 — 363 B:

(٨١) بلوتارخوس

ἀλλὰ τοὐναντίον, ὅσα ψυχαῖς ἀνοσίων ἀνθρώπων καὶ ἀδίκων εἰς ἕτερα μεταμορφουμένων σώματα συνείληχε.

وهذه الضحية على عكس غيرها تحتوى على اى تقمص لروح رجل (لارواح رجال) شريرين فاسدين خلف اجسام اخرى.

Plut. 31 — 363:

(٨٢) بلوتارخوس

διὸ τῇ μὲν κεφαλῇ τοῦ ἱερείου καταρασαμενοι καὶ ἀποκόψαντες εἰς τὸν ποταμὸν ἐρρίπτουν πάλαι, νῦν δέ τοῖς ξένοις ἀποδίδονται.

ولهذا كانوا يستمطرون عليها اللعنات وكانوا يقطعونها فيما سبق و يرمونها فى النهر اما الآن (أى فى عصر بلوتارخوس) يبيعونها للأجانب . (رأس العجل) .

(٨٣) بلوتارخوس	Plut. 33 — 364 B.
(٨٤) بلوتارخوس	Plut. ibid 33 — 364 B;
	Plut. 33 — 364 B.
(٨٥) ايليانوس	Aelianus - Animals XI, 10.
ثم بُروجش	Brugsch (Heinrich), Religion und Mythologie der Alten Aegypter p. 657
ثم ايضا جريفيث عن بلوتارخوس .	Griffith, (Plut), De Osiride et Iside p. 443
(٨٦) بلوتارخوس	Plut. 43 — 368 C.
انظر ايضا ملاحظة (١٠٠)	
(٨٧) بلينيوس	Plinius, op. cit. VIII, 184.
(٨٨)بلوتارخوس	Plut 52. — 372 D.
(٨٩) بلوتارخوس	Plut. 43 — 368 C.
(٩٠) بلوتارخوس	Plut. 52 — 372 D.
(٩١) بلوتارخوس	Plut. 52 — 372 D.
(٩٢) بلوتارخوس	Plut. 43 — 368 C.
(٩٣) بلوتارخوس	Plut. 43 — 368 D.
(٩٤) أيليانوس	Aelianos, XI, 10.
انظر ايضا ملاحظة (١٣٥)	
(٩٥) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(٩٦) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(٩٧) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(٩٨) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(٩٩) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(١٠٠) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(١٠١) هيرودوتوس	Herod. III, 38.
(١٠٢) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(١٠٣) بلينوس	Plinius, VIII, 184.
أنظر ايضا هيرودوتوس	Herod. 28.
(١٠٤) بروجش	Brugsch (H.) Religion und Mythologie der Alten Aegypter p. 315.

(١٠٥) بروجش	Brugsch (H.) ibid.
(١٠٦) بلوتارخوس	Plut. 21 — 359 C.
(١٠٧) بروجش	Brugsch p. 657.
(١٠٨) بروجش	Brugsch p. 94.
(١٠٩) بروجش	Brugsch p. 406.
(١١٠) سترابون	Str. XVII, I, 31.
(١١١) سترابون	Str. XVII, I, 31.
انظر ايضا هيرودوتوس (٢٨،٣) ملاحظة (٧٩)	
(١١٢) سترابون	Str. XVII, I, 31.
(١١٣) ايليانوس	Aelianus XI, 10.
(١١٤) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(١١٥) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(١١٦) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(١١٧) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(١١٨) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(١١٩) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(١٢٠) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(١٢١) بلوتارخوس	Plut. 56 — 374 B.
(١٢٢) بادج	(Wallis) Budge, The Gods of Egyptians - Study in Egyptian Mithology - Vol. II, p.349
ثم أنظر ايضا أميانوس	Cf also Ammianus Mar. op. cit. XXVI 714 (7.-17)
(١٢٣) بلنيوس	Plinius, VIII, 184.
(١٢٤) دريوتون	E. Drioton, Hist. de Rel. Eg.
(١٢٥) سترابون	Str. 17, I, 31.
(١٢٦) سترابون	Str. 17, I, 31.
(١٢٧) بلنيوس	Plinius VIII, 185.
(١٢٨) بلنيوس	Plinius VIII, 185.
(١٢٩) بلنيوس	Plinius VIII, 185.
(١٣٠) بلنيوس	Plinius LXXI, 185.
(١٣١) عبد المحسن الخشاب ـ التياترو القديم.	
(١٣٢) بلنيوس	Plinius LXXI, 186.

(١٣٣) بلنيوس Plinius LXXI, 186.

(١٣٤) توركان Turcan (Robert) Mithras Platonicus-Recherches sur l'hellenisation philosophique de Mithra p. 88 et note 195- (Bouklops)et p. 93 n.27 et p. 94;p. 111 n. 46; et p. 115n.66

ثم أنظر ايضا : Bidez, La vie de l'Empereur Julien p. 221.et p. 224.

ثم انظر توركان Turcan p. 121 note 114. et n. 121.

Aussi p.87 et Clemen C.,Fontes historiae religionis persicae, 76, 26 S. aussi note (183).

ثم أنظر et Aussi p. 117 et p. 118 n. ٩٧.

Chr. Lacombrade (edit.) de Jul, Discours II p. 94.

(١٣٥) ايليانوس Aelianos, XI, 10.

(١٣٦) كونراد Conad (J. Randolf) The Horn and the Sword-The Hist. of Bull as symbol of power and Fertelity p. 84. p.201-Cooke (Harold), Osiris study in Myths, Mystries and Religions:

فيه ذكر ان اليهود بعد ان رحلوا عن مصر كانوا تواقين الى أن يرجعوا الى عبادة ابيس المصرى ـ وهذا مصداق لقوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم (سورة البقرة ٩٢).

انظر مراجع اخرى فى كونراد ص ١١٢.

ثم انظر كونراد (ايضا ص ٢٠١-٢٠٢).

بادج Budge(Wallis)and Meek, from Fetish to God in Anc. Egypt.

ثم ايضا : (Henry)P. Smith, In Rel. of Israel

وكل هؤلاء الكتاب يتفقون على أن هارون النبى كان فى مصر قبل اليهودية وانه كان كاهنا لعجل ابيس ولذا فلم يعتبروه هرطقيا عندما صنع تمثالا لعجل ابيس من الذهب.

(١٣٧) فى مقاله Daremberg et Saglio (Alektryonen Agonis)

ثم أنظر ايضا : ايليانوس Aelianus; Varia Hist. II, 28.

ثم أيضا لوكيانوس Lucian. De Gymn., 37.

(١٣٨) جرانت Grant (Michael) , The World of Rome p. 176.

(١٣٩) جوزيفوس Jos. Jewish Ant. XIII, 68.

(١٤٠) بيفان Bevan, A Hist. of Eg. under Ptol. D,n. (1938) p. 286 f.

(١٤١) جوزيفوس Jos. J. Ant. XIII, 77-78.

(١٤٢) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIII, 63.

(١٤٣) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIII, 63.

(١٤٤) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIII, 383 - 385.

(١٤٥) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIII, 71.

(١٤٦) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIII, 71.

(١٤٧) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIII, 72.

(١٤٨) جوزيفوس — Jos. Jewish War VII, 424.

(١٤٩) جوزيفوس — Jos. J. War. VII, 425.

(١٥٠) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIII, 67-68.

(١٥١) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIII, 65.

(١٥٢) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIII, 66.

(١٥٣) بلوتارخوس — Plut. 72 — 380 B.

(١٥٤) ديودوروس — Diod. I, 89 (5).

ثم انظر ايضا هيرودوتوس — Herod. 35, II, 69.

فيما يخص حديثه عن اختلاف المصريين فى تقديسهم التمساح فى اقليم واعتباره عدو فى اقليم آخر.

(١٥٥) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIII, 65.

(١٥٦) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIII, 69.

(١٥٧) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XII, 259 - 260.

(١٥٨) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIII, 74.

(١٥٩) فلندرز بيترى — Petrie (F). Hyksos and the Israelite Cities p. 2-School of Archeology in Egypt and Egyptian Research Accounts Vol.(79).

(١٦٠) جوزيفوس — Jos. J. War, VII, 427-428.

(١٦١) بوشيه لوكليرك — Bouché Leclerq, Hist. des Lagides II, p. 41.

(١٦٢) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIV, 131.

(١٦٣) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIV, 131.

(١٦٤) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIV, 131-132.

(١٦٥) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIV,152.

(١٦٦) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIV, 132.

(١٦٧) روث — Wroth, Brit, Mus. Cat. Byz.C..-Barthis.

(١٦٨) اميانوس — Ammianus M. XVIII. 6/5, XVII. 5/3.

(١٦٩) سترابون Str. XV, 3, 13.

(١٧٠) كيمونت Cumont, Les Religions orientales dans le Paganisme romain p. 236 n. 2.

(١٧١) بلوتارخوس Plut. 46 — 369 E.

(١٧٢) توركان - De antro Nympharum-J.R. Harris, The Oriental Cults in Roman Britain_Etudes preliminaires aux Religions orientales dans l'Empire romain, p.7,S;cf. Turcan p.85 n.173 et p 134 n.173.

ثم أنظر أيضا : Corpus inscriptionum et monumentorum religionis mithracae; Vermaseren I-II. Cf. Turcan p. 85 n. 172.

(١٧٣) هيرمان Jahrbuch für Antike und Christentum 1960 p. 34; Der letzte Apisstier par (Alfred) Hermann.

(١٧٤) اتو Otto (Eberhard), Beiträge zur Geschichte der Stierkulter in Aeg. (1938).

(١٧٥) فيرماسيرن Vermaseren and Karter Sibbes,The monuments of the Hellenistic Roman period from Egypt - Apis II - (II pl. CCVII No. 576)

(١٧٦) بلوتارخوس Plut. 56 — 373 E.

(١٧٧) بلوتارخوس Plut. 56 — 373 F.

(١٧٨) بلوتارخوس Plut. 56 — 373 E.

(١٧٩) بلوتارخوس Plut. 56 — 373 E.

(١٨٠) بلوتارخوس Plut. 56 — 373 E.

(١٨١) بلوتارخوس Plut. 56 — 374 .

(١٨٢) بلوتارخوس Plut. 56 — 374 .

(١٨٣) بلوتارخوس Plut. 56 — 374 .

(١٨٤) ابشتين (Isidore) Epstein,Judaism-A Historical presentation(Caballah), p. 277 f.